العدد الاول

كانون الثاني ( ينايـر )

السنة السادسة عشرة

* *

No. 1

ganvier 1968

16 ème année



مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص. ب ٤١٢٣ بيروت ـ تلفون ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle

Beyrouth - LIBAN

B.P. 4123 - Tel. 232832

الادارة : شارع سوريا ـ بناية درويش

صاحبها ومديرها المسؤول

الدكتور سهيل إدريس

Propriétaire - Rédacteur

SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير

عايدة مطرجي إدريس

Secrétaire de rédaction

AIDA M. IDRISS


# قصيدتان من نابلس

## لفدوى طوقان

### ١ ـ الى السيد المسيح في عيده

يا سيد ، يا ملك الاكوان
في عيدك تصلب هذا العام
أفراح القدس
صمتت في عيدك يـا سيّد ـ
كـل الاجراس

من ألفي عام
من ألفي عام لم تصمت في عيدك ـ
الا هذا العام

فقباب الاجراس حداد
وسواد ملتف بسواد

***

القدس على درب الالام
تجلد تحت صليب المحنة ـ
تنزف تحت يد الجلاد
والعالم قلب منغلق دون المأساه
هذا اللامكترث الجامد يا سيّد
انطفأت فيه عين الشمس ـ
فضلّ وتـاه

لم يرفع في المحنة شمعه
لم يذرف حتى دمعه
تغسل في القدس الاحزان

قتل الكرّامون الوارث (١)
يا سيد واغتصبوا الكرم
وخطاة العالم ريّش فيهم طير الاثم
وانطلق يدنّس طهر القدس
شيطانيا ملعونا يمقته حتى الشيطان
يا سيد ، يا مجد القدس
من بئر الاحزان ، من الهوة ـ
من قاع الليل
من قلب الويل
يرتفع اليك انين القدس
رحماك أجز يا سيد عنها هذي الكأس

### ٢ ـ رسالة الى طفلين في الضفة الشرقية

« الى كرمه وعمر »

ـ ١ ـ

يا كرمتي اود لو أطير
على جناح الشوق لو اطير
لكن توقي يا صفيرتي
مقيّد جناحه كسير

---

١ ـ في الاصحاح الثاني عشر من انجيل مرقس : « ... ولكن اؤلئك الكرامين قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث . هلموا نقتلـه فيكون لنا الميراث فأخذوه وقتلوه واخرجوه خارج الكرم » .

يعجزني يا كرمتي العبور
فالنهر يقطع الطريق بيننا
وهم هنا يرابطون
كلعنة سوداء هم هنا يرابطون
قد كسروا الجسور
وحرموني منك يا صغيرتي
وحرّموا العبور
. . . . . . . . .
( الموت رابض على النهر
الموت رابض لكل من عبر )

***

يا كرم يا غزالتي
العسل الصافي المضيء في العيون
يوحشني كثير
والخصل الشقراء مثل القمح ، مثل موسم الحصاد
في بلادنا

توحشني ، توحشني كثير
اود لو اطير يا غزالتي
عبر المدى ، أود لو أطير

***

يغرقني في لجة الحنين
وبالحنين والذكر
افزع يا صغيرتي الى « الشريط »
ويملأ المكان صوتك الصغير :
« خذوني الى بيسان
الى ضيعتي الشتائية »
( الله يـا بيسان !
كانت لنـا ارض هناك
بيارة ، حقول قمح ترتمي مدّ البصر
تعطي أبي خيراتها
القمح والثمر
كان أبي يحبها يحبها
كان يقول لن ابيعها حتى ولو
أعطيت ملئها ذهب
واغتصب الارض التتر
ومات جدك الحزين يا صغيرتي
مات ابي من حزنه
كانت جذوره تغوص في قرار أرضه
هناك في بيسان )
ويستمر يلعب الشريط
يدور كالزمن
حكاية طفلية هنا ، رزقزقات ضحك هناك
ونكتة ذكية يرسلها عمر
تتعبني الاشواق يا عمر
لوجهك القمر

هل ذاكر ايام كنت تطلع الجبل
تحمل لي اضمامة من زهر الجبل
قرن الغزال والشقائق الحمراء والزرقاء
والنرجس البريّ والشمر
هدية الربيع في بلادنا لنا هدية المطر
واعبر النهر
وجسري الخيال يا احبتي وجسري الذكر
( لو قدروا لقتلوا حتى الخيال
لسفكوا حتى دماء الحب والاشواق والذكر )
واحضن الطفوله
ابوس غرة الصباح في وجوهكم
أبوس اعين العسل
ثم يردني الى المكان واقعي المهين
وفي ضلوعي الشوك والصبار
وفي فمي مرارة اليقين

— ٢ —

احبتي الصغار خلف النهر يا احبتي
عندي اقاصيص لكم كثيره
( غير حكايا سندباد البحر غير قصة الجنـي
والصياد وقمر الزمان والاميرة )
عندي اقاصيص هنا جديدة
اخاف لو اروي لكم احداثها
أطفىء في عالمكم ضياءه
اخاف ان اروع الطفوله
اهز في جزيرة البراءه
رواسي الامان والسكينه
اخشى على دنياكم الصغيره
من قصص السجين والسجان
من قصص النازي والنازيه
في ارضنا فانها رهيبه
يشيب يا احبتي لهولها الولدان
. . . . . . . . .
. . . . . . . . .
لا تسألوا متى وكيف تنتهي
حكاية الشتات والضياع
لن تفهموا اليوم الجواب
وحين تكبرون يا احبتي تنبيكم الايام
ويومها ستحملون العبء مثلنا
وتأخذون الدور مثلنا
في قصة الكفاح
( طويلة قصتنا ، طويلة حكاية الكفاح )
ويومها يا كنزنا المنذور
ستعرفون
متى واين يلتقي المشتتون
وكيف تنتهي حكاية الشتات والضياع ..

**فدوى طوقان** — **نابلس — الضفة الغربية**

صوت غربي موضوعي

# نصر أسوأ من هزيمة !

بقلم اسحق دويتشر

**نشرت مجلة « التان مودرن » في عددها الصادر في الشهر الماضي ( نوفمبر ) مقابلة اجرتها مجلة « نيولفت ريفيو » مع الكاتب الماركسي اليهودي الاصل اسحق دويتشر ، وتحدث فيها عن حرب ٥ حزيران بين اليهود والعرب ، وقد كانت هذه المقابلة اخر حديث ادلى به دويتشر قبل موته في الصيف الماضي .**

**و « الآداب » تنشر أهم ما ورد في هذا الحديث الذي يدل على ان صاحبه من الاصوات النادرة التي ارتفعت في الغرب دفاعا عن حق العرب واستنكارا .. للعدوان الاسرائيلي .**

س ـ هل لك اولا ان تلخص ببضع كلمات وجهة نظرك في الحرب الاسرائيلية العربية ؟

ج ـ ان الحرب و « معجزة » النصر الاسرائيلي لم تحلا في رأيي ايا من المشكلات التي كانت قائمة بين اسرائيل والدول العربية . بل ان ذلك ، على العكس ، لم يكن من شأنه الا ان فاقم المشكلات القديمة وخلق منها مشكلات جديدة اخطر من السابقة . لقد زاد من رخاصتها وقابليتها للانجراح ، بدلا من ان يعزز أمنها . وانا على يقين من ان نصر اسرائيل العسكري سيتكشف في مستقبل قريب عن انه كان في الواقع كارثة ، وبالدرجة الاولى بالنسبة لدولة اسرائيل نفسها .

فلننظر الى السياق العالمي الذي جرت فيه الاحداث. يجب ان نضع هذه الحرب في اطار المنافسات والمنازعات الايديولوجية القائمة على الصعيد العالمي . فمنذ بضعة أعوام ، تقود الامبريالية الاميركية وحلفاؤها في جزء كبير من آسيا وافريقيا هجوما سياسيا وايديولوجيا واقتصاديا وعسكريا واسعا يقاومه خصومها، ابتداء من الاتحاد السوفياتي ، بمشقة كبيرة ، بل هم يتراجعون . وتلك نهاية سلسلة طويلة من الاحداث : عصيان غانا الذي أطاح بحكومة نكروما ، تحرك الرجعية في عدد من البلدان الافرو اسيوية ، الانتصار الدامي للحركة المناهضة للشيوعية في اندونيسيا ، ذلك الانتصار الذي شكل نصرا هاما للثورة المضادة في آسيا ، تصعيد الحرب الاميركية في الفيتنام ، واخيرا الانقلاب العسكري في اليونان . والحرب الاسرائيلية العربية تندرج في هذه السلسلة من الاحداث. وفي الوقت نفسه كان تيار معاكس يبرز الى الوجود : اضطراب ثوري في الهند ، تطرف في الموقف السياسي في بعض البلدان العربية ، الصراع الفعال لجبهة التحرير الوطنية في الفيتنام ، واخيرا تنامي معارضة نزعة التدخل الاميركية في العالم كله . وهذا يعني ان تقدم الامبريالية الاميركية والثورة المضادة الافريقية الاسيوية لم يتم من غير ان يثير ألوانا من المعارضة التي كانت حتى الآن غير مجدية ، باستثناء الفيتنام .

والدفعة الاميركية في الشرق الاوسط هي شيء جديد نسبيا . ففي قضية السويس ، تبنت الولايات المتحدة موقفا « مناهضا للاستعمار » . وبالاتفاق ، الظاهري على الاقل ، مع الاتحاد السوفياتي ، عملت في اتجاه سحب القوات الانكليزية والفرنسية . كان منطق السياسة الاميركية ما يزال منسجما مع منطقها في سنوات ما بعد الحرب التي كانت فيها دولة اسرائيل في بدء تكونها . فما دام صالح الطبقة المسيطرة الاميركيةهو في طرد القوى الاستعماريه القديمة من افريقيا وآسيا ، فان البيت الابيض ينتصب بطلا ل «مناهضة الاستعمار». ولكن الاميركيين،بعد ان شاركوا في هزيمة الامبراطوريات القديمة ، شعروا بالخوف من هذا الفراغ الذي نشأ والذي كان يوشك ان تملأه اما القوات الثورية المحلية ، او الاتحاد السوفياتي ، او عملهما المشترك. ونسيت اميركا «مناهضة الاستعمار» ودخلت المسرح . وكان ذلك ، بالنسبة للشرق الاوسط ، بين العدوان على السويس والحرب الاسرائيلية الاخيرة . وقد كانت غاية نزول القوات الاميركية في لبنان عام ١٩٥٨ محاولة القضاء على الحركات الثورية التي كانت تهز ذلك الجزء من العالم، ولا سيما في العراق. ومنذ ذلك التاريخ ، تجنبت الولايات المتحدة ، معتمدةالى حد ما على « اعتدال » السوفيات ، كل تدخل عسكري مباشر في الشرق الاوسط ، وتظاهرت باتخاذ موقف محايد . ولكن حضورها في هذه المنطقة لم يكن ، رغم ذلك ، اقل واقعية .

ـ كيف ترى سياسة اسرائيل في هذا المنظور ؟

ـ لقد عمل الاسرائيليون طبعا وفق مصالحهم ، وليس فقط من اجل خدمة السياسة الاميركية . وليس ثمة ادنى شك في ان معظم الاسرائيليين كانوا يشعرون بأن العداوة العربية تهددهم . ومن الطبيعي كذلك ان يقفز الاسرائيليون حين يسمعون بعض العرب ينادون بوجوب

حذف خارطة دولة اسرائيل. كانت ذكرى المأساة اليهودية في اوروبا تعمر اذهانهم، فكانوا يحسون انفسهم معزولين، محاطين بعالم عربي معاد متكاثر السكان . ولم يكن اسهل على مروجي دعاياتهم ، بمساعدة الوان التطرف الخطابي التي كان يمارسها العرب ، من ان يستغلوا الخوف من « حل نهائي » جديد سيتهدد هذه المرة اليهود في آسيا. وقد استعانوا بالاساطير التوراتية وبجميع الرموز القومية والدينية القديمة في التاريخ اليهودي ، فاستثاروا لدى الاسرائيليين هذه المظاهر من حب الحرب والغطرسة والتعصب التي رآها الناس لدى اولئك الذين كانوا يسرعون الى سيناء والى حائط المبكى والى جدران اريحا. كان يكمن وراء تلك الغطرسة وهذا السعر شعور مكبوت من الذنب تجاه العرب ، لدى التفكير بأنهم ، أي العرب ، لن ينسوا ابدا ولن يصفحوا عما اصابهم من فقدان اراضيهم ومن مصير فظيع حل باكثر من مليون لاجىء ومن جميع الهزائم والمذلات العسكرية التي منوا بها . وقد كان الاسرائيليون يخشون حتى الجنون اعمال الانتقام العربية ، فتبنوا في غالبيتهم العظمى « نظرية » حكومتهم التي تذهب الى ان امر اسرائيل لا يمكن ان يضمن الا بحروب متكررة تتيح لهم ، بين حين وحين ، أن يقودوا الدول العربية الى حالة العجز .

ولكن ايا كانت دوافع الاسرائيليين المحركة ومخاوفهم، فانهم لا يتصرفون باستقلال كلي . ان مختلف ألوان العبودية التي خضعوا لها تشكل تاريخهم ، كما يبدو جليا منذ عشرين عاما . لقد جعلت الحكومات كلها من سياسة « التوجيه الغربي » الشرط الاساسي لوجود اسرائيل بالذات . ولم يكن الامر بحاجة الى اكثر من هذا لجعل اسرائيل مخفرا اماميا للغرب في الشرق الاوسط ولادخالها في الصراع الذي يجعل الامبريالية (او الاستعمار الجديد) في وجه الشعوب العربية المناضلة من اجل تحررها . ولكن ثمة عوامل اخرى دخلت كذلك الميدان . فان اقتصاد اسرائيل لم يستطع ان يتوازن وينمو الا بفضل المساعدة المالية الوافدة من الخارج ، وبخاصة مساعدة الصهيونية الاميركية . وقد شكلت هذه المساعدة احسانا ملتبسا ، لانها اتاحت للحكومة ان تؤمن ميزان مدفوعاتها ، من غير ان يحوجها ذلك الى القيام بمبادلات تجارية مع جاراتها ، كما يحدث في كل مكان . لقد زيفت بنية اسرائيل الاقتصادية اذ سهلت نمو قطاع هام غير منتج ، واذ ضمنت مستوى للحياة لا علاقة له بقدرة البلد الانتاجية الحقيقية . والواقع ان اسرائيل قد عاشت ، على نحو عريض ، فوق مستوى وسائلها . فعلى امتداد فترة طويلة ، استوردت نصف سلعها الغذائية من الغرب. ولما كانت الحكومة الاميركية تعفي من الضرائب كل الارباح المعلنة « هبات لاسرائيل » ، فهي تخضع لرقابتها الاموال التي يتوقف عليها الاقتصاد الاسرائيلي . وتستطيع واشنطن ، في كل لحظة ، ان تضرب اسرائيل اذا اعادت فرض الضرائب ( وأن كان صحيحا في هذه الحالة أنها تحرم نفسها من الاصوات اليهودية في الانتخابات ) . وبالرغم من ان هذا التهديد لم يصرح به علنا قط ، فهو يثقل بما فيه الكفاية ليضمن للسياسة الاميركية تأييد اسرائيل .

منذ بضعة اعوام قمت بزيارة لاسرائيل ، فعدد لي احد الموظفين المصانع التي لم يكن يحق للاسرائيليين ان يبنوها لان الاميركيين كانوا يعارضون انشاءها ، وبخاصة مصانع الحديد والصلب ومصانع التجهيز الزراعي . وبالمقابل ، كان ثمة لائحة طويله بمصانع غير مفيدة عمليا كانت تصنع بكميات لا تصدق العابا ودمى واواني للمطبخ من البلاستيك الخ... وكان غير وارد اطلاقا ان تأخذ اية حكومة اسرائيلية مبادرة بعقد علاقات اقتصادية وتجارية مع الدول العربية المجاورة ، او ان تحسن علاقات اسرائيل الاقتصادية بالاتحاد السوفياتي واوروبا الشرقية، مهما بدا ذلك ضروريا .

وقد أثرت هذه التبعية الاقتصادية على سياسة اسرائيل الداخلية وعلى « جوها الثقافي » . ان المحسن الاميركي هو كذلك المساهم الاجنبي الرئيسي في الارض المقدسة . فهو باعتباره رجل اعمال يهوديا غنيا ، لا يعدو أن يكون في الولايات المتحدة رجل اعمال كسائر رجال الاعمال . اما في اسرائيل ، فلكونه يعتز بانتمائه للشعب المختار ، يمارس تأثيره باعتباره يعتنق الدين الاشد رجعية . انه ، وهو بطل المشاريع الحرة ، شديد الحذر من اشتراكية الهستدروت والكيبوتزيم ، على اعتدالها ، ويبذل كل ما في وسعه للحد من تأثيرها . وهو الذي ساعد الحاخامين في ممارسة سلطتهم على التشريع وعلى التربية ، الى حد بعيد ، فساعد على تعزيز شعور التفوق العنصري لدى الاسرائيليين ، وهو روح طبقية متصلة بالتلمود . ولم يكن من شأن هذا كله الا ان يقوي روح العداء للعرب .

ولقد ابرزت الحرب الباردة ابرازا مريعا مختلف النزعات الرجعية والهبت النزاع بين اليهود والعرب . وكانت اسرائيل دائما مناهضة للشيوعية . صحيح انه كان لذلك اسباب : فان آخر اعوام الستالينية ، وحركات معاداة السامية في الاتحاد السوفياتي ، والحجج المعادية لليهود التي استعملت في محاكمات سلانسكي وراجك وكوستوف ، والتشجيع الذي اظهره السوفيات للقومية العربية حتى في اكثر اشكالها تطرفا ، كل ذلك قد لعب دورا . ولكن ينبغي الا ننسى ، من جهة اخرى، ان ستالين كان اشبين اسرائيل ، وان الاسرائيليين قد حاربوا، عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، ضد الاحتلال البريطاني وضد العرب ، بمساعدة الاسلحة والذخائر التشيكوسلوفاكية التي قدمت بناء على امر من ستالين ، وان المندوب السوفياتي في الامم المتحدة كان اول من صوت على الاعتراف بدولة اسرائيل . ويمكن القول بأن ستالين ، اذا كان قد غير

موقفه تجاه اسرائيل ، فلأن هذه الدولة انحازت الى السياسة الغربية . وصحيح كذلك ان الحكومات الاسرائيلية لم تضع هذا الموقف موضع تساؤل في اية فترة من الفترات التي اعقبت موت ستالين .

وهكذا اصبح المبدأ الاكبر للسياسة الاسرائيلية : وضع العقبات والعوائق ، بأي ثمن ، في وجه نضال العرب من اجل تحررهم . وهذا ما يشرح دور اسرائيل في حرب السويس عام ١٩٥٦ . لقد كانت الحكمة القصوى بالنسبة للوزراء الاشتراكيين الديمقراطيين ، شأنهم في ذلك شأن الاستعماريين الغربيين ، هي ابقاء العرب في التخلف وفي الخلافات الداخلية ... واستخدام عملاء الاقطاعية ضد القوى الجمهورية والوطنية والثورية . وفي مطلع عام ١٩٦٧ ، حين ظن بأن انقلابا جمهوريا يوشك ان يطيح بالملك حسين ، لم تتردد حكومة اشكول في التصريح بأن الجيوش الاسرائيلية ستدخل الاردن في حالة حدوث انقلاب مؤيد للناصرية في عمان . وكانت مقدمة احداث حزيران ناشئة عن موقف التهديد الذي اتخذته اسرائيل تجاه الحكم السوري الجديد ...

أكان صحيحا أن اسرائيل ، كما تعتقد المخابرات السوفياتية وكما ابلغت موسكو عبد الناصر ، كانت تنوي مهاجمة سوريا في ايار ؟ .... مهما يكن من امر ، فان الحكام الاسرائيليين كانوا مقتنعين بأن كل حركة معادية لسوريا او لمصر ستكون رابحة ، وان الدول الغربية ستنظر اليها نظرة عطف . وقد لعب هذا الحساب دوره في عزمهم القيام بهجومهم الوقائي يوم ٥ حزيران . كانوا على ثقة مطلقة بتأييد الاميركيين لهم معنويا وسياسيا واقتصاديا ، وكانوا يعتقدون كذلك بأن الانكليز سيؤيدونهم على الارجح . كانوا يعلمون ان بوسعهم ، مهما ابتعدوا في اهدافهم ، الاعتماد على الحماية الدبلوماسية للاميركيين ، او على الاقل على تسامحهم الرسمي . ولم يكونوا على خطأ في هذا التقدير . فانه لم يكن يسع البيت الابيض ولا البنتاغون ان يمتنعا عن تقدير عمل اولئك الذين كانوا ، لاسباب تعنيهم ، ينطلقون في هجوم على العرب ، اعداء الاستعمار الاميركي الجديد . وقد مثل الجنرال دايان في الشرق الاوسط دورا مماثلا لدور المارشال كي ، وقام به بفعالية وحشية وسريعة . وقد كان في الحق ، ولا يزال ، حليفا اكثر نفعا واقل ارباكا من المارشال كي .

وبعد ، فمن المسؤول عن مصير يهود اوروبا المفجع في اوشويتز وماجدانيك ومذابح الغيتو الا المدنية البورجوازية الغربية التي خلقت النازية ؟ ومع ذلك ، فان العرب هم الذين طلب اليهم ان يدفعوا ثمن هذه الجرائم . وهذا مستمر ، لان الغربيين ، بدافع احساس بالذنب ، مؤيدون للاسرائيليين ومناهضون للعرب . واسرائيل تقبل مال اولئك الذين يعطونها مالا ليفتدوا انفسهم .

. . . . . . .

وعلى الاطلاق لم تعترف اسرائيل بشرعية الشكاوى العربية . ومنذ البدء سعت الصهيونية الى خلق دولة يهودية محض ، وأسعدها ان تتخلص من السكان العرب . ولم تسع اية حكومة اسرائيلية الى الاصغاء بجد الى هذه الشكاوى . وكان لا بد ، في رأي الاسرائيليين ، ان تعترف الدول العربية باسرائيل ، قبل ان تهتم هذه بمصير اللاجئين ، أي انهم كانوا يطلبون من العرب استسلاما سياسيا حتى قبل التفاوض معهم . ويمكن ان يقال طبعا ان الامر هنا هو امر تكتيك دبلوماسي . ولكن الموقف انما تفاقم حقا يوم وافقت اسرائيل ، في قضية السويس ، على ان تلعب دور رأس الحربة للامبرياليين الاوروبيين القدامى المترنحين ، وان تدعم محاولتهم الاخيرة للبقاء في مصر . ولم يكن ثمة ما يجبر اسرائيل على ان تتضامن مع مساهمي شركة قناة السويس . كان الموقف واضحا ، ولم يكن ثمة سبيل للادعاء بالانخداع حوله او للقول بأن الخير والشر كانا مختلطين من كلا الطرفين . فان الاسرائيليين وقفوا ، اخلاقيا وسياسيا ، مع جانب الشر .

ان النزاع الاسرائيلي العربي يبدو في الظاهر صداما بين قوميتين متنافستين ، باعتبار ان كلا منهما منغلقة في الدائرة المفرغة لمطامعها التي تدعي انها شرعية . ووجهة النظر الاممية المجردة جدير بها ان تدعهما تتطاحنان باعتبارهما كلتيهما رجعيتين . ولكن في ذلك تقديرا غير صحيح لمعطيات الموقف الاجتماعية والسياسية . فالقومية الشعبية كما تقوم في البلدان نصف المستعمرة او المستعمرة والتي تناضل من اجل استقلالها لا يمكن ان تقارن ، من وجهة نظر اخلاقية وسياسية ، بقومية الفاتحين والمضطهدين . ان للاولى وحدها تبريرا تاريخيا وجانبا تقدميا . وفي هذا الجانب يجب ادراج القومية العربية ، لا القومية الاسرائيلية .

. . . . . . . . . . . . . . . .

س ـ وكيف يواجه الاسرائيليون انتصارهم ؟ أي دور يفكرون في ان يقوموا به بعد الآن ، في هذا الجزء من العالم ؟

ج ـ ان الاسرائيليين يظهرون الآن ، على نحو متناقض وغير معقول ، وهم يلعبون دور البروس في الشرق الاوسط . هذه ثلاث حروب يربحونها ضد جيرانهم العرب . وبالطريقة نفسها احرز البروس ، منذ قرن ، انتصارات متلاحقة على جميع جيرانهم ، الدنمركيين والنمسويين والفرنسيين . وقد منحهم ذلك ثقة مطلقة بفعالية اسلحتهم وشعورا شوفينيا بالتفوق يتناسب مع احتقارهم للشعوب الاخرى . وان انحطاطا سياسيا من النوع نفسه ( لان الامر هو حقا امر انحطاط ) يوشك ان يحدث في اسرائيل . على ان اسرائيل لن تستطيع ، وهي تلعب دور « بروس الشرق الاوسط » ، الا ان تكون نسخة صفراء من النسخة الاصلية . ذلك ان البروس قد فعلوا

ـ التتمة على الصفحة ٧٨ ـ

# عشر قصائد

## لأدونيس

**المئذنة**

**( حلم )**

بكت المئذنهْ
حين جاء الغريبُ ـ اشترَاها
وبنى فوقها مدخنه .

**نبــوءة**

**( حلم )**

للوطن المحفور في حياتنا كالقبرْ
للوطن المخدر المقتولْ
تجيء من سباتنا الالفي من تاريخنا المشلول
شمس بلا عبادهْ ،
تقتل شيخ الرمل والجرادهْ
والزمن النابت في سهوبه
اليابس في سهوبــه
كالفطرْ
شمس تحب الفتك والابادهْ
تطلع من وراء هذا الجسرْ ...

**المــوج**

**( حلم )**

موج رفعت على أدراجه جزري
ورحت أبدأ تاريخي ـ
أفتتــــه
ألمـــــه
وأنقيه ، وفي لغتي
مسافة الموت تحييني ، وفي ورقي
مسافة الجرح
موج آمر الصور
موج يؤاخي طريق الشمس ، يفتح في
صدري محطاتــه ،
موج يعلمني
أن الاقاصي مدار الحلم والسفر .

**الوردة**

خذ وردة مدها وسادة .
**بعد** حين
تصهرك المهزلهْ
في حمأ ، في طينْ
تضمك القنبلهْ
لملكهـــا .
بعــد حينْ
خذ وردة سمها
أغنيـــة ،
وغن للعالمينْ .

**الشهيد**

**( حلم )**

حين رأيت الليل في جفونه الملتهبه
ولم أجد في وجهه نخيلا
ولم أجد نجوما ،
عصفت حول رأسه
كالريح ـ وانكسرت مثل قصبهْ .

**الغرب والشرق**

**( حلم )**

كان شيء يمتد في نفق التاريخ
شيء مزين ملغوم
حاملا طفله من النفط مسموما

يغنيه تاجر مسموم
كان شرق كالطفل يسأل ،
يستصرخ
والغرب شيخه المعصوم ـ
بدلت هذه الخريطة
فالكون حريق
والشرق والغرب قبر
واحـــد
من رماده ملموم ...
**قبل أو بعد** ،
يولد الكون مربوطا بقرني غزالة مسحورهْ
راسما ظله على الاشجار :

غصن صورة له ،

غصن يزهر بين المسمار والمسمار
غصن عاشق حنان النار ـ
أنا تاريخ ذلك الغصن الآتي
وجوها غريبة منذوره
أنا تاريخ ذلك الغصن السائح
في غابة الرؤى والمجاعه
سار وجهي في قبة الموت
واسترجع سحرا يضيئه ، وأضاعه
فدعوت النجمر الصديق وبخرنا
مداه ، وموجه ، وشراعه
وحملت العشب الرضيع كأهدابي
وسافرت في حنين الرضاعه
في رياح غريبة منذوره
لدمي جارحا ،
لحبي مربوطا بقرني غزالة مسحوره .

**دمشق**
**( حلم )**

أومأت ـ
جئت اليك حنجرة يتيمه
أقتات ، أنسج صوتها الشفقي من لغة رجيمه
تتبطن الدنيا وتخلع باب حكمتها القديمه .
وأتيت ، لي نجم ولي نار كليمه :
يا نجم ، رد لي المجوس
وأنت يا نار استبيحي
فالكون من ورق وريح
ودمشق سرة ياسمين
حبلى ،
تمد أريجها
سقفـــا
وتنتظر الجنين .

**الاسماء**
**( حلم )**

سأسمي التحول ربان أيامك الجديده
يا بلاد الخليفة والتابعين
وأسمي اللهيب
مطـــرا
وأسمي
وجهك المغلق الدفين
كوكبـــا والقصيده
هالة الفارس الغريب
حول أيامك الجديده .

**اللؤلؤة**
**( الحلم ـ المرآة )**

كيف أمشي نحو شعبي ، نحو نفسي
كيف أمضي نحو تهيامي وصوتي كيف أصعد ؟
لست الا نهرا برفض ، يخبو ، يتوقد
غامرا لؤلؤة الشعر الخفيه
لابسا وسوسة الشمس ،
والا
حلما ـ
أني حمى نبويه
أنني ضوء يلف الليل ، يعرى
سائحا في جسد الليل ،
وأنــي
جامح
أحتضن الارض كأنثى
وأنـــام
قارعا ناقوسي البحري فيها
لهبا يستن ،
يستنزل فيها
آية أني كتاب
ودمي حبر
وأعضائي كلام .
كيف أمشي نحو نفسي ، نحو شعبي
ودمي نار وتاريخي ركام ؟
أسندوا صدري ـ
في صدري حريق
ومزاميـــر ،
جبال وكروم
ومسافات
وأجساد عصور تتجرجر
ونجوم
والتواريخ مرايا
والحضارات مرايا
تتكسر .

لا ، دعوني :
انني أسمع أصواتا في رمادي
انني ألمحها تمشي كأطفال بلادي .

**ادونيس**

دوبريه : مؤلف "ثورة في الثورة"

# نموذج المثقف الثوري!

بقلم الياس سحّاب

عشرات العمليات السياسية (★) قامت بها وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية ، وما يقارب من عشر روايات وأفلام ، أطلقتها في جميع أنحاء العالم ، لتكرس شخصية رجل المخابرات الاميركية « ٠٠٧ » وتدمغ العصر بطابعه ... ولكن شيئا ما ، كان ينطلق من التحرك الشعبي البسيط ، ليفسد كل هذه المخططات ، بالرغم مما يدعمها من طاقات مالية وتكنولوجية خارقة ...

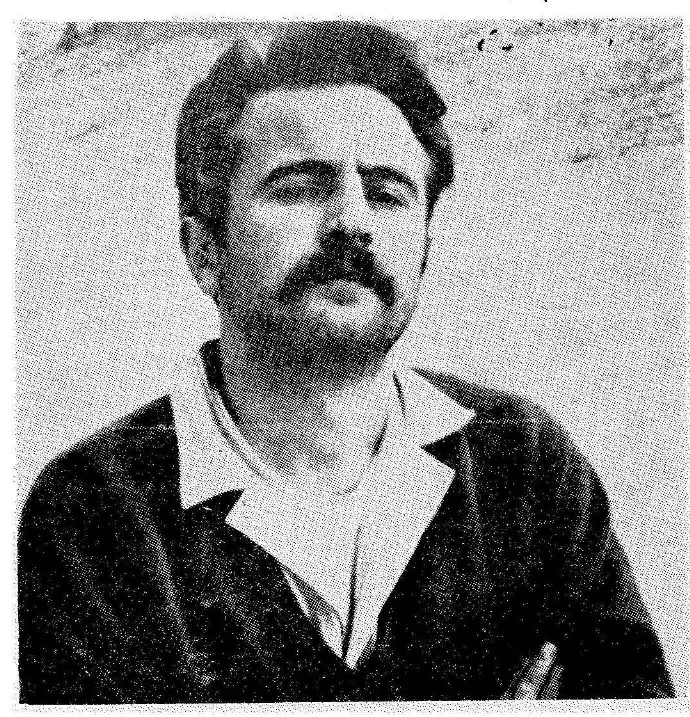
فمقابل الشعار السحري « ٠٠٧ » الذي أنفقت أميركا مئات الملايين من الدولارات لفرض سلطانه على العالم ، أطلقت جمهرة البوليفيين الفقراء ، وبمنتهى العفوية ، شعار « ٠٠١ » ، مشيرة به الى شخص المفكر الفرنسي ريجي دوبريه ، فكانت تغني له وهو في سجنه ينتظر مصيره :

« في سجن مظلم حقير
صفر صفر واحد ينتظر ... ينتظر
أن يموت في محاكمة
أو يموت بلا محاكمة » .

هذه التسمية « ٠٠١ » ، كان يقصد بها في البداية وصم دوبريه ، من قبل السلطات البوليفية ، بأنه جاسوس ، شأنه شأن جيمس بوند ، ولكنه يعمل لحساب كوبا ...

فما هي الحقيقة التي ذهب دوبريه ينجزها في بوليفيا ، بعد أن سبقته الى هناك نسخ من كتابه « ثورة في الثورة » ؟ وما هي التهم التي وجهت اليه ليحكم عليه في شهر نوفمبر ١٩٦٧ بالسجن لمدة ثلاثين عاما ، رغم رسالة خاصة من ديغول لبرينتوس حاكم بوليفيا المطلق ؟

يقول الصحفي الانكليزي بيري اندرسون ، رئيس تحرير مجلة « نيولفت ريفيو » ( مجلة اليسار الجديد ) الذي امضى ثلاثة اسابيع في بوليفيا يبحث عن حقيقة قضية ديجي دوبريه يقول : « بدأ كل شيء في ٢١ ديسمبر ١٩٦١ . ففي ذلك اليوم تلقى ريجي دوبريه الذي يدرّس الفلسفة في جامعة هافانا بكوبا ، منتدبا من الحكومة الفرنسية ، رسالة سرية ، في غرفته بالطابق الحادي والعشرين في فندق « هافانا الحرة » . كانت تلك الرسالة من « ارنستو شي غيفارا » ، يقترح فيها عليه ان يكون أول صحفي يأخذ منه حديثا بعد عودته الى العمل السري .



وقد كان هذا الطلب منطقيا من جهة غيفارا حتى قبل سنتين ، اذ كان دوبريه قد كسب ثقة المسؤولين الكوبيين عن طريق بحثين طويلين أعدهما عن استراتيجية الثورة في أميركا اللاتينية : « الكاستورية ، المسيرة العظمى لاميركا اللاتينيــة : « الكاستروية ، المسيرة العظمى لاميركا اللاتينية (١) ، ( ظهر في مجلة « الازمنة الحديثة » ) ، و « مشاكل الاستراتيجية الثورية » ( ويرى القارىء ترجمة له ملحقة بهذا الكتاب ) . كذلك كان دوبريه في ذلك الوقت يضع اللمسات الاخيرة في كتابه « ثورة في الثورة » الذي كتبه كحصيلة لمحادثات طويلة بينه وبين كاسترو .

وحسب تعليمات الرسالة كان على دوبريه أن يتوجه الى باريس ، والى مكتبة « لا جوا دولير » التي يملكها الناشر المعروف فرنسوا ماسبيرو ( ناشر كتاب « ثورة في الثورة » وكتب أخرى لغيفارا وكاسترو ) .

بعد شهرين من ذلك ، وبعد أن أنهى عمله في كوبا ، سافر دوبريه الى باريس . وفي الخامس عشر من فبراير ذهب الى المكتبة ، فتلقى رسالة ان عليه السفر الى « لاباز » عاصمة بوليفيا المعلقة على ارتفاع ٣٧٠٠ متر . وهناك ، سينتظره في الساعة السادسة من مساء كل ثلاثاء رجل اسمه أندريه ، أمام فندق « سوكر » .

( ★ ) مقدمة كتاب « ثورة في الثورة » من تاليف ريجي دوبريه الذي يصدر هذا الشهر عن « دار الاداب » .

١ — اقرأ ترجمة له في كتاب « تجارب اشتراكية » — منشورات دار الاداب ، بيروت .

وسافر دوبريه الى « لاباز » التي أقام فيها مرة حين كان يجمع المعلومات لبحثيه الاولين . وكان دوبريه يحمل بطاقة صحفي يعمل لحساب دار ماسبيرو للنشر ، والمجلة المكسيكية الكبيرة « سوسيسرس » . ولم تعرقل الدوائر الصحفية الرسمية في بوليفيا مسألة الاعتراف بأوراقه الصحفية . وكان دوبريه بالطبع يستعمل جواز سفره الفرنسي الذي شهد قنصل فرنسا في لاباز بأنه كان متمما جميع الاجراءات القانونية المطلوبة بعد دخول دوبريه الى بوليفيا .

وبعد أن التقى دوبريه بأندريه سلمه هذا الاخير الى دليلة اسمها « تانيا » ، غادر معها لاباز باتجاه الجنوب في سيارة كبيرة من ذلك النوع الذي يطلق عليه البوليفيون ساخرين اسم « غوندولا » .

في الثالث من مارس ، وصل دوبريه ودليلته تانيا الى « سوكر » على مسافة ٣٥٠ كيلومترا من العاصمة ، وهناك نزلا في فندق « غراندي » في الوقت الذي كان قد سجل فيه رجل أرجنتيني اسمه في سجل الفندق تحت اسم « تروكتووزو » .. ولم يكن هذا الرجل غير الرسام الارجنتيني المعروف « سيرو دوبرتو بوسنوس » .

وبقي الرجلان في « سوكر » حتى السادس من مارس ، ثم توغلا أكثر فأكثر نحو الجنوب . وبعد ذلك بأيام قليلة توجها الى كاميري ، في منطقة البترول . وهناك ، صعدا بتعليمات من تانيا الى الشمال قليلا ، الى منطقة تلال مزروعة بالاشجار ، وشبه مهجورة . ولم يكن دوبريه حتى ذلك الوقت يعرف الى أين تقوده الدليلة .

في بداية مارس كانت بوليفيا تبدو بلدا هادئا . كانت دكتاتورية الجنرال بارتينوس العسكرية التي جاءت الى الحكم قبل سنتين عقب انقلاب عسكري ، لا تتمتع بأي تأييد شعبي ، ولكن حتى ذلك الوقت لم تكن قد ظهرت أي علاقة تمرد ، بعد أن سحق تمرد عمال مناجم القصدير – أعداء النظام الاساسيين – في عام ١٩٦٥ .

كانت تانيا تقود دوبريه الى مزرعة « لاكازا كامارينا » حيث وجد نفسه فجأة في وسط معسكر للثوار ، وكان هذا المعسكر في الحقيقة هو المركز الذي انطلق منه العصيان بعد فترة قصيرة . وكان الاخوان كوكو ولوني بيريدو قد اشتريا المزرعة قبل ثمانية أشهر ، وكان الاخوان شيوعيين ، عرف فيما بعد انهما قائدا الثوار البوليفيين . وكان الاخوان بيريدو قد جمعا في المزرعة كميات ضخمة من السلاح والمؤن وأجهزة الارسال ، وأخذا يدربان رجال العصابات سرا . وكانا في نهاية كل أسبوع ينزلان الى مدينة « لاغوتيلاس » و « كاآيري » ليعطيا الانطباع بأنهما من أصحاب المزارع المسالمين ، وكان أحد لا يشك فيهما .

لم يكن دوبريه حتى ذلك الوقت قد رأى غيفارا ، ولكن قيل له ان ذلك لن يتأخر . وكان دوبريه قد صمم على ألا تتجاوز اقامته مع الثوار أكثر من أربعة أيام أو خمسة ، ثم يسافر بعد ذلك لنشر تحقيقاته . ولكن الاحداث تسارعت . فقد نبه أحد مهندسي البترول السلطات الى حركة مشبوهة في منطقة « نانكاهوازوا » بينما كان دوبريه ينتظر في « كازا كارمينا » فارسل قطاع عسكري كبير لتحري الوضع ، فعجل وصول الجيش في اندلاع الثورة جنوبي بوليفيا ، حيث وقعت الكتيبة التي كان يقودها الكابتن سيلفا ، في ٢٣ مارس ، في كمين نصبه الثوار ، على ضفاف النهر ، فقتل ثلاثة ضباط واسر خمسة عشر رجلا .

وباندلاع الثورة ، ترك الثوار مركز « كازا كارامينا » وشكلوا وحدات متنقلة تجوب الغابات .

في هذه الظروف ، تمكن دوبريه أخيرا من مقابلة غيفارا ، في نهاية شهر مارس . وقد ذكر دوبريه فيما بعد ان هذا اللقاء لم يوفر له ظروف المقابلة الصحفية ، حيث كان غيفارا يقود الثوار في تلك الفترة العصيبة من العصيان ، مكبدا الجيش النظامي خسائر فادحة .

وفي أوائل أبريل ، كان دوبريه قد أنهى مهمته ، فقرر هو وبوستوس أن يغادرا منطقة الثوار ، فحاولا التوجه لمدينة غوليتارز الصغيرة شرقي كاميري ، ولكن الجيش النظامي كان قد احتلها فاضطرا لتغيير الخطة . وبعد اسبوعين من المرافقة الاضطرارية لرجال العصابات ، قررا تجريب حظهما في مويو بامبا ، في الطرف الاخر من منطقة العمليات . وفي التاريخ نفسه ، كان مصور انفلو – شيلي ، جورج روث ، قد ركب فرسا ، محاولا أن يبلغ منطقة الثوار . وكان روث ، الذي يعمل لحسابه ، قد رافق الجيش حيث التقط عددا كبيرا من الصور ، وتمنى لو يستطيع اتمام المهمة والتقاط بعض الصور في منطقة الثوار . وفي ١٦ ابريل ، ودع جورج روث قائد الجيش النظامي في لاغوتبلاس ، الذي كان يعرف نواياه .

وبعد يومين ، كان روث بقيادة أحد الفلاحين ، قد وصل الى منطقة الثوار حيث التقى بدوبريه وبوستوس. وكان الثوار الذين أثقل تحركهم وجود المدنيين الثلاثة معهم ، يسعون للتخلص منهم بأسرع ما يمكن . وبعد وصول روث بعشرة أيام ، أبعد الثوار المراسلين الثلاثة عن معسكرهم ، فبدأ الثلاثة مسيرتهم مشيا على الاقدام نحو مويو بامبا .

وفي السادسة من صباح العشرين من ابريل ، كان الرجال الثلاثة يخترقون المدينة الصغيرة ، باللباس المدني، ومن غير سلاح ، يحملون آلات التصوير ، ويحاولون استئجار سيارة « جيب » تقلهم الى « سوكر » ، ومنها الى « لاباز » ، عندما أوقفهم رجال المباحث ( الشرطة السياسية في بوليفيا ) . ولم يبد دوبريه في أولى فترات اعتقاله أي قلق ، فقد قال مثلا : انني أشهد بأنهم، في بوليفيا ، كثيرا ما يوقفون الصحفيين للتأكد من هوياتهم . وعندما قابل الكاهن الدومينيكي الفرنسي « الاب شوارتز » دوبريه ، وسأله عن ضرورة الاتصال

بالسفارة في لاباز ، أجاب دوبريه : لا داعي لذلك ، فسيطلقون سراحنا بعد ساعات ، مسألة تحقق من هوياتنا فقط .

وبينما هم موقوفون ، رآهم محرر جريدة « برسنسيا » الذي كان قادما من كاميري ومتوجها الى « سوكر » ، فثرثر معهم قليلا ، كزملاء أجانب ، ثم صورهم . كل شيء كان يبدو وكأنه يسير في مجراه الطبيعي ، الى أن تعرف سالوسنو شوكي ـ وهو أحد عمال المناجم الذين تخلوا عن الثورة ـ الى دوبريه وبوستوس ، فنبه البوليس ، وتولى البوليس ابلاغ المركز الرئيسي في لاغوتيلاس . وبعد ساعة كانت طائرة الهليكوبتر الوحيدة لدى الفرقة الرابعة تهبط في مويو بامبا ، لتأخذ السجناء الى ثكنة شوريني . ويقول دوبريه : « اعتقلوني في الثامنة صباحا ، وفي الثامنة مساء كانوا يعذبونني » .

وكان الذين تولوا تعذيب دوبريه من الضباط ، من رفاق الضباط الذين قتلهم الثوار ـ كما كانوا يدعون ـ وبعد يومين وليلتين من التعذيب ، فقد دوبريه وعيه ، في الوقت الذي كان فيه رفيقاه الآخران يعذبان أيضا . ولم تتوقف عمليات التعذيب الا عند وصول الميجور سانشيز ، فحلت الاسئلة محل التعذيب ، ثم جاء دور الخداع والمناورات . فقد عرضوا على دوبريه خبر وفاته في احدى الصحف الاجنبية ، وقالوا له : « ان أسهل شيء بالنسبة لنا الان هو أن نطلق عليك الرصاص فورا، فلماذا نقيم لك محاكمة علنية ، طالما أن الجميع يعتقدونك ميتا ؟ » .

ويضيف دوبريه في رسالته الشهيرة من السجن ، الى هذه التفاصيل كما رواها بيري اندرسون ، انهم لم يمتنعوا عن قتله رأفة به ، بل لانهم كانوا يعتقدون انه يملك معلومات خطيرة عن ثوار بوليفيا ، وشي غيفارا ، فقد سمعهم يقولون انهم يستطيعون الافادة منه وهو حي أكثر مما يفعلون وهو ميت . ويضيف دوبريه : أما سبب امتناعهم عن قتلي بعد أن يئسوا من أن أفشي بأية معلومات ، فقد كان لدافع آخر ، هو ان العالم قد عرف بعد ذلك انني ما زلت حيا ، فلم تعد تصفيتي الجسدية أمرا سهلا .

ولنعد الى رواية بيري أندرسون :

« بعد ذلك عرضوا على دوبريه اخلاء سبيله مقابل توقيعه على وثيقة يهاجم فيها الثوار ويتخلى عن كل معتقداته . كما حاولوا ، تحت التعذيب ، أن يأخذوا من بوسنوس شهادة ضد دوبريه . أما روث المسكين ، فقد كان لا يفقه شيئا مما يجري حوله ، نظرا لجهله بأهمية رفيقيه اللذين شاء له سوء حظه أن يرافقهما .

وبعد أربعة أيام من التحقيقات المتواصلة ، تلقى ضباط المخابرات البوليفية المساعدة من الولايات المتحدة الاميركية . ففي ٢٤ ابريل حضر عدد من عملاء المخابرات الاميركية ، والمنفيين الكوبيين . وبالفعل ، فان سجلات اوتيل « بيروت » بكاميري قد أدرج فيها اسما ضابطين أميركيين : الميجور ثيودور كيرش وجوزف كيلو ( من غير اشارة الى رتبته ) ، وليس صعبا استنتاج مهمتهما. وفي مايو ، وكان أي شيء عن مصير دوبريه ما زال مجهولا ، وصل نفر آخر من الضباط الاميركيين : العميد جوزف برايس والميجور كيرش ( مرة ثانية ) وجيمس ايفنس ( من غير اشارة الى رتبته ) » .

ولنترك رواية أندرسون عند هذا الحد وننتقل الى الرسالة التي بعث بها ريجي دوبريه من سجنه الى فرنسا بعنوان « ما أطلبه من رفاقي » ، لنجيب على أكثر من سؤال محير : هل اشترك دوبريه فعلا في حرب العصابات ، في الايام القليلة التي قضاها في بوليفيا ، وهل كان بالفعل يحمل رسالة من كاسترو الى غيفارا أو العكس بالعكس ؟

يقول دوبريه :

« لقد ذهبوا حتى فنزويلا وغواتيمالا ، يستحضرون من السجناء السياسيين شهادات ضدي ، ولكنهم لم يعودوا بأي دليل ، فقد كانت جميع الاسئلة ، من الصفع حتى المناورة ، هي اعادة ميكانيكية لتاريخ حياتي العادية، ولوظيفتي كصحفي مبعوث من ماسبيرو . وسقطت بذلك الدعوى التي حاولوا رفعها على كوبا ، فتحولوا لاقامة الدعوى علي .

كانت كوبا شيئا هاما بالنسبة لهم ، ففيها تسلمت الرسالة التي طلب فيها غيفارا مني التوجه الى باريس . يتحدث المستنطق في استجوابه عن « الفرنسي ـ الكوبي » وعن « تعليمات سيده كاسترو » ، ولكن لا بد انه ( هو أو كاتب الاستجواب ) قد استعار هذه الالفاظ من مجلة « ريدرز دايجست » وليس من ملف التحقيق نفسه ، الذي لا يوجد فيه الا الوقائع الشرعية . لذلك ، فقد لجأ بارتينوس الى أساليب أخرى لجر كوبا الى القضية ، فقد كان يشيع مثلا ان شخصي المتواضع سيتم استبداله بخمسين من السجناء عند كاسترو ، متابعا بذلك المناورة السياسية ، وهذا ما كان يجعلني أشدد على كوني مواطنا فرنسيا ، وأطلب حماية السفير الفرنسي . وكان تعلق قضيتي بالحكومة الفرنسية ـ لا الكوبية ـ هو اكثر ما يغيظ بارتينوس .

وبعد أن فشلوا طوال شهرين ، في اثبات مهمة العمالة علي ، أرادوا أن يثبتوا للرأي العام انني من رجال العصابات ، بل انني مسؤول وزعيم . وفي بداية الامر ، كانت القضية تتعلق بمناورة مؤقتة للالهاء . وكانوا يعلمون ان ذلك ليس صحيحا ، ولكنهم كانوا ينتظرون المزيد . فأجهزة الاستخبارات التي أجرت التحقيقات ، تعرف تماما ان هذه القصة ليست جدية ، وانه لو صح انني بالفعل قد التحقت برجال العصابات كمقاتل ، لبقيت مع العصابات ، ولما خرجت منها الا وأنا مقتول . بعد

فشل اللعبة حاولوا اقنـاعي بالاعتراف بانتسابـي الى رجال العصابات .

ولما فشلت اللعبة مرة أخرى ، حاولوا اختراع قصة « المجرم » للاستهلاك الشعبي ...

واستمرت الاحـوال على هذا المنوال حتى شهر يوليو ، حين خرجت من زنزانتي ، لاكتشف ان هنـاك شيئا اسمـه « قضية دوبريـه » ، وان الصحفيين يهتمون بها ، وانهم لم يجعلوا مني رجل عصابات فقط ، بل « المهندس الفكري لحرب العصابات » والمنفذ أيضا . وهذا كثير بالنسبة لرجل واحد. وأكبر دليل على استحالة هذا الامر ، هو انني لم أتعرض طوال شهرين ، لسؤال من هذا القبيل ، من قبل المحققين .

كنت ، بعفوية وبغير تصديق لهذا النوع من التهم ، أنفي كوني رجل عصابات . وكان هذا مزعجا ، خاصـة بالنسبة لي . فالانتساب العميق لحرب العصابات كـان يتفق مع نواياي وخططي منذ وقت طويل . وحتى الان ، وطالما ان العالم هو ما هو عليه ، فاني لا أتمنى أن أمـوت في فراشي . ولكـن « شي » قرر ان الوقت لم يحن لذلك ، وان من الافضل الاعلام عن حرب العصابات فـي الخارج . ونتيجة لذلك فقد شاركت في الحياة اليومية للمعسكر ، لان الوضع العسكري تطور بسرعة ومنعني من الخروج في الوقت الذي كنت أتوقعه ، ولكني لم اشترك في أية معركة ، حتى لا أجعل خروجي معرضا للشبهات ، اذا ما رآني سجناء أو ضباط . ومن جهة ثانية فان جيش الثوار كان له مفوضوه السياسيون الخاصون به ( أحدهم لقي حتفه ، كوكو بيريدو ــ وهو أحـد أصحاب المزرعة التي بدأ فيها تدريب الثوار ) ، والمعينون قبل مجيئي بمدة طويلة . أما كتابي « ثورة في الثورة » فقـد قرىء في أحد معسكرات الانتظار ، في أثناء غياب المفوضيـن السياسيين وغيابي ، وذلك بناء على مبادرة قادم جديد كان يحمل الكتاب في جرابه ، وقد استمع الى هـذه القراءة الهاربان من حرب العصابات وشوكيه ــ شوكيه ( الذين وشوا بدوبريه بعد ذلك ) . ولكن اذا كان الكتاب يعبر بالفعل عن أفكار « شي » ، فانه لم يساهم أبـدا في تنظيم حرب العصابات ، ولم يطلع عليه « شي » في طبعته النهائية الا في ابريل .

اني اذن أنفي كوني رجل عصابات ، لاني لم أكنـه بالفعل ، حتى ولو أصبحته بسبب بقائي فترة قليلة أطول. يقول تقرير عن اجتماع للجماعة القائدة ، عثر عليه فـي مخـازن الارشيف ، وهو الان بين أيدي الجيش : ان دوبريه وبوسنوس ، اذا لم يتمكنا من الخروج ، فسيصبحان من رجال العصابات . ولا أدري اذا كانت هذه الوثيقـة ستستعمل ضدي .

كما اني أنكر أيضا انني كنت مفـوضا سياسيا ، لانني لم أكنه ، كما لم أكن مسؤولا عسكـريا ، والجيش يعرف تماما كل هذا .

وأنا أعرف ان هذا النفي قد يؤدي الى التباسات . فالصحـافة البورجوازية ، التي تغـذيها التصريحات المزعجة لوالدي ، تطرح هذا النفي لتأكيد حق أو استحالة طبيعية لرجل القلم في أن يحمل بندقية ، والقول بـأن المثقف الثوري معفي من الخدمة الثورية ، واستحالة قيام « كاتب » بتلطيخ يديه بالسلاح . مما يعطي تقريبا : « ابني ليس مجرما ، من تعتقدونه ؟ انه ولد شريف ، الخ ... » ان هذا لشيء سخيف ، فعنـدما يكتب المرء ما كتبت ، فيجب عليه بالضرورة ، الضرورة النظرية والخلقية ، أن يتحول يوما الى مجرد مقاتل من غير بندقية ، قـلم سيىء ، ومن غير قلم ، بندقية سيئة ، لا يمكـن اذن أن تجعلوا مني روحا طيبة هائمة بالطبيعة ، هائمة في الجبال بفضـل « كرمها » ، ليس قرارا من عندي ، ولكنهـا ضرورات الكفاح ، وتقسيم العمل مؤقتا ، هي التي منعتني مـن القتال ، ومن الانخراط نهائيا فـي جيش التحرير الشعبي . وأنا حين أنفي انتسابي الى جيش التحرير ، انما أقرر واقعا ، وليس حقا غير موجود بالاعفاء .

واني أطرح هذا السؤال احتراما لرجال العصابات أنفسهم : منذ متى كان رجل العصابات ، والقتال ما زال في أوله ، يهجر منطقة القتال ، حاملا حقيبة سفر فـي يده ، وجواز سفر في جيبه ، حتى مـن غير مسدس يدافع به عن نفسه ؟ ان رجل العصابات يسقط وسلاحه في يده ( كوكو بيريدو ) . أو يسجن بعد أن يصاب بجرح فلا يستطيع الدفاع عن نفسه ( فاسكوبتر ) . حتى الذين يطردون من جيش التحرير ، لا يمكنهم النزول الى المدينة بثيابهم المدنية . ولو انني أستطيع التحدث باسم جيش التحرير ، كما يتحدث المقاتل المأسور في معركة ، لكان ذلك مدعاة سرور لي . ففـي النظرية التـي اخترتها ، ان الانتساب الوحيد الشريف ، هو انتساب المقاتل انتسابا كاملا . ان من سوء حظي أنني لم أكن كذلك . لذلك فانني لا أستطيع أن أهدي القضاة العسكريين أكذوبة لمجرد تسهيل مهمتهم .

ومع ذلك فانني لا أدعي أبدا حالة البراءة ، وحصانة المثقف ، ولا أسعى لغسل يدي من الدم الذي سال . فاذا كانت الكتابة عمـلا والتزاما ، فاني مسؤول عن تبرير وتمجيد حرب العصابات ، وأقبل هذه المسؤولية كامتياز. ولكني أطلب محاكمتي على ذلك ، على التحليل الذي كتبته للكفاح المسلح في أميركا اللاتينية ــ وحبذا لو كان هذا التحليل مفيدا لرجال العصابات .

ولكن لما كانت هذه المسؤولية ذات الطابع الخلقي ، التي أمثلها راضيا ، لا تقع تحت طائلة القانون الجزائي ، فقد نحتوا لي تمثال « لص » و « مجرم » ، فهذه الاسماء هي التي يطلقها على رجال العصابات أولئك السادة الذين تحمل ضمائرهم وزر قتل اكثر من عامل منجم ، واكثر من طالب . يدعون ، من غير اعتبار للسخف ، ان كتابي

ــ التتمة على الصفحة ٧٦ ــ

# رؤيا

في كل مساء ،
حين تدق الساعة نصف الليل ،
وتختنق الاصوات
أتداخل في جلدي ، أتشرب أنفاسي ،
وانادم ظلي فوق الحائط
أتجول في تاريخي ، أتنزه في تذكاراتي
أتحد بجسمي المتفتت في اجزاء اليوم الميت
تستيقظ أيامي المدفونة في جسمي المتفتت
أتشابك طفلا وصبيا وحكيما محزونا
يتآلف ضحكي وبكائي مثل قرار وجواب
أجدل حبلا من زهوي وضياعي
لاعلقه في سقف الليل الازرق
أتسلقه حتى أتمدد في وجه قباب المدن الصخريه
أتعانق والدنيا ، ...
في منتصف الليل

***

حين تدق الساعة دقتها الاولى
تبدأ رحلتي الليليه
أتخير ركنا من اركان الارض السته
كي انفذ منه غريبا مجهولا
يتكشف وجهي ، وتسيل غضون جبيني
تتماوج فيه عينان معذبتان مسامحتان
يتحول جسمي دخانا ونداوه
ترقد أعضائي في ظل نجوم الليل الوهاجة والمنطفئه
تتآكلها الظلمة والانداء لتخل صفاء وهيولى
أتمزق ريحا طيبة تحمل حبات الخصب المختبئه
تخفيها تحت سراويل العشاق وفي أذرعة الاغصان
أتفتت أحيانا موسيقى سحريه
هائمة في أنحاء الوديان
أتحول حين يتم نخامي زمنا
تتنقل في نجوم الليل
تتجول دقات الساعات

***

في كل صباح ، يفتح باب الكون الشرقي ،
وتخرج منه الشمس اللهيبه
وتذوب اعضائي وتجمدها ،
تلقى نورا يشف عريي ...
تتخلع عن عورتي النجمات
أتجمع فأرا ، أهوى من عليائي ،
تلقى نورا يكشف عريي ...
يلقى بي في مخزن عاديات
كي أتأمل بعيون مرتبكه
من تحت الارفف أقدام المارة في الطرقات .

من ديوان « انتظار الليل والنهار »

**صلاح عبد الصبور**

# قرأت العدد الماضي من "الآداب"

## الأبحاث

بقلم : جلال السيد

***

لا شك ان عدوان ٥ يونيو قد هز كيان الشعب العربي ووجدانه وتفكيره ، ودفع هذا الشعب وقياداته الوطنية الى اتخاذ اجراءات سياسية وعسكرية ومواقف فكرية لمواجهة التحدي الاستعماري الذي يهدد الوجود العربي وآماله وطموحه . وقد استطاع صمود الشعب العربي وتمسكه بزعامة عبد الناصر أن يقضي على أحلام المستعمرين والصهيونيين في تحقيق الهدف الرئيسي من العدوان ، وهو ضرب القوى الاشتراكية والثورية في المنطقة العربية ، والقضاء على فكرة الوحدة العربية وتصفية القضية الفلسطينية . ومع هول المفاجأة التي حدثت نتيجة العدوان فقد البعض - وخاصة من المثقفين - الثقة في كل شيء . وأثيرت قضايا عديدة بعضها حقيقي والبعض الآخر انعكاس لموقف بعض المثقفين المتشككين فيما حدث ويحدث من تغيرات حقيقية في الوطن العربي . وهؤلاء بدلا من أن يحددوا الموقف بأبعاده الحقيقية ألقوا اللوم على بعض أنظمة الحكم ، وأزمة الديمقراطية ، والواقع الثقافي ، ونسوا في غمرة حماسهم للنقد ضراوة الاستعمار الاميركي ومخططاته التي لم تتوقف عن ضرب القوى الثورية ومساعدة اسرائيل. ونحن هنا لا نحمل الاستعمار وحده نتيجة ما حدث ، بل نقف على جميع أبعاد القضية ، ونضع يدنا على الاخطاء وأسلوب مواجهتنا للاستعمار واسرائيل . ولكننا نهتم في الدرجة الاولى بدور الاستعمار الاميركي ومخططاته وأهدافه في المنطقة العربية ، ثم تأتي بعد ذلك مواجهة أنفسنا وأخطائنا ، وبدلا من القاء الشعارات والتحليلات التي أطلقها البعض من دعاة الانهزامية ، علينا مراجعة أنفسنا بصدق واخلاص للقضاء على السلبيات التي تقيد حركة الشعب العربي للانطلاق نحو أهدافه وأحلامه . وبدلا من أن يقف بعض المثقفين موقفا متعاليا على جماهير الشعب ، مدعيا أنه أقدر على التعبير عنه بما في ذهنه ، على هؤلاء أن يفهموا طبيعة هذا الشعب ومشاكله الحقيقية ويرتبطوا بقضيته ارتباطا مصيريا ، حتى يصبح لهم حق التعبير عن هذا الشعب ، عليهم أن يفهموا طبيعة الاستعمار الجديد وأساليبه وكشفه لجماهير الشعب وخاصة دور الاستعمار الاميركي في العالم العربي في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وتوضيح أسلوب مواجهته .

ومن هنا نجد أن ندوة « الآداب » التي نشرتها في العدد الماضي لم ترد على بعض الاسئلة التي تدور في ذهن القراء وان كانت مستها أو دارت حولها الا أنها طرحت بعض القضايا الهامة التي تحتاج الى مناقشات عديدة .

وقبل أن نناقش بعض الافكار التي طرحت في هذه الندوة نحدد طبيعة أبحاث العدد الماضي . فنرى أنها تنقسم الى قسمين واضحين :

القسم الاول : خاص بالمعركة الدائرة بيننا وبين الاستعمار واسرائيل ، وتناولته ندوة الآداب ، ومقال حقيقة اسرائيل ومصيرها .

والقسم الثاني : وهو عن الكاتب اللبناني الكبير رئيف خوري الذي افتقده العالم العربي في نوفمبر الماضي .

وبذلك نكون قد استثنينا مقال الاستاذ نزيه الحكيم : « على هامش ترجمة كتاب ماركسية القرن العشرين » الذي أثار فيه قضايا هامة تحتاج الى نقاش ، لكننا لم نقرأ هذا الكتاب بعد ، وبذلك لا نستطيع مناقشة ما جاء في هذا المقال .

وقد كانت ندوة الآداب مع المستشرق الفرنسي جاك بيرك ، الذي نقدر مواقفه واهتمامه بقضايانا العربية وان كنا نختلف معه في بعض أفكاره ، وكان موضوع الندوة : « العرب بين العالمية والاصالة » . وقد اتخذت الندوة شكل حوار أحد أطرافه جاك بيرك ، والطرف الآخر مجموعة من المثقفين العرب . وقد حدد الدكتور سهيل ادريس من البداية الخط العام لموضوع الندوة بسؤاله : - بعد نكسة ٥ يونيو الماضي ، ما هي في رأيكم منظورات العمل العربي الجديد ؟ ولكن طوال الندوة لم يكن هناك اجابة عن هذا السؤال وان كانت بعض المناقشات تدور حوله من بعيد ، وطرحت قضايا عامة كانت تفتقر الى الوضوح والتحليل ، وبدلا من الوقوف على دلالة ما حدث تفرعت القضايا دون توضيح الى قضايا عامة تحتاج الى مناقشات فلسفية وتختلف فيها المدارس الفلسفية والاجتماعية ، وفي النهاية لا تعالج القضية المثارة بل تتخطاها الى تعميمات لا تنسحب بشكل واضح على القضية العربية .

فمثلا كان موضوع الندوة « العرب بين العالمية والاصالة » ومع ذلك لم يحدد من خلال الندوة ما هو المقصود بالعالمية والاصالة وان كثر النقاش حولها واختلف الدكتور سهيل مع جاك بيرك حول مفهوم العالمية .

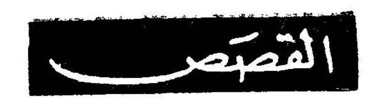
فيقول جاك بيرك : « لقد لعبت اليهودية بيدق العالمية ، أما العرب فلعبوا مع الاسف بيدق العزلة والانزواء . ان العرب هم الآن أكثر انزواء منهم منذ عشرين عاما . ان اليهود ممثلون في كل أمة وفي كل طبقة وفي كل مستوى من العمل الفكري . أنا أؤمن بالعالمية،وايماني بالعالمية يجعلني أؤمن بنجاح العالم الثالث ، لاني أعتبره ممثلا للقوة الارضية التي ستنجح وستنتصر على سواها » .

ومع أن الدكتور سهيل علق على الفكرة المتعلقة بالعالمية بقوله : « ان الصهيونية لم تلعب ورقة العالمية على نطاق واسع ، وذلك أن هناك قسما من العالم لم يؤيدها ، هو المعسكر الشرقي بصورة عامة ، وبذلك فقدت نصف العطف العالمي ، على أننا نريد أن نتساءل عن هذه العالمية الباقية ، أي القسم الذي أيد اسرائيل والذي لعبت اسرائيل ورقته : ألم تلعب الصهيونية هذه الورقة لانها مستعدة لان تكون أداة في يد العالمية وفي يد الاستعمار العالمي ، في حين أن للعرب خاصة وللشرقيين بصورة عامة من نضالهم وتاريخهم الطويل ما يجعلهم ينفرون من هذه العالمية ويفضلون الانزواء ، محافظين بذلك على ما يسمونه باستقلالهم ، خوفا من أن يصبحوا في مدى قريب أو بعيد لعبة في يد الاستعمار ، كما هي اليوم اسرائيل ».

الا أن الدكتور سهيل في رده سلم بفكرة جاك بيرك وأن اختلف في جزئيات معه واعطى تفسيرا لمدى عالمية الصهيونية وانزواء العرب ، ونحن نختلف اختلافا أساسيا مع كل ما جاء على لسان جاك بيرك .

فمن البداية لا مجال للمقارنة بين اليهودية والعرب ، نتيجة الاختلاف الشديد ، فاليهودية دين ، واليهود على اختلاف العصور عاشوا مشتتين في الارض ، بلا أرض ولا قومية - ليس اليوم فقط - بل منذ ثلاثة وعشرين قرنا ، يحملون جنسية الدولة التي يعيشون فيها ويتأثرون بحضارتها وثقافتها ، ويؤمنون باليهودية دينا لهم ، وفي القرن الماضي ظهرت الحركة الصهيونية كحركة سياسية مع المد الاستعماري

- التتمة على الصفحة ٧١ -




بقلم الدكتور : عبد المحسن طه بدر

***

اذا كان مبرر وجود الادب ـ حين لا ننظر اليه على أنه مجرد تسلية ـ هو معاناة الواقع والاحساس العميق الصادق بـه احساسا يكشف طريق المستقبل ، فانه يبدو في كثير من الاحوال ان الادب العربي لا يقدم تبريراً لوجوده ، وانه يبعد عن ارض الواقع والمعاناة كثيرا ، حتى ليشعر القارىء بغربة حادة وهو يمارس قراءته ، تتحول حين ينتهي من القراءة الى خيبة أمل مريرة .

وليس الادب وحده هو الذي يحمل صورة هذه الازمة ، فاننا نكاد نلتقي بها في الكثير من مظاهر ثقافتنا ، وان كان طابعها على الادب أشد ظهوراً ، وبصماتها أكثر وضوحا .

ولعل سبب الازمة يرجع الى أن المجتمع العربي في ظروفه الراهنة يستوعب عدة مراحل حضارية في فترة قصيرة زمنيا ، وهو تحت ضغط ظروف مصيرية لا يستطيع الانتظار ، بل هو على العكس مدعو بالحاح الى تجاوز هذه المراحل وتخطيها . وعلى أرض هذا المجتمع تتصارع بقايا من قيم المجتمعات الاقطاعية ، وتسود قيم بورجوازية ، كما أن هذا المجتمع مدعو بعنف مصيري لا يقاوم الى أن يعيش ويمارس ويتنفس القيم الاشتراكية .

والمثقف العربي ـ مهما بلغ اخلاصه وتفانيه ـ لا يستطيع الانسلاخ الكامل من مجتمعه ، فهو يعيش هذه التناقضات ويرغب في تجاوزها فيوفق أحيانا ويستسلم في أحيان كثيرة . ولعل ادراك المثقف العربي لهذه الظاهرة والاعتراف بها وسيلة من وسائل التغلب عليها وتجاوزها. وتفرز هذه الظاهرة مجموعة من السمات الواضحة على حياتنا الثقافية منها :

التناقض بين عقل المفكر العربي وعاطفته والانقسام الحاد في شخصيته ، فهو نظريا مقتنع بحتمية الحل الاشتراكي وتبني قضية الكادحين والمسحوقين والانتماء اليهم ، ولكنه واقعيا يعيش حياة البورجوازي ويحلم احلامه ، وقد يشعر بالعزلة وعدم الانتماء ويمارس الشعور بالتعالي على الجماهير وتتضخم ذاته فلا يرى الا نفسه ومصيره الشخصي .

ونتيجة لتمزق المثقف العربي بين اقتناعه العقلي وعواطفه وأحلامه ، فهو لا يعاني قضايا واقعه بصورة مخلصة ، وهو حين يتحدث عن الاشتراكية يتحدث حديثا خطابيا سطحيا في الغالب ، يمس الجانب الدعائي من القضية ، ولكنه لا يمس الاعماق ولا يكشف عن معاناة مخلصة للواقع .

ولان المثقف العربي لا يعاني واقعه فهو لا يتحدث كثيرا عن مشاكل مجتمعه ، ولكنه يدعونا الى تبني تجارب الاخرين . وتحفل مجلاتنا التقدمية بدعوتنا الى تبني التجربة الفيتنامية او التجربة الكوبية . والمفروض أن ندرك أن هذه التجارب لم تصل الى ما وصلت اليه الا بمعاناتها لواقعها معاناة كاملة مستفيدة في الوقت نفسه من تجارب الآخرين ، ولو أنها اقتصرت على تبني تجربة غير تجربتها لما استطاعت أن تقدم هذا الكفاح الرائع . ثم لماذا لا نتحدث كثيرا عن تجربة الجزائر وتجربة الجنوب العربي ، ثم لماذا يقتصر الفكر العربي على ادانة الواقع والمطالبة بالتغيير دون أن يكشف لنا عن وسيلة هذا التغيير واسلوبه ؟ ان المثقف العربي يحمل اكبر قدر من المسؤولية عن تغيير الواقع ، فاذا تخلى هو عن هذه المسؤولية فليس من حقه أن يدين أحدا.

ومن الظواهر التي تحتاج الى تأمل في واقعنا الثقافي أن ادانة السلوك الاستعماري البورجوازي قد تحقق بصورة عامة على المستوى السياسي والاقتصادي . ومع أن الكثير منا قد سلم بأن الاديب لا بد أن يتأثر بالواقع الحضاري لمجتمعه فان محاولة جادة لنقد الادب في المجتمع الرأسمالي لم تتحقق بعد . ومن المسلم به أن عناصر البقاء في الادب أقوى وأشد لانه يرتبط بالدوافع الانسانية الاكثر عمقا ودواما، وان تأثره بحضارته ليس بنفس وضوح التأثر على المستوى الاقتصادي والسياسي ، ولكننا نؤمن ـ مع ذلك ـ بأن الاديب لا يستطيع الانسلاخ عن مجتمعه بصورة حاسمة ونهائية ، فلماذا نسلم تسليما كاملا لادب المجتمع الرأسمالي ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تتمثل في عدة افتراضات لا يبرر واحداً منها المثقف العربي .

ومن المبررات التي نسمعها ان الاديب لا يجد تراثا في الادب الاشتراكي يغنيه عن التراث الادبي في المجتمع الرأسمالي . واذا صح مثل هذا الزعم فهل نحن مطالبون دائما بالتقليد ؟ ألم يئن الاوان بعد لكي لا نلقي بأحمالنا على غيرنا وأن نساهم كغيرنا في اثراء الفكر الانساني ؟

وهل يرجع السبب الى أن الاديب العربي ما زال يجد نفسه بصورة أصدق في الانتاج الادبي الذي يفرز غربة الذات ووحدتها وعزلتها ، وهل هذا الادب أكثر قربا الى نفسه واستهواء له من التفتح على جماهير وطنه وقضاياها ؟

أن كثيرا من الانتاج الادبي العربي المعاصر يحفل بالفروسية المدعاة وبمظاهر عدم الانتماء والسطحية وتضخم الذات وانغلاقها والضبابية والعزلة واليأس والهرب الى بيئات أجنبية . ودون معاناة حقيقية للواقع فسيظل أدبنا في حيرته وضبابيته يلهث خلف الاحداث ويندب بعد وقوع الكارثة ، ويظل دور الاديب كدور أي فرد عادي لا يكشف عن واقع ولا يمهد الطريق لمستقبل .

***

وتحمل قصص العدد الماضي من « الآداب » مظاهر لبعض هذه المشاكل التي يعانيها الادب العربي . فمنها قصتان تمسان الازمة العربية الراهنة وقصتان تهربان من هذا الواقع . ومع ذلك فالقصص الاربع لا تساهم مساهمة حقيقية في اخصاب رؤيتنا للواقع ، ولا في محاولة الكشف عن طريق ، أي طريق ، الى المستقبل .

القصة الاولى التي تمس الازمة الراهنة هي قصة « جامع الجثث » للاستاذ محمد خيضر . والقصة كما يتضح من عنوانها تتحدث عن أفراد من العرب كان عليهم أن يجمعوا جثث قتلاهم الذين قتلوا ويقتلون بيد الاسرائيليين في القدس ، وذلك كوسيلة لاكتساب لقمة العيش . يتحدث جامع الجثث وصاحب دكان نهب منه الجنود الاسرائيليون علبة كبريت « قال صاحب الدكان « هكذا ستجري الامور» ـ قال جامع الجثث « ابحث عن عمل آخر ، لم لا تنضم الينا ؟ » ـ « فكرت في ذلك ولكني أعرف القتلى جميعهم وهم يمرون كل الاوقات في طريقهم للمقهى! الغريب هو الذي يستطيع دفنهم . هذا هو السبب»».

وبعد أن تقرأ القصة يخطر لك سؤال ، لماذا اختار الكاتب هذه الزاوية بالذات من القضية ليتحدث عنها ؟ أليس اختيار الكاتب لزاوية معينة طريقا من الطرق لتحديد موقفه ؟ ألا يكشف هذا الاختيار عن اختيار كاتب أجنبي لا يبالي بالامر كله الا من وجهة نظر انسانية عامة ؟ أليس هناك جوانب من موضوع العدوان أكثر اثارة للعربي من هذه الزاوية التي نظر منها الكاتب ؟ ألا يستطيع الكاتب العربي أن يحس بقضيته فيستغرقه اليأس ليفاجأ بعد ذلك بضروب المقاومة الباسلة التي تسجل كل يوم على أرض فلسطين العربية ؟! الواقع أنه ليس من حق أحد أن يحدد للكاتب الزاوية التي ينظر منها الى واقعه . من حقه فقط أن ينظر الى أسلوب المعالجة ويحس بالصورة التي يحاول الكاتب كشفها .

يريد الكاتب أن يكشف بربرية العدو ووحشيته في معاملة عرب الضفة الغربية ، ولكنه في محاولته جمع صورا كثيرة من صور الاستسلام للعدو ، بحيث لا ينتهي القارىء من القصة الا وقد أحس بالاشمئزاز من نفسه أولا باعتباره عربيا يحمل كل جراح العرب واشمئز بعد ذلك من القصة . كل الصور التي التقطها الكاتب توحي بالقرف

ـ التتمة على الصفحة ٧٣ ـ



بقلم : شوقي خميس

***

ليس غريبا ان يضم عدد « الآداب » السابق اثنتي عشرة قصيدة لشعراء من كافة انحاء الوطن العربي ، فلا يحمل الينا هـذا القدر الكبير من القصائد غير طوفان من الانفعالات والقليل القليل عن حقيقة الاعتداء الاستعماري الصهيوني الذي يهدد حريتنا ووجودنا وفي الوقت نفسه يضم عدد المجلة السابق مسرحية شعرية للكاتب الالماني بيتر فايس يكشف فيها حقيقة العدوان الاستعماري البرتغالي على أنجولا مستنداً الى وقائع التاريخ والارقام والاحصائيات والشعر والوعي الثوري !

وقد تبرر قسوة الظروف الاخيرة طابع الانفعال الحاد الذي يسود أغلب القصائد خاصة تلك التي يعرض فيها الشعراء بشكل مباشر للاعتداء الغاشم . ومع ذلك فاننا نحتاج الى الذكاء واعادة التفكير في كل شيء الآن أكثر من أي وقت مضى ، فذلك وحده ما قد يقودنا لاكتشاف أسباب ما أصابنا من كوارث ويفتح أمامنا الطريق نحو مستقبل حر وعادل .

واذا كانت السياسة والقوانين وقوى التقدم والتخلف الاجتماعي والاقتصاد والفكر والاستعمار والرأي العالمي والاتجاه نحو السلام وحركات النضال التحرري والفقر هي الاشياء التي ترسم خريطة عالمنا وتخلق المناخ الذي يعيش بداخله الانسان فهل يمكن للانفعالات وحدها مهما كان صدقها وانسانيتها أن تقف في مواجهة كل هذه القوى المعقدة المفزعة وان تخلص الانسان ؟ بالطبع لا . ولن تكون اكثر من صرخات بدائية تجرفها الحقائق التي تم تدبيرها بالتخطيط والعلم والمال والدماء والجشع والجنون .

واذا كان على الشعراء أن يعرضوا الوقائع ويضعوها تحت أبصار العالم مصورين بذلك الواقع الوحيد الذي يمثل مسئوليتنا جميعا : المدن المهدمة والمنفيون المطرودون من ديارهم والخيانة والجشع الاستعماري والحرية الطعينة ، فهل يكون ذلك على حساب المستوى الفني للقصائد وقيم الجمال المطلوبة في الشعر ؟

ان صح ذلك فالافضل لشعرائنا أن يضحوا جزئيا بقيم الجمال، ولتكن كلماتهم خشنة بلا بريق من أجل أن تحمل قدراً أكبر من حقيقة العالم الذي نعيش فيه . أن الاتجاه الى الواقع هو طريقنا الوحيد وعلى شعرائنا أن يسيروا فيه ويخلقوا شيئا فشيئا قيم الفن والجمال مرتبطة بالقيم الانسانية اثناء نضالهم وتقدمهم شيئا فشيئا على اعدائهم وأعداء الانسان وكل من يحمل سيوف الاستعمار والتجويع والافقار والتجهيل .

واذا كان على شعرائنا أن يصلوا بأبصارهم وبصائرهم الى واقع الحياة الانسانية عبر مميزات وخطايا السياسة والاقتصاد والاوضاع الراهنة فانهم مطالبون أيضا كي لا يظلوا واقفين على سطح الحياة والاحداث بادراك أن حقيقة ما حدث ويحدث الآن لم يتم صنعه في لحظة واحدة وانما صنع خلال أزمنة عديدة ليصبح وجودا تاريخيا صلبا كثيفا متعدد الجوانب يعكس الارادات والنضال والعطاء والقوة التي يستحيل على أي عقل الكتروني أن يحسب حسابها فاذا استطاع الشعراء ان يحملوا ثقافة عصرهم وان يدركوا على نحو ما هذه القوى التي تقف بجانب الانسان أو تهدد حريته لن تصبح القصائد مجرد تعبير عن انفعالات الشعراء حتى وان كانت انفعالات بالقضايا العامة وانما سيوجد نوع جديد من القصائد تقدم لنا شعرا يمكن تسميته بالشعر الموضوعي على أساس أن هدف الشاعر من القصيدة سيكون شيئا أكثر من مجرد التعبير عن انفعال ما وانما هو محاولة لاسر الحقيقة الموضوعية الخارجية عن ذات الشاعر والمثيرة لانفعاله ، وعندئذ لن تتحول الانفعالات بسهولة الى قصائد وانما ستكون مجرد بدايات ودوافع للخلق وأيقاعات تتخلل صورة الكشف الفني الذي يقدمه الشاعر في قصيدته الموضوعية ، وبدون ذلك تصير القصائد مجرد دفقات انفعالية هشة يدحضها الواقع الخارجي . فحين لا يكشف الشاعر عن مثير انفعاله في الحقيقة الخارجية لن يجد أمامه سوى عالم المطلقات والميتافيزيقا ليضفي على عمله معنى ما وستبتعد الجماهير عن هذا العمل لان الناس يعيشون حياتهم العادية يعانون كل لحظة من حقائق الحياة المبهجة والمريرة فلا تقنعهم الاوهام .

الثدي والرحم ، للشاعر ابراهيم ابو سنة :

ففي قصيدة أبو سنة تعبير أنفعالي يصور عقم وجودنا برغم الثدي الرامز الى العطاء فان الرحم يرفض المنح وتظل الاشياء كما هي فاقدة لتلقائيتها وبراءتها وصفائها حيث يختلط الضحك بالنحيب ولا يكاد يتحقق اللقاء حتى يبدأ الفراق . ومن حقنا أن نتساءل أحقيقي هذا العقم ؟ وما السر الخالق له ؟ لكن القصيدة مهما قيل عن جودة صياغتها وما تتميز به من بساطة ووضوح وتركيز تظل مجرد قصيدة انفعالية لا تعطي سوى اجابة جاهزة قديمة . انها قوى الجبر الكوني التي خلقت المأساة كما يتصور الاغريق القدماء أو خطأ الزمان الذي أدى الى هذا العقم بتعبير الشاعر .

الزحام ، للشاعر ممدوح عدوان :

ويعود التصور القدري الى الظهور في قصيدة ممدوح عدوان ليريح الشاعر نفسه من عناء محاولة الكشف ولا يبقى من القصيدة غير انفعالات تائهة في صحراء القدر وتصورات غريبة عن تاريخنا الذي صنعه الحزن والجوع . ولكن جوع الشاعر يظل جوعه هو يحمله في دمائه لا جوع يوسف الصديق كما أن الاطفال الذين سيولدون قد لا يؤمنون مثله بالحزن كقدر مفروض عليهم وسيعرفون يوما ما تاريخهم الحقيقي .

الظل والقاع ، للشاعر جيلي عبد الرحمن :

ولكن اذا كنا نرفض الحزن الميتافيزيقي المعلق فوق رؤوسنا كقدر لا مفر منه فاننا نحترم الحزن الانساني العادي ونفهمه . ففي تواضع شديد وصوت عميق هامس يبثنا جيلي عبد الرحمن أحزان غربته وتتحول ظواهر الطبيعة في رؤيته الى رموز انسانية . فالسحابة المسافرة والثلج وغيوم الشتاء والطيور المهاجرة وذكريات الامس البالغة الرقة والبساطة رموز انسانية في القصيدة تصف غربة الشاعر وحزنه المتدفق من خلال الايقاع الموسيقي الهادىء الشبيه بالموج المتردد بين الحاضر والماضي وتظل القصيدة برغم موضوعها الذي أرهقته كثرة التناول متوهجة بالجدة فالاحساس في الفن الصادق لا يمكن فصله عن صورته ولا يمكن أن يتكرر .

من قلب النار ، للشاعر راضي صدوق :

وتقترب قصيدة راضي صدوق من أرض المعركة فتنجو من طوفان الانفعالات وتكون بمقاطعها الخمسة بناء شعريا قويا يبدأ من قمة الانفعال ( أن أصرخ بالكلمة في الارض العمياء - من يسمع .. من يسمع ؟ ) فيعلن ادانة للعالم الذي يسد أذنيه ولا يعترف بغير القوة ثم يتساءل مستنكرا في المقطع الثالث كيف تمزقت آمالنا على هذا النحو ، وكان من الممكن أن يلجأ الى القدر ليضع على عاتقه مسئولية كل ما حدث ، ولكن الشاعر باقترابه من أرض المعركة قد أبصر العدو في بيته وما كان يستطيع بعد ذلك أن يتهم الاشباح ، فانه أمام عدو حقيقي مريض بالعطش يتنصر اليوم لكن غدا يوم آخر ، ويكتفي الشاعر في المقطع الاخير بأن يصور سقوط القدس وينهي قصيدته بسؤال عن المصير ولا يضع الاجابة لانه يعرف تماما أن شعوب الامة العربية تعرف الاجابة وتعرفها من عهود بعيدة ولكن المهم هو أن يعرف الجميع الحقيقة وهي ما قدم الشاعر بعضا منها ، في اطار فني قوى متماسك ومثير .

عروة ، للشاعر سالم الخباز :

وتعود بنا قصيدة عروة الى طوفان الانفعالات فالشاعر يقدم

- التتمة على الصفحة ٧٥ -

# مصادرات على مصير

الشاعر الذي يسير مائل الرأس محاذرا فـــي الطرق المشبوهه
يقتات من جهامة الصوت وعقم رجعة لقمته المكروهه
يؤمر في كل تقاطع أن يأخذ المداخل الفرعيه
بطرح ـ في كل قصيده ـ على مشرحة الاسئلة الشيمه
يسال في خلقته المعوجة القويمه
يسأل عن نهربانه المعوجة القويمة
ورعبه في طرق العصر ، وعتمة الرؤى ، وغيبة الفكاهه.

***

الشاعر الذي يخوض زحمة العالم ـ بين مهده
ولحده ـ تسأله الاشياء
في وجهه يلبس كل مشهد عباءة القضاء
في الزمن المرعب .. كل لفظة وسكتة شهاده
بدينه ، يرجمه الكفر ، تميته العباده
يرفضه المزدحم الملىء والخلاء .

***

حاكمني الصباح والمساء
طرحت بين حجة الصمت وحجة الغناء
وانكشفت تحت شموس الفقر سوءتي ،
وغلقت منافذ الامام والوراء
واحترقت عريضة الدفاع في مواسم البيع وفي كهانة الشراء .

***

في زمن الجوع تسمن الاقفية المفلطحة
وتملأ الجرائد الملحه
بالصور البذيئه
وتغلق الشوارع المفتحه
بالجثث المطوحه
وتستنير المدن القميئه
بالانجم النحاس والأهلة الفضية الصديئه .

***

ـ كيف جرؤت ـ هذه اللحظة ـ ان تمر عبر بابنا المحرم
لا أنت من طينتنا ، ولا على ثوبك شارة الدخول !!
ـ انا مسافر مغترب ، غسلت طينتي في مطر الفصول
أرقص في الاعراس ، أو أنشد في مدائح الفحول
أو انشد المرثية التي اعددتها لكل مأتم
أو اسكب النبيذ ـ للذي يدفع ـ من عصارة الدم
حنجرة أنا لكل نابح وصاهل وشاحج ، للندب والطبول
مؤتمن على الحريم ، عالم فـــي شجر الانساب أو فـــي كيمياء الجنس للعنين والاكول
أدخل في المدائن الزانية المدخولة الاصول
أجعلها طاهره في كتب النسابة العدول
ادخل ـ متخما بالطبع ـ في أزمنة المجاعه
أجعلها حديقة مثمره او غيمه ممطرة في كتب التأريـخ والشريعه
أنا مسافر أدخل في البوابة الممنوعه
وشارتي التي ارفعها : قصائدي الطيعة المطيعه .

***

على منابر الفقر طعمت من ارغفة التخويف
وامتضغتني طرف الرعب فجئتكم بالقلم الانيف
وامنسخت ملامحي التوقعات والخيبة والتسويف
فجئتكم افسح صدري مرغما على هواء العالم ـ الكثيف
مسمرا على حوائط النذاله
تبيعني مواسم السخره والزيف لقاء حفنة من النخاله
تربطني في وتد الربا تطلقني في حافر الرغيف .

***

ـ كيف نجوت اذ دخلت الطرق التائهة الغريبه
وأفلتت رأسك من حوافر الخيل ومـــن خناجر الظلمة والرطوبه
وكيف لم تسقط بك القنطره الواهية الرهيبه
وكيف لم يغو عليك العالم ـ الحائط ،
كيف لم تغرق بك الجزيرة ـ المنفى ،
ولم تسقط عليك السدم ـ الاعجوبه !!
ـ تركت ـ في منقطع اليأس ـ رواحلي ،
شربت من ساقية الدماء في دواخلي ،
أكلت ما ابقته لي عاصفة النيران من سنابل ،
وجئتكم أظلع في توافه الهموم
اجمع باقتي من زهر الزقوم
أخصف من أشواكها دراعه تسترني من وجهي الموصوم
مبتعدا عن الغنائم المقسمه
وغائبا عن المحالفات والتواصلات والمساومه .

***

العالم الذي أقام ليلة المأتم .. ماله يرقص
في سرادق الجرائد المحنطه
والجبل الذي تطعمنا كنوزه برادة الحديد .. مالـــه
يجتذب السفائن المغنطه !!

***

القصص المستسخفات والقصائد المعاده
والناقد الابله والمعلم الجراده
اقيسة منتجة في منطق البلادد
والشاعر الذي يسير مائل الرأس محاذرا
يقسم انه سوف يموت غيلة
وانه سيبدأ العباده
وأنه سيأخذ الصفرة من وجوه جائعيه كـــي يفرشها سجاده ..

القاهرة

**محمد عفيفي مطر**

# العمل المتكامل والأداء المسرحي

بقلم الدكتور جلال الخياط

قضت الحرب العالمية الثانية على الانبساط الزمني الذي سيطر على كوكبنا الارضي وجعله يحبو طيلة عهود غابرة بالدعة والسذاجة والبساطة والسعادة الغامرة ، واتخذ الزمن مسارا جديدا ، مكثفا ، متشنجا ، يلغي في ابعاده من امتد بهم الوقت وانبسط ، وما عاد المحظوظون — التعساء ، في هذا القرن ، يستطيعون ان يقولوا في ست ساعات ما يجب ان يقال في ست دقائق، والا اصبحوا على هامشه ، وما عاد الرجل ذو الستين سنة الذي يحمل عقلية طفل ذي ست سنوات برجل هذا الزمان وواحده ، وما عادت التحية الصباحية التي تستغرق نصف ساعة هنا ، وايماءة هناك ، الا علامة متخلفة لا يبررها العطف المتبادل والصداقة المخلصة وعلاقة الاسان بالانسان ، واصبح من يعيش خمسين سنة في هذا القرن كمن عاش خمس مئة سنة في القرون السابقة ، ومن يقرأ خمسين صفحة الآن كمن قرأ خمس مئة صفحة في الماضي .

وظهر الصراع الزمني واضحا في كل مكان ، انكمش بعض الناس الى الماضي كرد فعل للرعب الذي اكتسح الانسان الوديع ، ونفذ بعض الناس الى المستقبل برؤية واضحة يخططون له نافضين عن كواهلهم اثم الحلم واستغراق الخيال فاصيبوا بالتشنج الحضاري فقد فاقوا عصرهم ذكاء ، واصبحت قضية الزمن لعبة هذا العصر واساس حضارته وتفسيرا لما فيه من مظاهر متناقضة .

وظهرت — في بلادنا — بعد الحرب العالمية الثانية ، نتيجة للتوتر الزمني ، محاولات شعرية بسيطة حيية تلغي نظام الشطرين في البيت الواحد وتنوع القوافي والتفعيلات في القصيدة ، وكانت ذات طابع فردي طفولي في اول امرها ، واخذت تبحث عن مضامين جديدة او تجد نفسها متورطة بموضوعات غريبة ، واشتدت يوما بعد يوم وفتن بها اصحاب التوقيت المعاصر ، ورفضها الزمنيون القدامى ، وتجادلوا وتشاتموا ، وتبرز هذه المحاولات السياب لابسا رداء الاستاذية ومسوح الريادة تتقمصه روح شعرية مجنونة لا تمت بصلة الى الدعة الانبساطية التي استغرقت قرونا عديدة ، وكان هذا الشاعر ورهطه يعبرون عن التكثيف الزمني من حيث لا يدرون ويحاولون بطفولية غامرة ان يمسكوا بخيوط التشنج الحضاري التي بدأت تصرع الرؤى السعيدة التي انتظمت الدبكات الشعبية ذات الايقاعات المنتظمة والالبسة الفلكلورية الشائعة .

وكان النقد الادبي يمارس الصوم الخرساني ، واعلن فريق من الكتاب بادوات التصميم وافعال الامر واسماء التفضيل موقفهم ازاء تلك المحاولات .

ووقع السياب ورهطه من الرواد في وهدةالتوقيت بعد ان سابقوه في اول امرهم ، ومضى ربع قرن ولم يحتفل احد بذكرى اليوبيل الفضي لتلك المحاولات التي ما زالت قصيدة واحدة ذات نفثه وجدانية واحدة وطابع رمزي — التزامي ، واعاق بعض النقاد من تطويرها بما كتبوه عنها ، ولم يهتم الناس بها كثيرا وانما عنوا بتلك الاقوال التي تلف وتدور وتقع في مهاوي النفعية والانانية واستغلال النصوص الادبية لتنفيذ المآرب الشخصية .

وربع قرن ، بالنسبة لما وطأته المخترعات الحديثة وما اكدته الحرب العالمية الثانية بما خلفته من توقيت جديد ، فترة طويلة جدا لمحاولات شعرية لم تتعد القصيدة الواحدة ذات الصفحة الواحدة ، ولم تتطور الى اشكال جديدة ، وانما كانت تدور في اطار واحد ، واختار بعض الشعراء عامدين ان يكونوا بين شقي الرحى ، التوقيت الزمني المكثف ، والانبساط الذي ما زالت تحيا فيه كثير من مظاهرنا الحضارية فتحدثوا كثيرا عن الالم والضياع والغربة والمأساة .

وكانت النوازع ترد الفنان بطلبات ارادية من الخارج ، في كثير من الاحيان ، فمؤلف النغم الراقص لا يبدأ بكتابته حتى يرى أمامه الراقصين بحللهم الزاهية، والقصصي لا يبدأ بتأليف قصته حتى يجد ناشرا ، والكاتب المسرحي لا ينشىء تمثيليته الا بعد أن يعثر على المسرح الملائم والجمهور المتحمس وبائع التذاكر النشيط، والخطيب لا يبدأ خطبته حتى يتأكد بأن الاكف ستكون مصفقة ، والشاعر لا يمدح حتى تتراءى أمامه الاعطية والجائزة .

أما عمليات الخلق الذاتي المنفصلة في وقت ابداعها عن المؤثرات الخارجية فقد كانت محدودة ، ولهذا لم تتطور القصيدة الواحدة طيلة ربع قرن .

ولم تخرج هذه القصيدة عن نطاق المحاولة ولم تقترب كثيرا من العمل الادبي المتكامل بذاته ، فقد كانت جزءا منه ساعدت الزمنية المنبسطة على تفكيكه وعدم

تكامـلـه ، ولذا بقيت تتخبط في محليتها ووجدانهـا الالتزامي .

وقد دعا بعض النقاد الـى وحدة الموضوع فـي القصيدة الواحدة ، وربع قرن مليء بالاحداث يدعونا الى اجتياز وحدة الموضوع الى وحدة العمل الادبي المتكامل الذي قد يتخذ شكـلا مسرحيا أو قصصيا او ملحميا أو يرفض هذه الاشكال جميعا ليبتدع طريقته بنفسه .

انتهى التكسب ، قتلته المخترعات ، وانتهى النواح والعويل ، فقد شب الانسان مبتعدا عن الدور الطفولي المتسم بالبكاء والشكوى ، وانتهت القصيدة الواحـدة ذات النفثة الشعورية الواحدة لنحث السير نحو العمل الادبي المتكامل يبدعه الكاتب او الشاعر او الفنان بعيدا عما سيؤول اليه هذا العمل من نتائج او ما سيجمـع حواليه من معجبين مصفقين أو حاقدين شاتمين .

العمل المتكامل لا يضع أمامه هدفا ، وقت انشائه ، فهو ليس للقـراءة أو المسرح او السينما او الاوبرا او الاناشيد الشعبية ، عليه أن يوجد أولا وبعد ذلك يتخذ له سبيلا من الاشكال التي ستقرر امكانيته غناء أو تمثيلا أو قراءة أو أناشيد أو شخصيات فولكلورية معروفـة تدور على ألسنة الناس من جيل الى جيل .

فكرة بسيطة مأخوذة من أسطورة يونانية كتبهـا برنارد شو مسرحية في مطالع هذا القرن اصبحت بعدها عملا متكاملا معروفا شائعـا بين الناس بمستوياتهم المختلفة ثقافة وفهما وادراكا ، فمن ذلك المثال الذي أحب ما صنعت يداه « بجماليون » الى عالم باللهجات يتخذ من فتاة ساذجة تتحدث بلغة تفصح عن ضحالة المنشأ والوسط – أداة خلق – فيـدربها في ستة اشهر أن تتحدث ثبلغة الطبقة الراقية ولهجتهم المميزة فتصبح منهم وتدرج بينهم ، عنصر السخرية واضح فـي المسرحية ، والفروق بين الطبقات ، والعلاقة بين الخالق والمخلوق ، وما يتخذه الانسان من وسائل زائفـة لحماية نفسـه وطبقته وتأكيد ذاته ، وغير هذا وذاك ، ويفهم الصغيـر والكبير والغبي والذكي هذا العمـل الادبي البسيط ، كل بما يتراءى له ، ويشاهد ملايين الناس هذه المسرحية سنة بعد سنة ولمدة طويلة بـلا انقطاع فتصبح جزءا مـن حياتهم وتتخذ سبيلا الى العمل السينمائي الناجح ويغني الناس في أفراحهم واجتماعاتهم الكلمات التـي ترددت على لسان تلك الفتاة الساذجة – سيدة المجتمعات الراقية بعد ذلك ، ويعجبون بالفلسفة البسيطة التي كانت تدور على لسان أبيها المتشرد الصعلوك ، واذا بأبطال المسرحية أصدقاء أحياء يعيشون بين الناس ، واذا بهذا العمـل الادبي المتكامل يفرض نفسه على الاوساط الادبية وغير الادبية دون ان يفكر برنارد شو حيـن كتب مسرحيته بهذه الامور جميعا ، ومات وما زالت مسرحيته تتخـذ أشكالا جديدة سنة بعد أخرى .

وهذا الاستاذ الهـادىء « نيكوس كازانتزاكي » مدرس الفلسفة المشهور يمتد به الزمن سنة وراء أخرى وهو قابع وراء كتبه ودراساته ومحاضراته وعالمه المتزمت واذا به يستيقظ فجأة برؤية واضحة جديدة فيجد الدنيا حواليه باردة مملة وقد تصرمت حيـاته في ذلك الجو المقيت ، ولكنه لا يستطيع العودة الى الماضي ولا ان يرجع شابا يستقبل الحياة من جديد ويعرف جيدا انه سائر الى الموت ، فيبدأ بكتابة تشخص رجلا يتمنى المؤلف أن يكونه اذا ما عاد به عمره الى الـوراء ، وهكذا تنقلب الحسرة الى عمل أدبي متكامل ، ويأتي « زوربا اليوناني » ليهز العالم بأقواله وليرى الاشياء يوميـا للمرة الاولى وليهزأ بالفلسفات جميعا وليضحك على العقول التي صنعتها الكتب وزيفتها بعيدا عن الطبيعة البشرية الخلاقة الصافية ، وانبهر العالم بتلك الاقوال وأصبحت تدور في أفكار الناس وتسيطر على بعض أعمالهم واذا بهم يتحدثون عن هذه الفلسفة الجديدة ويعجبون بهـذا الرجل الذي يستطيع ان يقف وحـده فـي خضم الحيـاة القاسيـة لا يحتاج الى عون مـن انسان أو تبرير مـن فلسفة ، ويذكرون بكثير من الجذل « بوبولينا » صاحبة الاساطيل الاربعة والقواد العظام الذين كانوا يغرقونها بالشمبانيا ، وذلك الجد الاعمى الذي يبكي بمراره لانه لم يعد يستطيع أن يرى جمال الفتيات الصغيرات في القرية ، وأولئك الناس البسطاء في « كريت » الجزيرة التي أحالها زوربا الى ضرب من الاحلام والاساطير ، وتتخذ القصة سبيلا الى العمل السينمائي الناجح ، ويحفر الطلبة اسم زوربا على مناضدهم تعبيرا عن السأم المقيت ، وهكذا استطاع أستاذ الفلسفة أن يثأر لحياته وأن يقدم لنا عملا أدبيـا خالـدا .

ولا يمكن أن نعتذر بأن النهضة المسرحية عندنا في أول أمرها وان الامكانيات محدودة وان الناس بعد لـم يهيأوا لمثل هذا العمل الادبي ، فالكاتب حين ينشىء لا يفكر في هذه الامور ولا يحاسب الناس والمجتمعات على ما ستؤدي اليه أعماله الادبية ، فالخلق الفني ليس عملية بيع وشراء ، وقد يسبق الاديب زمنه وقد يسبق المسرح بعشرات السنين .

وأعمالنا الادبية المتكاملة ، القـديمة والحديثة ، كثيرة ولكن لم يتح لنا أن نستغلها أو أن نستخرجها مـن مظانها لان تلك الاعذار ، ومحدودية الملكة والموهبة ، تقوم سدا منيعا بيننا وبين الانطلاق ، وأديبنا يتعجل الشهرة دائما ، فالاساطير والقصص القديمـة وأخبار الفرسان والرحالة والجان كثيرة جدا وهي تعيش حيية في بطون التاريخ تنتظر الضربة الساحرة لتخرج الـى الناس في نطاق أهوائهم الشخصية ومشاعرهم الانسانية اذ تهزهم جميعا فيرقصـون وينشدون ويقـرأون ويفهمـون ويضحكون ، وهمومنا الحضارية المضطربة الراهنة خير

معين لكثير من الابداعات الفنية ، وقد اصبح للرمز في شعرنا الحديث زهو وكبرياء يتحدى به الشاعر غباء عصره وزمانه ، وقد يلف الرمز أبعاد اكثر من قصيدة واحدة الا انه ما يزال يتيم النفثة الشعورية الواحدة .

أدت القصيدة الواحدة دورها بنجاح واستغرقت أكثر مما يقتضيه ذلك الدور في ربع قرن من الزمن ، وان كانت قد انتهت بشكل من الاشكال فهي ما زالت البذرة الاولى للعمل المتكامل السامق الذي يظلل الناس جميعا تحت أفيائه ، وستبقى المتنفس الاول لشاعرنا المتمرد ـ المقيد الذي لا يستطيع أن يعبر عن مشاعره بطريقة مباشرة والا فسيفضح نفسه أمام عصره الراهن المنبسط ، والقراء الذين يفهمون هذه القصيدة الواحدة كالصوفية لا يكشفون ولا يتكاشفون ، وهكذا انحسر الشعراء ومريدوهم الى طبقة اكثر من خاصة ، وأصبح للقصيدة الحديثة مناخ فريد من نوعه . حتى بالنسبة للاداب الاجنبية ، ونأت كثيرا وحلقت وصعدت ، وتبدو نهاياتها غامضة إذا لم تعد وتبسط بتوقيت حاذق وتتخذ لها أشكالا من العمل المتكامل .

المفاهيم الشعرية السائدة الان ستتبدل حتما وتتخذ لها أشكالا غير متماثلة في ربع قرن من الزمن وستعتمد الحدث الدرامي أساسا لها وستبتعد عن الغنائية وعن الاشعار الوجدانية المقطعة حوارا وعن المتنفس الوحيد لمأساة الشاعر المعاصر : القصيدة الواحدة المثقلة بالرمز .

وأظن ان على النقاد أن يكفوا عن الدعوة الى وحدة الموضوع وأن يدعوا الى أن يكون النص الادبي نفسه وحدة قائمة بذاتها وعملا متكاملا مشخصا ذا جو أصيل يلف عوالم كثيرة تدور في اطار واحد وتتفرع عنه انجازات كثيرة ، فالعمل العظيم يستغل بعد خلقه وتكامله مواهب الاخرين وقابلياتهم ليس لفهمه وتذوقه فقط وانما لتطوير أشكاله وتحويرها ونمائها مع الزمن .

وبهذا تصبح المحاولات الشعرية الراهنة طرازا قديما يتمسك به بعض الناس فيصبحون بمرور الوقت من دعاة القديم ، وتعود مرة أخرى ملهاة القديم والحديث لتشغل الناس وتلهيهم عن حياتهم الراهنة ، وكما قلت سابقا :

ان زمن القصيدة الواحدة ذات الصفحة الواحدة والنفثة الشعورية الواحدة والعطاء الوجداني ـ الالتزامي قد ولى ، واننا سائرون حتما الى الاداء المسرحي والعمل المتكامل .

جلال الخياط

بنغازي ـ كلية الاداب والتربية

# دان .. دان

« الذي اوجع النخيل تلك الليلة فمال ، اوجع أكف الرجال ايضا وهي لا تدري : بم تجيب أغنية الشيخ الذي ينفق كلما ازداد رقصا وغناء . والسطوح الطينية المجاورة انخفضت اكثر من ذي قبل – فيما ادري – وسؤال الشيخ ينزرع فيها وفي النباتات المقرفصة ازاءها ثقيلا ومحملا وحفيفيا .

والسوار الابيض المطعم بالانوف والوجوه الفامقة والعيون الموهجة يرتج حوله كلما اوغل في رواية فصته مغمض العينين مجنون الخطى .. يطوف بالحلقة .. فيخر الكتف الكتف نحرا كنما هو يؤنبه لما اصاب الشيخ السائل المغني ، فتصطفق الراحات بالراحات .. والاقدام بالاقدام .. ويعلو الغبار وتتصاعد رائحة الشواء الانساني من الاجساد المجهدة .. ويلح الشيخ في السؤال ، فلا يجيبه الجمع بغير : « دان دان » .

كان في لهجته ما ينم على انه من الجنوب من تلك القلاع التي بذرها الغزاة رصاصا ودما .. طاف .. وتلوى مثل أي نهر يسرق صمت الوديان واحزان المروج .

وكان يسأل : متى سيعود الى المراعي والجبال والحب الذي ينجم بينهما .. يسأل حتى امتلأ وذوى .

نظر الي صديقي في طريق العودة ، فاجبت على الفور :
« دان .. دان . » فواز

***

صفق الراقص فاصطفت على الجنبين جدران
.. ونخل .. وبدان
واستدار الليل خوصا .. ووجوها تتلوى دان .. دان
كان شيخا خلفه سبعون عاما .. وصحارى
.. وعلى الخصر نطاق .. وعلى الساج تلوب القدمان
تخفق الراحة كالنسر على الاخرى .. وتعدو
الساق خلف الساق .. يلتف ..
ويستعطي أكف المنشدين
يتعرى راقصا من عمره السبعين .. يرفض
جبين بارق .. تبكي – اذا اوجعه
اللحن – شفاه .. وبدان ،
ويغني .. طائفا بالساحة الكبرى .. فتنهد
أكف : دان .. دان

***

نزل الليل الى الساح فغطته العيون .
قبل أن تحمر .. غطته العيون .
واستقام النخل للريح .. ومال .
حينما هبت شمال .
واتكى الحائط مهدودا على الحائط .. والشيخ يغني
سائلا أيدي الرجال
قدماه اغبرتا .. والوجه يكتظ بعشب
الارض .. والطل .. فيخضر الجنوب .
بصبايا يتلثمن بعيدا .. وصغار يسألون
الشيخ – والصيحة في الاعين – ماذا سيكون ؟
طائفا بالساح .. كان
قبل ان تنهد أشجار الرياح الهوج .. أوجاع القلوب
قبل ان تحمر في الساح العيون
حاصروه .. اشتعل الشيخ غناء ..
حاصروه .. اشتجرت منه اليدان
فدنا منه خليج من أنف وشفاه : دان .. دان

***

هو في الساح .. وفي الليل البوادي
وعروس تتلوى في الفراش
وقتيل من أحبته .. دم في كل وادي
ويغني .. مثلما غنت صبيه .
هي أخت لشهيد مات في ارض بلادي
– قبليني .. قبليني .. لن أعود
لن أرى كفك ترتاع بكفي
لن أرى وجهك في الماء – اذا اعطش –
.. لن يشحب نايي اذ تعودين مساء
وعلى أرضي بقايا من دماء
يا عروسي قبليني .

***

وجع الشيخ .. توهج
دار .. فانحل النطاق وأكف تتموج .
– فمتى أرحل كالنهر اليها ؟
– دان .. دان
– وأراها – مثلما كانت – صبيه ؟
– دان .. دان
– آكل الخبز .. وأصفر اذا قالت : وداعا ؟
– دان .. دان
– تتدانى – ان بكت يوما على النهر بصمت – ضفتان ؟
– دان .. دان
– اشتري مهرا .. وحله ؟
– دان .. دان
– وعطورا للصبيه ؟
– دان .. دان
– نزرع الارض سويا ؟
– دان .. دان
– آه .. هيا .
صرخ الشيخ .. وجارت راحتاه .
نحر الكتف أخاه .. اصطفقت أيدي الرجال .
فأجاب الليل .. أقواسا .. وأجراس نجوم ..
وصحارى : آه .. آه
زرعوا الساحة اقداما حواليه .. فماتت من نحيب
قدماه .

الرياض

فواز عيد

# الشموس الساطعة

قصة بقلم حيدر حيدر

« الى غيفارا . الشمس التي هتكت ظلام عجزنا جميعا »

هنا دمشق . هنا القاهرة . هنا بغداد . بلاغ رقم ٧٨ صادر عن القيادة العامة لقوات العاصفة :

« في يوم ٤ - ١٠ - ١٩٦٧ هاجمت طائرات العدو ومظليوه احدى قواعدنا في منطقة طوباس ، ونشبت معركة ضارية دامت خمس ساعات متواصلة خسر فيها العدو أكثر من مئة قتيل وجريح،واستشهد من رجالنا الفدائي « سيد حجاب » بتفجير عبوة من الديناميت في جسمه بعد نفاذ ذخيرته . وقد نتج عن تفجره مقتل عدد آخر من جنود الاعداء الذين كانوا يحاولون اسره » .

انتهى البلاغ .

هنا الراوي : مبارك اسمك العظيم ، وجسدك الرحماني الذي انتثر ، ودمك الذي غار في الارض ليصعد نسغا في الشجر ، ولقبرك الضائع المجد . مبارك ملكوتك الفرد أيها الممدد فوق تراب أرضي المحترقة . طوبى لك ، يا عظيم أمتي التي تموت اليوم لتولد .

وسيد حجاب اسمه الاصلي مازن جودت ، ولد في الشرق الاوسط من ابوين فقيرين في أحدى المدن أو القرى التي كانت تنتمي فيما قبل لفلسطين . عاش في دمشق وعمان وبغداد وبيروت والقاهرة، وتنقل عبر جميع المدن . لكنه كان صامتا في المدن وحزينا . وفي هذه المدن كان غريبا كحيوان قطبي .

في خمارات احدى هذه المدن المحكومة لمحته ذات ليلة .

ثلة من الشباب الطالع على عصر مدهش ، كنا . فينا حيوية الرجال وفينا غضبهم ، وفينا أيضا صبوات رومانسية ، وربما أشياء أخرى غافية في الداخل تجهد كيلا تفصح .

انتحينا زاوية منفردة وطلبنا خمرا . أربعة شباب على ما أذكر : اثنان جاءا من أوروبا وضابط في الجيش والفقير . لحظات من الصمت ، انتصبت بعدها زجاجة خمر ، وطعام ، وتوجس خفي لما سيحكى . وفي الظل تكور سيد حجاب . واذكر أيضا أنها كانت ليلة ماطرة من ليالي تشرين الاول . الشوارع تلمع انعكاسات الضوء ، والمارة منكفئون نحو الارض يخبون الخطى بسرعة ، ورقص المطر يشبه زهو عروس نزف .

- لماذا يسرع الناس تحت المطر ؟

ولمحت سيد حجاب يفتر افترارة أسى . خيل الي ذلك من خلل أولى اشعاعات الخمر .

ورفعنا كؤوسنا : نخب ...

فوق جميع الدروب كان البلل ، وداخل البيوت الكئيبة انتشرت الروائح الارجوانية ذات الطعم المر . وعبر سهوب النفوس تمدد وجع .

السيارات تجتاز الشوارع هادرة ، ساحبة أضوءها المشعشعة فوق الاسفلت اللامع ، وداخلنا راحت الخمر تشعشع هي الاخرى .

- ما الذي بقي غير الخمر ؟

بعد الرشفات الاولى ، تخلخل التوجس وتسلل انكفاء خصوصي، عزل سيد حجاب والاخرين بستار من الطمأنينة وخيلاء الادراك .

- كانت هزيمة قاتلة .

قال أحد الاصدقاء القادم من بلاد الغرب .

وبألم واعجاب ذاتي رشف كأسه ، ثم استطرد : لو نفهم حقيقة ما حدث هنا في غيابنا ؟

ابتسم الضابط ساخرا : جزء آخر احتل من أراضينا !

وقال الصديق القادم من الغرب : ولكن لماذا حدث ذلك بهذه البساطة ؟

قال الضابط بعفوية مرة : لان ذلك قد حدث !!

ملامح مازن جودت كانت كالفراغ تماما . لا لون . لا رائحة . لا طعم . غير أن طريقة امتصاصه للخمر وزفره الدخان ، كانت تفضح حياده المقهور . وكزوبعة غبار صحراوي أحس قطار التاريخ يجمع فوق قضبان حياته التي مضت . حياته التي تساوي الصفر .

ويوم عبر الابوان حدود الوطن نحو المنافي ، مخلفين وراءهم الارض والذكريات ورائحة زهر الليمون ، لم يشعر أحد بسيد حجاب وهو ينمو في بطن أمه . واذ استقروا على أرض أخرى سمع كثيرا وشاهد . وها هو الآن عمره بعمر الفجيعة ما ينفك يشاهد ويسمع، ولا من أحد يعترف بجسده القائم فوق أرض أخرى .

وتتالت الايام ثم الشهور والسنوات ، وأخيرا نما كشوكة منسية في براري البشر الذين لهم علامة .

- وانت أيها المهاجر الحزين ما علامتك ؟ ( سأل نفسه فيما بعد).

فوق أراضي الغرباء مشى ، ولم تكن له مدرسة ، ولا عرف سقف بيت وما كانت له عشيقة . وفي لياليه كان ينسج للآلام والجراح راية.

لكنه كان مفطورا على المراقبة والتحدي بسكينة لا يعرف عنها أحد شيئا . وكان ينفر من الناس الذين عاش بينهم .

- انت يا غريب لماذا هنا ؟ ( سألوه بعد أن نما ) .

وفي طفولته سرق تفاح البساتين ، وخبز التنور ، وخوض في وحول المخيمات ، وضرب أطفالا خلال اللعب . وبصق على الشرطة السرية التي داهمت الخيام بحثا عن منشورات .

ومساء يوم نبر أبوه في وجهه : الآن شببت . كفى عبثا . ابحث عن عمل تعيش منه .

وفي صباح اليوم التالي سألت أمه عنه فلم يجبها أحد ، ومع الزمن نسيته .

الدروب .. الدروب . بحثا عن نقطة . عن أرض صلبة . بعد أن ضاعت الارض وخيم فوقها غزاة غرباء قدموا من خلف البحار . ومن مكان الى آخر ، من قطار الى قطار ، من مقهى الى خمارة ، من شارع الى فندق ، شرطي الحدود يسأله ، وقاطع التذاكر ، والحارس الليلي ، وصاحب الفندق : هويتك ؟

واذ يهزون رؤوسهم رفضا ، يندهش : أليس للعربي هوية في هذا العصر ؟

***

كانت الخمرة تتنامى وأصوات ضجيج المخمورين تعلو . والشتاء في الخارج يسكب دمع السماء على الارض الملطخة .

- في أوروبة كانت التوقعات بأن اسرائيل ستمحى خلال أربع وعشرين ساعة من على خارطة العالم .

قال القادم الثاني .

ورد الضابط هازئا : وفوجيء العالم بأن اسرائيل كان بامكانها...

- هراء .

وانبرى الآخر : ولكن لماذا توقف القتال ؟

أجاب الضابط بحزم : لان الاستمرار كان انتحارا .

على سطوح الوجوه ، استحم ألم عائم . وفي مملكة السلام الخمري زغرد الغضب .

بدا المناخ هادئا لكن ما في النفس كان أبعد من ذلك . كذلك كانت الايام الستة بعيدة الآن عن هؤلاء المتشحين بالنصب والالم .

ومنذ أيام قلائل خرج من السجن . ضرب وعذب ، ولعنوا أهله ، كذلك فلسطينه ومن آواه وأطعمه . ولم يحتج . لم ينبس ببنت شفة . ونحو مدينة أخرى قذفوا به : ابن الزانية نؤويك وتخرج في مظاهرات ضدنا !

حول المعركة التي دارت ، احتدم جدل حاد ، وحول دور الشعب فيها ، والاخطاء القاتلة ، وحول الثورة أيضا .

كان مازن جودت يسمع جميع ما يدور الآن من كلمات . وقبل الآن سمعها في أماكن أخرى . في بيروت سمعها وفي بغداد وفي القاهرة وفي عمان . النغمات ذاتها والطنين الجحيمي لرجال يعوضون قصورهم بتفجير الكلمات .

قال أحدهم : هزمنا لاننا لم نكن علميين . هذه معادلة رياضية لا تقبل الجدل .

وقال آخر : ولم يكن للشعب دور في المعركة .

وزفر الضابط : لم تكن هناك وحدة .

استطرد الاول بعد أن تناول جرعة : كان الغرب ضدنا لاننا كنا ضد أنفسنا . كنا نجعجع ونشتم ونهدد بسحق اسرائيل ورميها في البحر . في الغرب سحق شعب نازية ونحن في نظرهم كنا نازيين .

قال الضابط متأففا : ولكن من هم النازيون الآن ؟

مطمط القادم من بلاد الغرب شفتيه استهزاء : الآن .. هيه .. مرحبا الآن . دائما نجيء بعد فوات الوقت . انني أسألك : لو كنا المنتصرين ؟

تأوه الضابط محسورا : ولكن لماذا ندفع نحن ضريبة الاضطهاد النازي لليهود ؟ الغرب هو الغرب لا يريد أن يفهم .

وضرب بقبضته سطح الطاولة .

***

كان الصديقان قادمين من أواسط أوروبة ، ليشاركا في معركة الوطن التي انتهت . من جحيم التهمة كانا هاربين الى أرض التبكيت للتعويض عن احساس الاثم . وفي الطريق بكيا على الذين ماتوا في الحرب . في جميع المدن التي عبرها ، رأى مازن جودت أناسا يهربون وينافشون ، يتهمون ويبكون ، لكنه لم يشاهد احدا يقتل . وكالحجر ظل صامتا يرى ويسمع .

توقف المطر وزاد صخب الخمارة . والذين تحلقوا حول الخمر ، رشفوا حجارتهم وراح الاسترخاء يدب في خلاياهم المتعبة بفطريته . ومن خلال حوادث التاريخ والمشاهدات اليومية الصامتة ، أدرك سيد حجاب لعبة القناعات الخاصة ، وتوالد التبريرات في النفوس المطمئنة ، العاجزة عن فعل شيء حاسم فيما أسموه : الظروف الموضوعية السيئة .

في كل مكان كان الدوار . المصروعون يدورون حول انفسهم وحول تاريخهم داخل غرف من زجاج وحجر ، محاولين عبثا الخروج من لفيح النار المقترب : لو تنجو المدن من اللفح ؟!

واذ توشك المدن أن تحترق ، أجيال الخمارات والشوارع والابنية النظيفة المرتبة ، تولد قناعات نفسية بأن الحريق بعيد .

منفردا يدرك سيد حجاب أن النار في الداخل . في النفوس الخامدة ، فتلتمع طوباس في نفسه ، متألقة كبرق خاطف : هناك هويتك !

ــ ما للسيد صامت لايحكي؟

أجاب الفقير كسيفا : ما الحل ؟

قليل من الخمر رشفته شفاه السادة ، وفي الاعماق توالدت أجوبة رفدت بحور الكلمات . واستمر الحزن والوجع غافيين تحت رماد الحرائق . واستطرد الفقير : هل فكر أحد منا أن يفعل شيئا ؟

وبعيدا عن الخمارات وحوارات العقم لاحت المدينة الرازحة تحت أحذية الغزاة منارة تتوهج ، وتحديا . كانت برق الانقاذ في الليل العربي المخيم من محيط الشمس الى خليجها . مزيد من الدم يروي الارض ، يعيد لها خصوبتها . مزيد منه يرد الحرائق .

ــ اشربوا اكثر نخب الامان والظروف الموضوعية .

والمدينة الخمرية لما تحترق بعد . وفي سره صاح سيد حجاب : لو تحترق . لو كل المدن المطمئنة في مشارق هذه الارض ومغاربها تحترق هي الاخرى . لو ...

***

من العالم ، ومن حياته ، ومن جيرانه السعداء ، ومن تلك ( اللو ) القاصرة سخر سيد حجاب وهو يشعل الفتيل عاديا نحو الجنود المتحفزين لاصطياده .

مرة أخرى وهو يقترب من مجد الموت انطلق قطار حياته . جامحا كشرارة . منذ عشرين عاما اقتلع جذره ، وضرب في الافاق تحت كل سماء . كان غريبا كالوحش ، ولم تكن له شمس . اغتصبوا أرضه وصبايا وطنه ، وعلى جميع الدروب التي عبر لاحقته سياط الازدراء .

ــ للناس وطن وأنا لا وطن لي . للناس شجر وشجري منهوب .

سنوات المطاردة والعسف . ثم الخطوات . اجتاز حدودا . دخل زنزانات وخرج . وكجميع الناس حاول أن يعمل في المعامل والحقول وفي المطاعم والمقاهي فقيل له : من أنت ؟ عد الى بلادك .

وكما تجوع الذئاب ، جاع . غطته سموات لا تعرف الشفقة ، وعرفته الخمارات والمواخير والارصفة السوداء . وفي كل مكان كانت التهمة تشيل امام عينيه كعمود من دخان فاحم .

كان فتيا كعاصفة عندما أنكره أهله ، وجرجر خطاه فوق أرصفة العالم شبيه كلب جرب مطرود .

وكالعاصفة كان دويه . بعيدا عن مدن الكلمات والحكايا الافيونية الخائفة ، التي لم تنفجر هي الاخرى .

***

ــ ما الحل ؟ انت تسأل .

ــ أجل ما الحل ؟

ــ الحل أن نقاتل حتى الموت !

قال الصديق المتحمس جدا .

رد الفقير : رائع . ثمة سلاح . أنلتحق بالمقاومة ؟

هرهر الاخر : هذا هراء . القضية ابعد من ذلك . ماذا يستطيع الفرد ان يفعل ؟ وأكمل : اتركونا من الانفعالات المراهقة ولنفكر جديا بالشعب والثورة .

وصمت الاول .

واضاء سيد حجاب بجسده ، شمسا ساطعة ، وهوى فدائيا متميزا وسط الضجيج ودوي التبريرات ، والاقعاء اليومي ، لم يقل شيئا زمن الحرب . لقد حمى رفاقه المنسحبين غب المعركة برشاشه حتى خلا من الرصاص ، واذ تقدم جنود العدو منه فجأهم كالصاعقة بانفعاله المراهق وفتوته المحشوة بالديناميت ، فبددهم .

ــ ماذا يستطيع الفرد الخلاق أن يفعل اكثر من ذلك في زمن الاغتصاب ؟

ــ نخب الامتيازات ايها السادة الخلاقون جدا .

واترعنا ما تبقى .

***

كانت الخمرة قد تمددت بمجدها السروري في خلايا الرأس ، وراحت أجساد السكارى تتمايل بوهن ، خارجة من بوابة الخمارة الى الليل المطر .

سرينا في الشوارع كجرذان هرمة ، تحت قمر فضي نبق فجأة من خلال الغيم الراكض عبر سهول الماء . كانت الابنية مبللة راشحة ،

وسكينة حالمة تعانق المدينة . بعيدا جدا عنا كان سيد حجاب الان .
وتساءل أحدهم آسفا : أليس حراما ان تحتل هذه المدينةالعذبة؟
ران صمت الا من الخطوات التعبى . واشعل احدهم لفافة تبغ زفر دخانها بحرقة في الفضاء الاصم .
ــ لماذا مات سيد حجاب ؟

أكان ينبغي أن يضرب كل بيت ، وتفقد كل آسرة انسانا ، لتنفجر المدن الرخية التي تبدأ السكر والنسيان منذ الغروب ؟ من عالمه لم يكن يملك شيئا سوى حياته التي لا تساويه ولا تساوي عصره النذل . كان مدانا لانه عربي وكل ماضيه كان كهذا الغبار الموحل تحت مطر الخريف . سمع انه من خير امة اخرجت للناس ، وطاولت سماءه اصداء الثورات لكنه كان يسمع شتيمته في الصباحات والليالي ، وفيجميع الطرق والساحات : أيها الفلسطيني القذر !

وهاهي الارض المضروبة بحوافر الخنا ، تطل من عيون الذين ماتوا في الضحى وما كفنوا ، تطل من الدروب المحاصرة ومؤق الماضي الملوث ، وافواج الهائمين السكارى بالخمر وحروب الكلمات .
ــ أليس حراما ان تحتل هذه المدينة المجللة بالخضرة والخمر والمطر المهمور ؟

ذلك كان ختام الجهاد الاكبر لنفوس تبوح في الامسيات باشجانها للاشياء ، تواسي بها جراحها الخفية . وخارج المدينة كانت افواه اخرى تنوح مشرعة جهادها واستجداءها . تطلب النجدة وفرق الاطفاء لاخماد الحريق الذي اندلع ، وسطع جحيما فوق ارض العرب ، عندما كانوا يغنون .
ــ فلسطيني انت ولست عربيا يا مازن جودت .
ومن بعيد كانت تدوي اصداء المقاومة ، تطل هي الاخرى محمولة داخل توابيت الحبر الملطخ بالافيون ، واذ نشم الروائح تسري الطمأنينة والسكينة فينا . انهم يقاتلون ويقتلون عنا .

ما زلنا في شوارع عامرة بالنيون والصمت نعوم ونترنح . فوق اكياس رمل عتيقة منزوعة الاحشاء ، عبرنا . لمحنا ما يشبه الخنادق التي حفر ربعها ثم اهملت وتركت كحياتنا الناقصة ، منقوعة تحت الشمس والنيون . قرأنا داخل لوحات مضاءة بالنور الساطع :
« باعجاب نحيي نضال المقاومة في الارض المحتلة » .
وتذكر الذين مزق احشاءهم العطش ، وسلخ جلدهم حريق الشمس والقذائف . الذين تاهوا فوق سيناء موسى وما وصلوا .. الخونة ايضا تذكرهم ، وعبيد الامتيازات ، ثم الجبناء . هؤلاء لماذا لم يقتلوا ؟ اكان ينبغي لوطن النسيان والرسوخ وعلم الكلام ان يغطي بالدم من محيطه الى خليجه ليفيق من كهفته الدهرية ؟
ــ لو كل رجل يحتسي دم ابنه . لو كل امرأة تأكل ثدي ابنتها المقطوع . لو السماء تمطر دما وقتلى !!
واذ قال له القائد : « انس اسمك القديم . منذ الان انت « سيد حجاب » . اتعلم معنى كلمة فدائي ؟ » لم يعرف اكثر من انه سيقتل او يقتل . وصمت متسائلا .

قال القائد للفدائي الجديد : الفدائي قتيل حي . زمنه قصير ويحيا مع الصدفة في اي منعطف . في دمه يحمل المستقبل لا ام له ولا ابن ولا زوجة . حيوان بري . لحافه كل سماء ، وارضه جميع الاراضي الموبوءة بالعبرانيين القتلة .

يبحث عنهم بحذر وتصميم ، وبيده رشاش وقنبلة . دمه مباح وقلبه من حجر لا يلين . الفدائي يلبس حجاب لا يعرف الفرح ولا مسرات الارض الا وهو يضرب من اجل جميع العجزة والمضطهدين على هذه الارض .

خذ هذا الرشاش وهذه العبوات والقنابل . اذا وقعت وبحت تموت . فيما بعد تأتيك الاوامر .
واذ تسلمها لم ينبس .
وفيما بعد اصدر سيد حجاب لنفسه أوامر ادارية . صدع لها ، فسقطت في قاع حياته وشوشات المقاهي والخمارات وثرثرات اوصياء التاريخ . تخطى باوامره الفردية التي خرجت من رأسه لتبذر كالحب في ارض القتل ، حياة كانت خسيسة ، حياة ملايين تبرر وتحلم تحت شموس من دخان ومذلة . ومضى مخلفا وراءه مدن الطاعون والامتياز .

مررنا بحارس كان يشخر داخل مخفره الخشبي . وعبرتنا سيارة يقهقه فيها رجل وامرأة . اجتازنا موكب مراهقين تقيأتهم احشاء اقبية ناعسة ، راحوا يرقصون فوق الارصفة وللريح يرمون ضحكات انثوية ساخرة .
ــ سأوى اللقيط نفسه الان .
بينما تابع الابناء الشرعيون سيرهم مخدرين نحو بيوت آبائهم ، تحت سماء راحت تصحو . بعد لحظات سينامون في ممالك مسراتهم المموجة بالفرح والنساء واحلام التأنيب . يرون الطير الابابيل تسقط حجارتها على ابناء موسى اللقطاء ، فيغفون .

طفل في لون الارض والشقائق ولون نفسه ، ينام الان خارج ممالك الفرح والاحلام في هدوء على الارض التي استحقها بعد ان عمدها بدمه، وفوق نثار جسده تمدد غصن خرنوب ، قطفه احد رفاقه من شجرة فلسطينية مجاورة .

الظلال ، والماء ثم الدم الذين ماتوا ، للذين تاهوا فوق الصحارى ولم يصلوا .

دمشق

**حيدر حيدر**

## قصيدتان

### ١ ـ الرمز والكآبة

لو كنت يوما أحسن الكتابه
لما شكت قافيتي الهموم والكآبه
كنت تحدثت عن الجسور
عن غابة تورق في الصدور
عن مدن شديدة الغرابه
عن بيتنا المليء بالقشور
وأمّ في قبته سحابه
ترشنا بالماء والعطور
كنت ملأت جيبك العريض بالغرور !

وكنت أرسلت مع النسيم
وريقة بليلة بحبي
تحمل ما تحمل اعوامي من الحنين والصبابه
الى وجوه رسمت بقلبي
دنيا من الحب بلا تخوم .

***

لو كنت يوما أحسن الكتابه
كتبت فوق جبهة الغدير
مرثية لبلبل يموت في الهجير
حررت أشعاري من الرموز والكآبه
غسلت وجه دفتري الفارغ من سنين
بأحرف عميقة الرنين
جعلت منه لابنتي حديقه
أزرع في ترابها فسائل الحقيقه .

●

### ٢ ـ النقطـة

تشابكت أيدي الرؤى
وأينعت في خاطري فروع
وكل فرع في الحنايا مدّ واستطال
وعانق المحال
الحب ماء ، والحروف في يدي سلال
والحزن برتقال

***

يا ليتني أغوص في قرارة الينبوع
يا ليت هذا الغصن المكسور في صدرى
يسعفنى ،
فأملأ السلال
قبيل ان تشحب في راحتي الشموع
يا لهفة الجذر ، ويا صبابة الفروع
الحزن برتقال
وفي الحنايا جوع .

**محمد سعيد الصكار**

# الأدب المتكامل والشعر عند العرب

بقلم مدني صالح

١ – ان السياب والبياتي وسعدي يوسف وادونيس وخليل حاوي ونزار قباني وصلاح عبد الصبور شعراء وقد كتبوا شعرا وانت اذ تقرأ لهم انما تقرأ شعرا ثق !! وهذا هو كل تعريف للشعر .

٢ – وان الرصافي والزهاوي والجواهري وابن مالك صاحب الالفية في النحو نظام ... وانت اذ تقرأ لهم انما شعرا في حدود الوزن والتشبيه والقافية الحسن وبلاغة الصياغة ورنين العبارة بين جزالة الاسلوب واشراق الديباجة من جهة ، وبين رقة الحاشية واختيار اللفظ المؤثر في السامع وفق متطلبات الحاجة تارة ووفق المصلحة العامة اخرى وتمشيا مع المناسبة الطارئة في حالة ثالثة وهكذا .

اما ان جاوزت حدود جزالة اللفظ وسهولة العبارة وحسن الارشاد والموعظة الحسنة ومتانة الصيغة واشراق الديباجة ومطابقة القول لمقتضى الحال ، فانك لن تجد فيما تقرأ لهؤلاء غير نظم بريء من الشعر براءة الذئب من دم ابن يعقوب رغم شدة الادانة وشيوع التهمة ... وهذا هو كل تعريفي للنظم البريء من الشعر ...

٣ – اما حين تقرأ مستعرضا شعر شوقي وابي شبكة والأخطل الصغير وامين نخلة وابي ريشة فانك تحس ، اذ تقرأ لهم ، شعرا مخنوقا تحت اغطية مزهقة من النظم ووراء دخان كثيف يشتد على شعر القصيدة خنقا وبيتا بعد بيت كلما اشتدت رتابة القافية على الشاعر خنقا وتضيقا .. وهذا هو كل تعريفي للشعر المخنوق ..

ولك من بعد هذا ان تصنف شعراء العرب ، ان شئت وراق لك ، انماطا واتجاهات على نحو ما وصفنا ، او على نحو ما تطرفنا ان توخيت الدقة في الوصف وراق لك التطرف !! ولتطرف مخلص خير الف الف مرة من اعتدال متواطيء !!

ولك ان شئت واستهوتك الفكرة – وعساها تستهويك – ان تسلك مثلا بلند الحيدري ونازك الملائكة وفدوى طوقان وفؤاد رفقة مسلك الشعراء.. وان تسلك محمود سامي البارودي وعبد الغفار الاخرس وحافظ وعظيمين كالمتنبي والمعري مسلك النظام .. واسلك اخيرا ابن ابي ربيعة وابي نؤاس مسلك الشعر المخنوق..

ثم واصل من بعد هذا النمط في التصنيف استعراض طبقات الشعراء عبر تاريخ الأدب العربي منذ اصحاب المعلقات حتى صاحب « مأساة الحلاج » وهو صلاح عبد الصبور ، صاحب اول نص ادبي تكاملي في تاريخ الادب العربي ..

اضف الى هذا صعوبة نسبة اي من شعراء مرحلة ما قبل البياتي والسياب الى مرحلة الشعر رغم كل ما في الاشارة الى هذه الصعوبة من حقيقة قد لا يرضىعنها كثير من المهتمين بالفكر العربي بل وقد لا يتورع بعض الناس من توقع وافتراض طقوس واحوال وراء الاشارة الى مثل هذه الصعوبة ..

ووجه الصعوبة محض ظاهرة قد لا تستوقف الا قليلا من المهتمين بالشعر العربي لكنها تستوقفني بشدة وبوضوح .. وهذه الظاهرة هي ان الشعر فن فتحت به الظروف الحسنة على العرب بالبياتي والسياب وتابع من بعدهما المسيرة شعراء حتى تمام الفتح بعبد الصبور.

لكن النقاد يسوون من الحبة قبة فبيتا فمحلة فمدينة .. ويسوون المدينة من بعد ذلك عاصمة تضج بناطحات سحاب المصطلحات المعقدة وبفصول سيركس نظريات مفتعلة اسرافا ومبالغة !!

والنقاد يفصلون للبراغيث قمصانا وسراويلواحذية ومعاطف واربطة .. اسرافا في الحذلقة !!

وهكذا سوى النقاد من بداية الشعر في الادب العربي قضية ونفخوا فيها نفخا عنيفا حتى خيل للقارىء البريء ان شعر الجاهليين في خطر وان شعر المخضرمين في خطر وان امجاد شعر العرب وكيان ومصير العرب في خطر امام موجة الجديد في الشعر والجديد في الحياة .. فهاج قراء وماج نقاد وتعنتر اميون طالت بهم سنون التحنيط وتثاءبت ملء الكسل ترهلا واشتد بهم الشوق الى ممارسة عنتريات فارغة في سبيل رفض الجديد ... كل جديد !! « ... لان الجديد بدعة ... والبدعة ضلالة ... وكل ضلالة الى النار » ..

والقضية ، كل القضية ، هي ان هؤلاء قد استكثروا واستغربوا ان يبدأ في ادب العرب شعر بعد ان طالت عصور نظم الخرائد والمشطرات ، وتمطت التخميسات والتسبيعات وتثاءبت اراجيز في المدح وفي الرثاء وفي النحو والصرف وفي الفخر وفي العقائد والمواريث وفي «العنتريات التي ما قتلت ذبابة» وفي استعطاء واسترضاء وتملق السلاطين ..

لكنها خصومة عابرة بين قديم وحديث في بيئة اهل الكهف واهل الكهف لا يدرون كم على وجه الدقة قد لبثوا ... ويحسبون ، وهما ، وتخمينا ، انهم انما قد ناموا يوما او بعض يوم وان مرور اليوم لا يخلق جديدا ولا يذهب بطرافة ادب ... ولم الجديد وما الحاجة الى التجديد ونومة اهل الكهف بعض من يوم وبعض من ساعة ؟؟ ما حاجة اهل الكهف الى جديد ؟

ولخصوم بعض الجديد حق كلما اشتدوا على ادب القيء والغثيان والدوخة والصداع والضياع .. ولهم حق الثورة بوجه نقد الارهاص والازمات والمعاناة .. وذلك لان الادب فن والفن اولا وقبل كل شيء ببساطته

.. والبساطة اساس الجمال .

ولهؤلاء الحق اضعافا مضاعفة خاصة حين يستمد الضياع والقلق والاندحار من ضياع وقلق واندحار كاتب آخر في بيئة اخرى وظروف معقدة ..

ولهم حق ثابت مكتمل جميع اركان الشرعية حين يسرف بعض الكتاب في « تكويم » جمل وعرة واكثر وعورة من اي نثر فظ معتبرين من نثر سطرين في صفحتين مقوما من مقومات الشعر الحديث وما هو يشعر وما هو بنثر وانما هو شيء حديث ... قل اي شيء حديث !!! أي شيء سمج فظ غبي لا يمتع ولا يجدي نفعا ولا يساوي قشة تبن في التقييم .

٤ - والآن دعنا نراجع سؤالا تقليديا تعبت منه القراطيس والاقلام وضجت من تكراره الممل حروف المطابع ومجه الطباعون ! ما هو موقف العرب من تراثهم الشعري جاهليا واموبا وعباسيا واندلسيا ؟؟ آملا ان لا تجيء اجابتي على هذا السؤال تقليدية وراجيا ان تجيء الاجابة كأبسط ما تكون اجابة وفي كلمات معدودات وعلى نحو ما يلي :

لا ينبغي لموقف العربي المعاصر ان يكون من هذا التراث الا انعكاسا لموقفه العام من العصور الجاهلية والاموية والعباسية والاندلسية بجميع ما يتضمن هذا الموقف من احوال سياسية واجتماعية واقتصادية وفلسفية . وعدد ما شئت من الفعاليات الحياتية على صعيديها النظري والعملي ...

وهذه مواقف نسبية تعينها مصلحة وثقافة واذواق وميول الناس ، وبهذا سنجد مجالا للتسامح مع اولئك الذين افتضت ثقافتهم وقضت اذواعهم وحتمت مصلحتهم - مادية ومعنوية - ان تعاد السنة الهجرية الاولى سنة بعد سنة وجيلا بعد جيل وتاريخا بعد تاريخ سنة هجرية اولى مؤبدة على الناس ما دامت السموات والارض .

٥ - لكن شعر العرب - مع تبريري التام والموسع عذرا للسلفية - قد بدأ في العراق وبدأ بالبياتي وبالسياب وان مستقبل الشعر جدير بالتطلع والاهتمام اذ انه قد بدأ اخيرا نحو ادب متكامل في اداء مسرحي على ما نحو ما نجده عند شكسبير ودانتي وجوته وايليوت بعيدا عن نقائص جرير والفرزدق وبعيدا عن حكميات ابي العلاء والمتنبي وعن اصلاحيات وحماسيات الرصافي والزهاوي والجواهري والمعلقات السبع بكل ابلها وبعر الارام في عرصاتها وبقايا الوشم في ظاهر اليدين وبض الساقين ولف المآزر على دعص الرملين !! وبعيدا عن تقليد الاولين بدافع من اخلاص للحاضر وللذات في الحاضر .. وللذات المتطلعة الى مستقبل افضل لا الى ماض احسن !!

٦ - واساطين البداية نحو الادب المتكامل في اداء روائي - مسرحي هم لا شك البياتي وادونيس وصلاح عبد الصبور ، وعلى نحو ما يلي :

البياتي في « محاكمة من نيسابور » وهي رائعة نهبت اعجابي .. كل اعجابي ، رغم طابع السرعة والتسرع وتعجل ساعة فرح الطبع والنشر والشهرة فالصيت الحسن ، آفات الابداع والخلق المعجز عموما وآفة التفكير والكتابة والفكر بين المعاصرين العرب على وجه الخصوص والتحديد ..

وادونيس في « اغاني مهيار الدمشقي » و « كتاب التحولات والهجرة في اقاليم النهار والليل » والرائعتان مجد حين القضية قضية مكارم ابداع وقضية امجاد ، رغم ان ادونيس قد اسرف بعض الاسراف في الاخذ برباعية الشهرة الادبية وصيت الفكر الحسن وتعجل افراح النشر مثلما يتعجلها الجميع ..

اضف الى هذا ان ادونيس يتسرع كثيرا بدافع من ثقة طاغية بنفسه - وهي ثقة لا الومه عليها - وبدافع من استهانة بينة بذكاء قرائه ، وهي استهانة لها حتما ما يبررها ... اعترف !! لكنني لا اجد مبررا لطغيان ثقته بنفسه على حساب كمال عمله وهو ثالث ثلاثة نحو ادب عربي عبر حدود محلية هلك في حدودها الادب قرونا عجافا خاويات .

وثالث اساطين الادب التكاملي بين شعراء العرب صلاح عبد الصبور في رائعته المذهلة « مأساة الحلاج » رغم بعض مس تعجل فرح انهاء مقطع هنا والانتهاء من متاعب فكرة هناك وتهرب من اعادة كتابة فقرة او تحوير اخرى بدافع من ملل او ربما بدافع من تعجل افراح رباعية الشهرة والصيت الحسن ... ومن لا يتعجل ساعة فرح في بيئة ان لم تتعجل فيها الافراح فاتتك !!؟

وهنا لا بد وضمانا للحق واعترافا بالجميل وبالفضل وتقديرا للقابلية والموهبة ان اشير الى رائد الادب التكاملي في الشعر العربي واريد به شوقي في مسرحياته ..

لكن شوقي اخفق في محاولته بسبب خضوعه لقوالب الشعر التقليدي وبسبب انسياقه مع الاحداث انسياق مؤرخ ورع يتوخى الحقيقة والواقعة والحدث كما وقعت ، وان تعدى هذه الحدود الى شيء آخر فانما يتعداها الى ارشاد مخلص ونصح أمين وموعظة حسنة .

واخيرا اراني ملزما بذكر ما كان علي أن ابدأ به فاقول ان الادب التكاملي ادب شمولي مثلما الحياة شمولية متكاملة وان هذا اللون من الادب يمثل معينا لا ينضب يستمد منه الخلاقون وحيا في الرسم والنحت والباليه والاوبرا والسيمفوني والرواية وفي سائر نواحي الحياة بما في ذلك الاستشهاد حين الحاجة وحين لا يجد المستشهد مناصا من اللجوء الى فقرة يشفي بها غليلا ..

والادب التكاملي يتعدى الحقيقي الثابت الى متعدد الجوانب الزاخر بالظلال ... وهي ظلال تترك للقارىء وللناقد مجالا يبصر في حدوده ما يتلاءم والوضعية والظروف عبر حدود الزمن اطلاقا وفي كل مكان .. ومن هنا يأخذ الادب المتكامل صفته الكلاسيكية والتي تفرضه انسانيا لاصقا بالانسان معبرا عن الانسان عبر العصور بصرف النظر عن الاحوال الطارئة والتي لا تغير ما هو انساني جوهريا .

**مدني صالح**

# قصيدة جنائزية

للشاعر السوفياتي : اندريه فوزنيسينسكي

« في ذكرى الملازم في الجيش السوفياتي نيزفيسني الذي سقط اثناء الهجوم على الجبهة الاوكرانية الثانية .. وقد ظهر فيما بعد ان نيزفيسني لا يزال حيا .. وقد منح وسام ( النجمة الحمراء ) في عام ١٩٦٤ »

الملازم ارنست نيزفيسني ..
والموت يكوى السهل من حوله ..
لمسافة آلاف الاميال ..
بشواظ من نار ..
ليس بالمستطاع اجبار المفرزة على
الهجوم
ولكن الاوامر بالراديو تقول :
ـ اهجموا .. امهاتكم ..
وارنست يجيب « حاضر »
ان قائد المفرزة يعض التراب ..
وقد تجندل على الارض بشجاعة ..
والملازم ارنست نيزفيسني
يهجم وحده
وكمقص بلون الثلج ..
مرتعش فوق رأسه
لمع ملاكا الحياة والموت ..
كخنجرين ..
الموت يقول :
ـ « اهرب ! »
لقد بقيت وحدك
فضد من انت تحارب ؟..
انك تحارب ضد جحافل بأكملها
يا أرنست ..
ضد تنين مساحته اربعة ملايين
وخمسمائة وسبعة واربعون الفا
وثمانمائة وثلاثة وعشرون كيلو مترا
مربعا ..
ضد عشرين مليونا وسبعمائة وخمسة
واربعين الفا
ومائتين وثلاث واربعين فوهة ..
موجهة اليك ..
انك تحارب ..
ضد جيش واسطول وبرابرة من غاز
الفحم
ضد اعداء الانسانية ..
ضد الفاشيين الاشتراكيين ..
ضد وحوش مسعورين

انك في عداد الاموات ايها الابله ..»
« بدون شك » قال ارنست ..
وخطا
الخطوة الاولى !
وكانت الحياة تقول ، ارنست ،
الاحياء يجب ان يبقوا من اجل الاحياء
وسيزهر الليلك في الحدائق ..
ولكن ليس من اجلك ـ بل من اجلهم .
ولن يكون لك
١٩٤٥ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٣
بل سيصبح عدد الاموات على الارض
٣١ × ٦٣٨٥ + ١
ولن تنتسب الى الجامعة ..
ولن تنتقل الى معهد النحت
ولن تعرف ابدا ان رائحة الجص الحار
تشبه رائحة الحليب الطازج
ولن يكون لك مشغل في سريتينكا ..
ولن تعرض اعمالك في مانييج
وفي السابع عشر من نيسان عام ١٩٦٤
لن تأتي دينكا ..
لتضع على الجص
خنصرها الذي انقشر عن ظفره الصباغ
ولن تنتزع نفسها انتزاعا كي تذهب
ولن تأتي في الغد راكضة ..
ولن تذهب ثانية ..
ولن تأتي ابدا من جديد ..
ولن تحضر معها من السوق الرئيسية
كيسا مليئا بكرز القطفة الاولى
ملفوفا بجريـــدة « كومسومولكا »
تاريخ ٢٧ نيسان
ولن تتدحرج الكرزة الحمراء
على قاعدة التمثال ...
تمثال رائد الفضاء ..
لن يكون هناك دينكا
ولا رائد فضاء ..
( او على الاصح سيكونان ولكن
ليس من اجلك انت ..

بل من أجل ميتكا فيلين ذي اللون
الابيض المصفر ..
الذي لم يخرج من خندقه حينئذ )
اما من اجلك فلــن يكون هناك شيء
ابــدا
لــن !
ولن !
ولن !
فقط امك ستزحف قرب الباب
وبيدها رسالة فيها الموت ..
هل تفهم يا ارنست ؟..
« بدون شك » قال ارنست لنفسه
ولكن فوق الحياة والموت ..
هناك شيء ثالث ..
يومض كالنور ..
ويدعونا اليه ..
انه الشيء الذي يميز الانسان ..
الحيوانات تأخذ الحياة ..
والبشر فقط يعطون الحياة
والشيء الوحيد الذي يميز الانسان
عن غيره
يميزه بسطوع وبصوت صارخ
هو التضحية بالنفس
يا وطني الذي ليس لي غيرك
يـا حبي الوحيد
شكرا لــك
لانك اخترتني

✶

ايها الملازم ارنست نيزفيسني
عندما تحيط بك النساء ..
تنام انت كالايكصور (1) وراء طاولتي
ثمــلا ..
وعندما يزعق المتخذلقون والطيعون
ضد نزهاتك الصاخبة
احس كيف يتململ التمثال
في داخلك ..
سأرفع قبعتي ..
واقول لهم بتهذيب :
« طبعا انتم انيقون ، حليقو الذقون
ولم يخنكم الذوق
ولكن هل سبق لكم ان شربتم كأس
الموت حتى الثمالة ..
في سبيل الوطن

**ترجمة : فارس قويدر**

---

1 ـ الايكصور : نوع مــن انواع السمك المنقرض

# السفاحون والفتاة الشقراء

قصة بقلم محمد فكري

اجتزت قصر الكرملين وأنا أجنح بنفسي لاحتمي بالسور .. لملمت حولي أطراف معطفي وتقلصت في داخله .. كانت درجة الحرارة خمسا وثلاثين تحت الصفر ، والضباب يجثم على الارض قاتما رهيبا ، كأنه غاز غاشم أباح لنفسه أن يحتل الارض ويفصلها عن السماء .. وندف الجليد تغلف الاشجار وتكسو الطريق بالبياض .. ورذاذ الصقيع ينغر وجهي ويتسلل الى رقبتي . ثبتت وشاحي حول عنقي ، وأحطت بالشبكة أذني ووجنتي ، فلم يعد ظاهرا سوى عيني وأنفي ، ورحت أطأ الجليد في طريقي الى سينما (( أودارنيك )) .

أحسست بالدفء ، في قاعة السينما الفسيحة ، وأعادت الاضواء الباهرة الي احساسي بهجة الحياة ، فتمالكت انفاسي وتلمست مكاني بين الصفوف .. كانت عن يميني فتاة شقراء جميلة .. فازددت ابتهاجا ، ومنيت نفسي بصداقة جديدة مع هذه الشقراء ، وما كدت اتخذ مكاني حتى ملت نحوها في ابتسامة مهذبة ، وسألت :

– عفوا .. أي فيلم سيمثل الآن ؟

كانت الفتاة تجلس صامتة كأنها مستغرقة في تفكير عميق .. التفتت الي في هدوء ، وقالت بوجه متجهم :

– محاكمات نورمبرج .

وحاولت أن أخرجها عن صمتها فعدت أسأل :

– هل يبدأ الفيلم بعد كثير من الوقت ؟

ظلت الفتاة مستغرقة لحظة كأنها لا تريد ان تجيب ، تمتمت :

– لا أدري ..

وعادت الى صمتها مرة أخرى .

ولم تكد تتم قولها حتى أخذت القاعة في الاظلام ، وحينئذ اتجهت ببصرها نحو الشاشة ، ولم تعد تحس بشيء .

لكني انشغلت بالفتاة عن الفيلم ، لم هذا الوجوم الذي يغلف وجهها ؟ ولم هذا الرد الجاف المقتضب ؟! لقد كنت مهذبا معها للغاية.. لم أفعل ما يضايقها .. سألتها أسئلة عادية يمكن أن توجه من انسان لاي انسان .. ورغم ذلك يبدو لي ان الفتاة وديعة .. رقيقة ..

حينما توجهت بناظري الى الشاشة .. كانت ثمة محاكمة .. وثمة قضاة يحاكمون متهمين ، وبدأت خيوط الفيلم تتجمع في ذهني.. القضاة من الحلفاء .. والمتهمون أعوان هتلر .. يجلسون صفا واحدا يبدو على وجوههم الوجوم ويخيم عليهم الصمت الرهيب .. والادعاء يحاور ويداور .. يتهم السفاحين ويوزع عليهم الجرائم التي ارتكبوها أثناء الحرب .. والكاميرا تعود مع الزمن .. فتصور الجرائم والفظائع ..

وسمعت همهمة صوت نسائي عن يساري ، والتفتت بحركة لا ارادية لارى امرأة ، واستطعت ان أميز ملامحها وقد اعتادت عيناي الرؤية في الظلام .. أنها تحمل ملامح أهل آسيا .. لكن لم أستطع أن أعرف من أي بلد على وجه التحديد .. وكان شعرها الرمادي تخالطه خصلات بيضاء .. ووجهها ينم عن أنها تخطت سن الشباب ، فوليت عنها وعدت أنظر الى الفتاة الشقراء .. جميلة .. رقيقة .. لم تتعد الخامسة والعشرين ، يتدلى شعرها الاشقر على جانب وجنتها ويحجب جزءا من أذنها ، فيبدو كاطار ذهبي لوجهها الجميل ، لكنها مشغولة عني بمتابعة الصور ، وحاولت أن أجذب انتباهها ، فربتت ساقها بركبتي .. لكنها لم تشعر بشيء .. وعدت أربت ساقها مرة أخرى .. لكن الفتاة استمرت في متابعة الصور كأن شيئا لم يحدث ، كنت أنتظر – على الاقل – أن لم تستجب لمداعبتي أن تقول شيئا .. أن تتململ .. لكنها لم تشعر حتى بوجودي .. فعدت أنظر الى الفيلم ..

القضاة لا زالوا يجلسون منتفشين كالديكة يبدو عليهم أنهم مقتنعون بكل التهم والجرائم ، وصور الحرب والقتلى والبنادق .. وفجأة تذكرت صديق عمري أحمد .. وعادت صورة الايام الرهيبة التي عشناها في بورسعيد تجثم على ذهني .. والرصاصة تخترق قلب أحمد فيسقط على الارض مضرجا في دمائه ..

واختلطت صور القضاة وصور القتلى والدماء ، بالصور التي في ذهني .. واصبحت غامضة المعالم .. هل هؤلاء قتلى الفاشية أم قتلى العدوان على بورسعيد .. !! وفرضت الصور التي في ذهني نفسها فبدت كأنها تتراقص أمام عيني على الشاشة ... المظلات البيضاء وهي تهبط من السماء .. والقنابل وهي تتساقط من حولنا .. واحمد وهو يطلق بندقيته ويصيب .. ويصيب .. ثم يصرخ ويسقط على الارض .. وأنا أجري كالمجنون .. أطلق بندقيتي على المظلات الهابطة .. فتسقط على الارض مثقبة ملطخة بالدماء ..

والقضاة لا زالوا يجلسون منتفشين كالديكة ، كأنهم مندوبو الله على الارض يوزعون عدالتهم المسمومة على البشر ، وأحنقني منظرهم.. وبدا لي كأن العالم قد انقلب رأسا على عقب .. أليسوا هم اليوم أولى بالاتهام .. هؤلاء من كانوا قضاة الامس .. وأي قضاة ..أليسوا .. أليسوا .. متى قرأت ذلك .. لا أذكر .. أليس الاستعمار هو الذي استخدم ربيبته النازية للقضاء على ثورات التحرر والاشتراكية في العالم !! يحاكمونهم اليوم لانهم أرادوا مقاسمتهم الغنيمة .. لانهم انقلبوا عليهم ..

أحنقني أن أراهم في موقف القضاة حتى ازاء السفاحين.. وتلفت حولي أستطلع الوجوه .. وجوه بيضاء .. وصفراء .. وسمراء ، أردت أن أعرف هل هذه الوجوه مقتنعة بوقوفهم موقف العدالة .. ولكن جميع الوجوه كانت مشغولة عني بمتابعة الفيلم .. وتوتر جسدي كله وارتعشت ، وغلت في رأسي دماء حارة كالبركان ، وتملكتني رغبة مثيرة في أن أنهض وأصرخ بين الناس .. لا تصدقوهم .. انهم السفاحون الكبار .. انظروا ماذا يفعلون في فيتنام .. أنظروا كيف يعتدون ويتآمرون في كل بلاد الارض .. أنظروا ..

لكنني لم أنهض .. كانت فكرة محمومة قد طافت بذهني ، وتسمرت في مكاني خشية أن تخونني أعصابي فأرتكب حماقة ، ومع ذلك لم استطع أن أتمالك نفسي .. كنت أريد أن يعرف الناس الحقيقة ، وغابت عن ذهني الفتاة الشقراء ، والقاعة والناس..وكل شيء ، والصور تتتابع أمام عيني .. مدن تخربها القنابل .. معارك وحشية .. بقايا أجساد بشرية ..

وسمعت همهمة عن يساري ، فملت برأسي نحو المرأة الاسيوية.. كان عن يسارها فتاة في حوالي الثالثة عشرة ، سألتها الفتاة سؤالا ، فمالت نحوها المرأة وهمست :

– لا أدري .. لا أستطيع متابعة الفيلم باللغة الروسية .. ولكن يبدو أنهم ضحايا القنبلة الذرية على هيروشيما ..

وابتسمت في نفسي ، ها هي امرأة تذكر قنبلة هيروشيما رغم القضاة ، وهبطت حدة الحنق الذي في نفسي قليلا ..

والقضاة لا زالوا منتفشين كالديكة ، والادعاء يحاور ويداور ،

والمتهمون يجلسون صفا واحدا يبدو على وجوههم الوجوم .. ويخيم عليهم الصمت الرهيب .. وانتهت المحاكمة .. وصدرت أحكام..سجن .. اعدام .. ونال السفاحون جزاءهم .. وخفتت الصور على الشاشة .. النهاية .. وعادت الاضواء ، وما زالت في نفسي بقية من حنق .. هل يدرك الناس حقيقة القضاة .. !! والتفت بحركة لا ارادية الى الفتاة الشقراء متسائلا :

ـ هل أعجبك الفيلم ؟

ردت دون تفكير :

ـ لا أدري أيخدعون أنفسهم .. أم يخدعون الناس ؟

وأعجبت بما في قولها من فهم وذكاء .. فقلت :

ـ أوافقك الرأي .

وأراحني قول الفتاة ، وأسعدني خروجها عن صمتها ، فسألت :

ـ هل أنت روسية ؟

أجابت : ـ نعم .

قلت :

ـ انني عربي .. وأدرس الادب في جامعة موسكو .

فابتسمت ، وقالت :

ـ أنا أدرس النحت والتصوير .

فتماديت في الحديث قائلا :

ـ كم هو جميل أن يتعرف المرء بفنانة جميلة مثلك ..

تجهمت الفتاة فجأة ، وقالت في ابتسامة مصطنعة :

ـ شكرا ..

وخشيت أن تكون قد تذكرت مداعبتي الفظة ، حينما ربت ساقها بركبتي ، فاستاءت ، وآثرت أن أبتعد عن الموضوع ، فسألت :

ـ ألم تزوري بلادا خارج روسيا ؟

صمتت الفتاة لحظة ، ثم تسلل من بين شفتيها صوت مبحوح :

ـ كنت أعيش مع والدي في كوريا قبل الاعتداء الاميركي .

ـ لعل ذلك منذ وقت بعيد !؟

فهزت الفتاة رأسها في أسى ، وهمست في ابتسامة لم أدر معناها :

ـ كنت طفلة حينذاك .. ولكنني عرفت كثيرا من المشوهين .. مشوهي الحرب .

وصمتت فجأة ، كأنها ندمت على ما قالت .

وكان الناس قد نهضوا وافسحوا امامنا الطريق ، فنهضت بدورها ونهضت ، وشجعتني ابتسامتها الاخيرة على التمادي في التعرف عليها ، فسألت :

ـ هل أستطيع أن أراك مرة أخرى ؟

عاودها التجهم ، وردت بفظاظة :

ـ لا .. لا تستطيع ..

وفوجئت بالرد ، وآلمتني لهجتها ، خاصة وقد طلبت رؤيتها بشكل ودي ، وبصيغة تستطيع معها أن تقبل ، أو ترفض بطريقة مهذبة ، ولم اجد مبررا لفظاظتها ، فتلعثمت دون ان ادري ما أقول :

ـ لماذا .. !؟

تعثرت الكلمات على شفتيها :

ـ لا .. حينما .. لا أريد أن ..

ولم تجد كلمة تتم بها حديثها ، فاغرورقت عيناها بالدموع ... وتركتني وانصرفت .. ولاحظت عرجا في مشيتها ، وأنعمت النظر في ساقها .. كانت ساقا صناعية ، وهممت أن ألحق بها أو أقول شيئا.. لكنني لم أستطع ..

وتسمرت في مكاني ، وأخذت أرنو اليها وهي تبتعد قليلا .. قليلا .. ولم أعد الى وعيي الا بعد أن غابت عن ناظري .

موسكو — محمد فكري

# خواطر في مدينة قريبة من البحر

أمثلما مرت عليك الليلة الاولى
تمر هذي الليلة الالف ؟

أيبقى الحرف مشلولا
ينخره المنفى ؟
أيبقى الغصن المقطوع مقطوعا
أوراقه تستمطر الجوعا
أوراقه تصفر ...
أوراقه تحت السماوات الغريبات تعري غصنا كالجذر
مجهولا ؟

***

هل نعرف النجم على حزمة اوراق ؟
هل نعرف البحر بلا زرقة أعماق ؟
ومن ترى يمنح هذا المغربي : الدهشة الاولى
والخجل البصري ، والبسمة ؟
والنخل ، والعتمة ...
والبيرة السوداء ، والساحات ، والماء الذي ينهل مجهولا

***

أكلما لوّن هذا المطر القرميد بالماء .
أكلما أبصرت عصفورا على حائط
أكلما ارعدت الادواء اعضائي
واجهني النخل ... نحيلا ، غامضا ، مستوحدا ، نائي
قاماته تمنحني لحظة ايماء
وسعفه يهمس في العتمة أسمائي

***

تخجل ان تنسى ، ولا تقدر أن تضحك
وتعصب العينين حتى لا ترى جرحك
تريد ان تبقى قويا دون ان تقوى
وفي ظلام الصوت تنسى ان ترى صبحك
انك لا تهوى ، ولا تبصر من يهوى
كأنك الحدأة والطائر
والبيت والمنفى
كأنك الاول والآخر

الجزائر — سعدي يوسف

# جبلُ النار

الى ابنة جبل النار فدوى

***

يا جبل النار
يا أخصب رحم في الدنيا
تلــد الثوار
أحجارك
جمــر مجنون
فجَّرهــا
شلال عواصف
أنهار دمــار
تأكل أزرارا ما غطت عينيها في بحر الشمس
تغسل لطخة عار بصقت في وجه القدس
تلجم افكارا مسعوره
وبحقد
تنسخ أسطوره

●

يــا جبل النار
أهلوك بقايا يتلهى بهم الاعصار
في أرض قاسية القلب
لا يبدر خير رصعها بحبوب ذهب
تمسكت كفا تعتصر اللقمة من قلب الاحجار
لا خيط مياه يتنزى من صخرة عز
مــن عين كرم
يسقي شريانا غادره
مطــر الافراح
نسغ الارواء

●

يــا جبل النار
يا رجلا لا يرضى العار
أغضب أغضب

النيرب — محمود علي السعيد

# وأكملوا اللوحة

الآن يجلدونه ،
والبقع الزرقاء في جبينه ،
حمامنا يطير فوق رأسه ،
مودعا قد هجر البيوت
الآن يجلدونه
وفي الصباح احرقوا لوحته الملونه
لوحته التي تقص قصة الرحيل
رحيلنا عن « الخليل »
الآن يجلدونه
لكنهم لم يخمدوا ثورته المحمومه
لتحرقوا اللوحات قال
ولتكسروا الفرشاة قال
ولتعبثوا بحزمة الالوان
من صفرة الزروع استمد لون غربتي
من الزنابق البيضاء
ومن شقائق الجبال ترتوي الخطوط
أصوغ للربيع لوحه .
الآن يجلدونه
والديك من فوق السطوح
يصيح قالت جدتي
وهكذا يا ولدي مرّ به الزمن
وهاجت الجروح في فؤاده ،
فلملم الالوان من زهورنا البريه
وخطط الوصيه :
« يا شاعري لو كنت شاعرا
لصغتها في زمن يسير
يــا شاعري
غدا تهيج فوق قبري الزهور
وبثمر الصفصاف حنظلا مرير
يــا شاعري
غدا بنات الحور
ينشدن لليمام والزعرور
ينقشن في الصخور
في أسفل اللوحه
« سيبوا القمر »
وأكملوا اللوحه .

القاهرة — محمد عز الدين المناصرة

# وجه اختي

وهوت يد
فاذا الطريق مفازة والموعد
وجه يغيب ويبعد
واذا الغد
ذلك الذي حلمت بمرآه السنون الشرد
هذا الرماد الاسود
يذروه هنّا عاصف ويلمه
أمل على فجر هناك سيعقد
ويطول ليل
ويغور حتى العظم ويل
ونقول سوف نرى الصباح
نصير في لألائه
شرُعا
رياحا
ولسوف نحمل شمسه بيتا أبى أن يستباحا
ونقول :
سوف يرى الشروق عمٍ
ويفصح أعقد
والرقَد
سيرون في عيني السماء تَورُّد
لا بد ان يأتي الصباح
لا بد أن يأتي فقد جفت من النزف الجراح
لا بد ان ...
وأتى الغد
فاذا الصباح تلفت يستنجد
وهوت يد
يدك التي كانت تقيت وترفد
لا كنت يا هذا الصباح
لا كنت يا هذا الصباح الاسود
لا كنت يا هذا الغد

●

أختاه
لو عقلت شفاهي
لسكت مثلك ما نطقت بغير آه
أذكي بها الم الرجال العائشين بلا جباه

●

أختاه
اضنتك الطريق
اضنتك عين لا تنام والف عين لا تفيق
وتعبت
اذ أيقنت ان الدرب يوغل في المتاه
يلتف حول دخينة
ويضيع في صخب المقاهي
تطويه أنة يائس
وتمطه ضحكات لاه
وسكت
يا أختاه
مثل الموت ... لكن
لم تموتي
ولن تموتي
فغدي سيبعث منك يا أختاه
من دمك الصموت
من نبض قلبك وهو يصرخ
حيث يمعن في السكوت
لا ... لم تموتي
ولن تموتي
ما دام حرف أخضر يومي ... وشمس تولد
ما دام في الدنيا غد (*)

**بلند الحيدري**

(*) ألقيت في مهرجان سميرة عزام التابيني .

# سميرة عزّام المناضلة

بقلم شفيق الحوت

في اواخر الشهر الماضي ، اقام اتحاد كتاب فلسطين مهرجانا تأبينيا لفقيدة الادب سميرة عزام ، في قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة العربية ببيروت. و « الاداب » التي تربطها بالفقيدة الكبيرة علاقات المشاركة والصداقة ، سعيدة بأن تنشر في هذه الصفحات كلمات التكريم التي ألقيت في ذلك المهرجان.

ليته كان بمقدور الصمت المتألم او خفقة القلب الحزين ان يعفياني من الكلام في هذه المناسبة الجليلة ، لانقل بصدق وأمانة ، وبلا حدود او قيود ، كل ما اعرف عن سميرة عزام . وكل ما اظنه فيها ، وكل ما اكنه لها من محبة وتقدير واجلال .

فالحديث عن الراحلة العزيزة ، كالحديث معها ، لا مكان فيه للغو أو ثرثرة ، ولا زخرف فيه ولا زركشة . انه أشبه بالصلاة ، بل هو الصلاة كما يجب ان تكون الصلاة ، يتمجد فيها الحق والخير بالكلمة البسيطة والحرف المتواضع .

ما همّ سميرة ، في حياتها كما في قصصها ، أن تنحت الجملة المعقدة او أن تنقب عن الكلمة الرنانة ، وهي القادرة على ذلك كله بفضل موهبة فذة مبدعة ، وثقافة عميقة استوعبت كل ما يحتاج اليه الاديب الاصيل .

انما هو الهدف والمعنى ، الفكرة والعبرة ، الراي والرؤية ، هذه هي همومها التي قضت حياتها بحثا ودفاعا عنها .

وليس من قبيل المصادفة المحضة ان تكون حياة راحلتنا العزيزة قصيرة كقصصها . لانها لم تكن رحمها الله من المؤمنات بالفن من اجل الفن ، تماما كما انها رفضت الحياة من اجل العيش ، والعيش فقط . لذلك كانت كلماتها المكتوبة في قصصها ، او المذاعة في احاديثها وبرامجها ، تنبض بالحياة والحركة ... وكأنها بشر من طين تلفحها روح متمردة من نار ، ترفض الضيم وتأبى الظلم والظلام . كلماتها تسير على أرجل ، بل تطير بأجنحة ، تسارع نحو هدفها دون خوف أو تردد ، وهي في كل غاراتها اما أن تنتصر ، فتنتصر معها الفكرة ، واما أن تقهر وتغتال ، لتنتصر الحافز الذي تتركه في نفس القارىء أو المستمع .

والذين عرفوا سميرة الأديبة ، ولم يعرفوا سميرة الانسانة وقعوا في خطأ كبير حينما حكموا على انتاجها بالنشاف العاطفي .

وما اكثر ما قرات مثل هذا النقد عن سميرة ، وكنت اهز راسي اسفا والما .

اما هي ، رحمها الله ، فما كانت لتحزن او تتاثر ، لا لان ما يقال لا يهمها ، بل لانها كانت اعرف بنفسها من غيرها ، ولانها ابت أن تجعل من عواطفها كامراة سبيلا للرواج والدعاية والانتشار .

وان صمتت سميرة عن هذه التهمة في حياتها ، فانني في حل ، وقد غابت عنا ، أن أقول الحقيقة واكشفها .

فمن بين من عرفت ومن قرات من أديباتنا ، لا أتجاوز الواقع ولا أغالي ان اعترفت بأن سميرة من بين أولاء جميعا كانت من أرقهن عاطفة وأشدهن حساسية. بل ان في حياتها الخاصة وقفات عاطفية وانسانية لو ارادت تسجيلها لكانت في انتاجها الادبي لمعات برق خاطفة تأخذ بالالباب قبل أن تخطف الابصار .

ولكنها ـ رحمها الله ـ كانت ترى في طرح الخصوصيات ، ابتذالا لا يجوز وتجارة حرام . هذا بالأضافة الى ان معاناة الانسان في شخصها ، لا معاناة الشخص في انسانها ، هو ما كان يهمها ويشدها لمحراب الكلمة المقدسة . والعاطفة العامة ، لا العاطفة الخاصة ، هي التي كانت تحرق شموع قلبها الكبير .

ولم تكن سميرة في هذا كله ، مداجية او مخادعة ، بل كانت أصيلة صادقة ، تحيا حياتها بين سطورها وخارجها بلا زيف ولا رتوش ، ودون ضجيج أو صراخ . وكانت في الوقت ذاته ترضى لغيرها ان يحيا حياته التي يريد .

الجد عندها بدون تزمت ، والالتزام لديها لا يفقد العين قدرتها على الرؤية ولا يشل قدرة العقل عن التفكير .

ولعلها تعذبت في مشوارها القصير الذي اختارت دربه الوعر .

ومن المؤكد انها لم ترتح ، وان اراحت الكثيرين . ولعل القلب الكبير كل بعد طول صبر ، فاستسلم للعدم ، في فترة تساوى فيها الوجود والعدم .

لم تستطع ، وهي المكابرة الصبورة ، أن تحيا ليوم أطفئت في شموسه كل ملامح الامل والرجاء . وليتها صمدت معنا ، فظلمات حزيران بدات تنقشع ، وفجر أيام نضال مقبلة يلوح في الافق . وسميرة كانت تحب النضال وتحيا بمآسيه وتضحياته .

واني أسمح لنفسي اليوم ، ان اكشف سرا ائتمنتني الراحلة العزيزة على عدم البوح به ، وكتمته في صدري سنوات طوالا .

فلقد كانت رحمها الله، عضوا قياديا عاملا في تنظيم عربي فلسطيني مناضل. واني أعرف من بين الحضور في هذا الحفل الكريم من تثقفوا على يديها، ومن قاموا بمهمات قاسية بأوامر صدرت عنها، وهي لم تتخل عن رفاقها قبل ان تترك لهم وصية المناضل الذي لا يلين. وصية لا تعتمد اللفظة المختارة او الجملة المنتقاة.. وصية اعتمدت الازمة الاخيرة عقدة تبحث عن حل... عن طريق... وفيها تتساءل سميرة، وأنا أقتطف ههنا جزءا من وصيتها الغالية. تقول سميرة، وكان ذلك اخر ما قالت لرفاقها:

« اذا كان الفرد العربي كانسان يجد نفسه مسوقا الى اعادة النظر في مقومات وجوده فما أحرانا كتنظيم يرفع شعارا نضاليا ثقيلا ان نقف طويلا على ضوء هذه الظروف، التي ألقت بالامة العربية امام تحديات هائلة لنتساءل أين نحن من هذا كله. وماذا كانت محصلة عملنا طوال سنوات، وما هو المنعطف الذي يجب ان نأخذه في المستقبل القريب والبعيد، وتحت أية صيغة فكرية او نضالية يجب أن نعمل.

أسئلة شتى تدوم في رؤوسنا وتعصف بها دون أن ندعي اننا مستطيعون الان ان نتبين مواطىء أقدامنا بثقة، وذلك ان القضية بمجملها تجتاز ظرفا عسيرا يجد الشعب العربي نفسه مسوقا الى البحث عن منطلقات جديدة يصفي بها اثار العدوان اولا ويستأنف بعده عملية تحرير الارض المغتصبة ».

وتستطرد سميرة بتواضع الثوري الاصيل فتقول:

« انني هنا أفكر بصوت عال وعليه أجد من العسير أن أرتب أفكاري بمنهجية أو سياق يعطيها صفة البيان أو التقرير، وأستميح اخواني عذرا لو أنا قلت بأنني لا أختبىء وراء لف أو دوران أدبيين، ولكنني بكل تواضع أعترف بأن تجربتي ليست من النضج او الكفاية بحيث تكون نقدا ذاتيا موضوعيا لتنظيمنا او للمسيرة الثورية العربية ككل. أخرج منه بشيء من المنهج فيما بعد. أبدا، هي ملاحظات قد تفتقر الى الترتيب وقد تقصر عن بلوغ الشمول. »

وبعد أن تعدد سميرة بقسوة، اعترفت هي بها، مواطن الضعف في نضالنا السياسي تختتم وصيتها:

« أخيرا أحب أن أعترف انني رغم قسوتي في النقد مستطيعة أن أبصر نواحي خيرة، وليس العمل النضالي قبل كل شيء نزهة في ضوء القمر.

ان صاحب النقد يبدو أحيانا وكأنه يقف على سطح اخر. كلا.. أنا راكب في القارب، نفس القارب، وأستطيع والله أن أكتب في نقد نفسي أكثر من هذه الصفحات التي كتبت، واحساسي بالتصور يحملني الكثير من وزر الضمير، ذلك ان بعض الناس ينساقون وراء الانفعالات اذ يختارون هذه الطريق. أما أنا فاخترتها بعقلي، لا لاغذي في نفسي احساسا بالاهمية في ترؤس فرقة او موقع او قطاع.. أبدا ومن هنا عذابي. انني أشعر بقهر حقيقي حين اجد انني ما ازال أقبض على هواء، وعلى بعض اخوان أرى ان بعضهم يفضلني في هذا النوع من العمل.

وبعد، فانني على ثقة تامة بأن العجز في رؤية الطريق لا يعني مطلقا عدم وجود هذه الطريق.. لفلسطين طريق لم يعد من طريق غيرها... هي طريق الكفاح المسلح، وآمل أن نعد لمسيرتنا الجديدة ما تستحق من امكانات النجاح دون انفعال وهياج. فلم يعد في قدرة شعبنا ان يتحمل هزيمة اخرى ».

***

هذه هي سميرة باختصار... بكلمات أردتها قليلة حتى لو لم تفها حقها.. فقد كانت رحمها الله تحب الايجاز، في كل شيء، حتى في عمرها.

# سميرة عزام والنكبة

بقلم عايدة مطرجي ادريس

ما اريد ان انقله اليكم ، هذه اللحظات ، صورة محببة اليكم ، الصورة الحقيقية لسميرة عزام ، الكاتبة والانسانة الفلسطينية التي عاشت قضية شعبها كأعمق واصدق ما يمكن لفلسطيني وعربي ان يعيشها . سميرة عزام ، بهذه الريشة الدقيقة التي ترسم بها ابعاد التشرد والهجرة والعذاب والابواب المغلقة تجعلك تحيا مأساة النكبة ومأساة ان يعيش الانسان بلا ارض وبلا جذور تشده الى واحات الطفولة واحلام الشباب ومرقد النهاية . تدخلك الى عالمها الفاجع وتزجك في عذاب ابطالها وحنينهم من دون اية محاولة لاقحامك بالقوة بواسطة الفاظ خطابية او رنانة ، وتعمل في نفسك ما يحمله الفنان الحق من شحنات التعاطف والانصهار . فليست فلسطين بالنسبة اليها في سنوات الهجرة الاولى الا حنينا للحرية ولاشجار البرتقال وللارض الخيرة ، وللسماء السمحاء وللشمس المطهرة . فبلدها يكمن في انشودة طفل سعيد ، واستراحة قصيرة ، وعودة الى البيت عند الغروب ، وحديث واعد عن غد مشرق ، يتسامر به زوج بعد عناء يوم طويل . اجل ، تلك هي حياة الفلسطيني قبل الهجرة ، وحين ترك ارضه فقد هذا كله ، فقد هذه النعمة التي لا تقدر والتي ترتبط على بساطتها باعمق اسلاك عناصر الانسانية في الانسان . بهذه البساطة وهذا العمق ، تصور سميرة عزام الجريمة التي ارتكبها العالم بحقها .

وتمر فترة الحنين المشحونة برصيد الالم والشاعرية ، لتعطيك سميرة عزام صورة اخرى لتطور القضية ، صورة الذين قاوموا الهجرة. وماتوا ابطالا في ساحات الشرف ، ابطالا ليس لديهم من معدات الدفاع اكثر من تلك الروح التي تغلي حنينا وحقدا ورغبة في الانتقام . ان سميرة عزام تجعل الحقد عاطفة انسانية ، مشروعة ونبيلة ، حين يعتمل في صدر رجل قضى حياته يرصف مداميك بيت صغير شهد اجمل ايام حبه ، وفرحة عمره وطفلا بريئا وهبه كل حنانه وكل امل في البقاء ، البقاء ، غريزة الانسان منذ الازل . ثم يترك كل شيء ، ماضيه ومستقبله ، فلا يبقى له الا هذا الحاضر الكئيب الذي يدفعه سريعا عبر الصحراء الكاوية تحت ازيز الرصاص ، وعلى مشهد بركان من الدم يتفجر من الجسد الطريء ، جسد وحيده ، ويسلق يديه وحياته .

ومن الحنين ، الى الحقد ، الى الثار تطور مراحل القضية في قصص سميرة عزام . ان النفس الشاعري يضعف ، وتحل محله نغمة الفداء والبطولة واكل الرغيف المغمس بالدم املا في غد تشرق الشمس فيه من جديد . ويتطور فن سميرة . فبينما نراها تعتمد في اوائل قصصها على التحليل النفسي ، وعرض المشاهد والتعليق عليها ، نراها في المرحلة التالية ، اقل تدخلا واكثر فتنة . انها تصور وتسرد وتقص. ولكنها لا تتدخل ، ولا تعلق ، بل تترك للقاريء ان ينفعل ويندمج ويعلق. ان احراق مخزن مؤونة وكالة الاعاشة يرمز الى تمرد الفلسطيني على الرغيف مقابل صبره وسكوته ، وان انحراف البعض في اعمال اللصوصية والاجرام تعبير فظيع عن نفسية اولئك المواطنين الذين يحيون بلا وطن وبلا مستقبل ، في الوقت الذي تصورهم فيه ، في ظروف اخرى ، مثالا للرجولة والكرامة والانسانية .

وتبلغ سميرة عزام في قصصها الاخيرة مستوى رفيعا ، كارفع ما بلغته القصة القصيرة على الصعيد التكنيكي والفني . وحين تقرأ مجموعتها الاخيرة ، وخاصة القصص التي لم تنشر بعد في كتاب ، يستولي عليك هذا الشعور الحاد الذي تملك الكاتبة وهو وعيها في ما تكتب وحسها العميق بمسؤولية ما تكتب حتى بلغ بها احيانا هذا الوعي الاسراف في الصنعة .

وهذا الوعي ، سلطته حتى على ابعاد القصة . فخدمتها بشتى وسائل الكتابة القصصية والاعلامية ، ولم تكن مندفعة اندفاعا خياليا تطيح بكل صعوبة تعترض الوضع ، في حين انها لم تفقد الامل والعمل للمستقبل ، فكانت القضية التي تعيشها حياتيا تعيشها فنيا ايضا . وقد عبرت عنها في سيناء بلا حدود التي ترمز ، كما حدثتني بها ذات يوم ، الى الخلاص . ولكنها ، كانت ، ككل قصاص عربي مخلص مع ذات نفسه وضميره يقف عاجزا عن استشراف اية نهاية تحمل في طياتها بذور يأس او امل . وكانت تقلب الامل ، لكونه الطريق الوحيد والمبرر الاول الذي يمكن للفلسطيني ان يحيا من اجله .

وبالرغم من ان ابطالها لم يكونوا جميعا من الفلسطينيين فانهم مع ذلك يحملون في نفوسهم هما والما ووحدة قاتلة ، سواء كانوا رجالا ام نساء ام حتى مراهقين . ان الحزن ، هو النغم المسيطر ، والجو الكئيب ينعكس في كل قصة قلقا وتساؤلا عن المصير . وبالرغم من الالم لا تترك سميرة عزام للامل نافذة مشرعة وابوابا يتسرب منها النور بالرغم من كونها مغلقة .

وفي غمرة هذا النور ، وفي حميا الامل والعمل ، حلت الكارثة وتتابعت الهجرة من جديد ، وعادت المأساة الاولى تتجدد ، اكثر هولا واشد ايلاما منها منذ عشرين عاما ، وعادت الوف الرؤوس تزحف عبر الصحراء ، تشويها اشعة الشمس المحرقة كما يسيح النابالم دهنها . وعادت العيون تتراكض ، ويتراكض معها الخوف والرعب والموت . والعالم كله يقف متفرجا ، وتنطوي صفحات ويعود الناس من حولها الى همومهم العادية ، ويبتلع الغول ابعادا عربية جديدة . ويسيطر اليأس على سميرة حتى الموت ، هي التي لم تحيا لولا الامل .

اذا قال احدهم ان النكسة الاخيرة ، كانت سببا في نهايتها ، فلا تستغرب . ان حياتها الفنية ، وهي اصدق مظهر من مظاهر التعبير النفسي تشهد على ذلك . ان الحلم الذي يرتعش بنبض العودة يسري في شرايين ادبها ويعطيها نسغ الحياة . فاذا غشي الضباب الكثيف هذا الحلم الجميل كانت النهاية نتيجة حتمية له .

لقد جاهدت سميرة عزام فنيا في سبيل القضية العربية وصورت حنين الفلسطيني وتمرده ونضاله . وترجمة اثارها الى اللغات العالمية من مستلزمات الدعاية العربية وانجعها اثرا التي تعرف العالم على افظع جريمة ارتكبت في هذا العصر : جريمة ان تحرم انسانا من ارضه وسمائه وجذوره العميقة المتشعبة في شرايين التربة المرتوية منذ الاف السنين بالعرق والدم والاجساد . هل هناك شيء اكثر بداهة ؟ ولكن كم يبدو هذا العالم بليداً ، فاقداً حس الادراك ؟ وبالرغم من بلادة هذا العالم ومن ظلمه ومن لامعقوليته فان الشعب العربي الذي عانى والذي لا يزال يعاني هذه الفاجعة التي هي اكبر فاجعة في تاريخه القديم والحديث لن يتراجع ولن يستسلم ولن يرضخ للظلم . لقد كان التاريخ العربي كله ضد الظلم والظالمين وسيظل هذا الشعب ، امينا على تاريخه ، حريصا على ان يضرب اروع الامثال في التضحية والصراع ضد الظلم وستظل سميرة عزام في ادبها وحياتها عنوانا من عناوين هذا النضال والمقاومة . المقاومة حتى يزول وجه هذا العالم المشوه ، وتعود الارض تحتضن ابناءها الشرعيين .

# سميرة عزّام والقِصّة

بقلم الدكتور محمد يوسف نجم

انه ليحزنني أشد الحزن ، أن أقف اليوم لاتحدث عن انسان عزيز علي قريب الى نفسي ، من خلال قراءة نتاجه ، بينما كان هذا الانسان قبل شهور ، صفحة حية مشرقة ماثلة امامي ، تتجسم فيها صفات الذكاء الحاد ، والفكاهة العذبة ، والحيوية المتدفقة والاخلاص الفذ • ان مهمة مؤرخ الادب او ناقده لتغدو عسيرة شاقة ، حين يضطر في بضعة شهور ، الى ان يقسر النظرة التي كانت تقرأ الادب من خلال الحياة ، على ان تطالعه صفحات مكتوبة وحروفا صامتة ، يستجلي فيها بالتأمل والتفكير ، ما كان بالامس يستجليه بالحس والمخالطة والخبرة الحية ـ فوالله لولا انها سميرة ، الصديقة المثلى ، التي نعمت بصداقتها الخالصة وودها المصفى ردحا من الزمن ، عزت فيه الصداقات ، لما أقحمت نفسي هذا المقتحم ، لاتلو على مسامعكم كلام المؤرخ الناقد ، الذي كان بالامس القريب سرار الصديق الى الصديق ، أو خطاب القارىء المتذوق الى الكاتب المبدع ، حيث يتسع مجال المناقشة وتصطبغ كل عبارة بلون الحياة وينطلق الكلام حوارا تحوطه رعاية الصداقة ، ومقابسة يلفها جو الثقة ، فيصبح المتذوق والمبدع كلاهما معلما ومتعلما .

ما كان أغنانا ايتها الصديقة العزيزة ، عن هذا الحوار الاصم ، لولا فجيعة النكسة التي كنت قربانا من قرابينها ، وشهيدة منشهدائها في ذلك الرتل الطويل من المجاهدين الشرفاء الذين صعدت ارواحهم في معراج الفداء ، لتتبوأ مكانها في أعلى عليين مع القديسين الاخيار والشهداء الابرار .

***

منذ عشرين عاما أخذت تنعقد في أفق الادب العربي سحبسوداء مدلهمة ، نراكمها زفرات حرى كان يصعدها الفلسطيني التائه ، لتصور احزانه ، عقب تلك النكبة التي دمرت نفسه وقصمت ظهور اخوانه العرب . وكان يجد متنسما للكلام ، اذ أوهم بأن ليس ثمة متسع للعمل ، فصاحب القضية مكره على ان يتنازل عنها لمحاميه ، ليحل المدافع بالكلام مكان المدافع بالساعد ، وتغدو قضية صاحب القضية ، الجري وراء لقمة العيش الملوثة بالدم والمهانة ، ينتظم من اجلها صفوفا طويلة ، ويطاردها اناء الليل وأطراف النهار ـ في تلك الايام المضمخة بعبير الجهاد وأمجاد الثورات المظفرة ، المجللة بسواد الحاضر ومآسي الامس القريب ، كان المقيم يلوك لسانه ولا يجرؤ على أن يخرجه ، والمهاجر يمضغ ذكرياته بما اختلط فيها من حلو لسانه ولا يجرؤ على والمهاجر يمضغ ذكرياته بما اختلط فيها من حلو ومر ، مرددا حماسيات أبراهيم وملاحم عبد الرحيم ، شهيد الشجرة ، وشوارد أبي سلمى ، ورومانسيات فدوى التي كانت ترثي الوطن حين ترثي أخاها ، ثم ينطلق لسانه هو ليعبر عن النكبة الفاجعة بعد ان خرجت من حيز الامكان والترقب الى حيز الواقع والفعل . كانت كل الجوانح مطوية على الالم ، وكل السواعد متحفزة للعمل ، لو أتيح لها العمل، وكل الالسنة مشحوذة للقول وما أوسع مجال القول .

في تلك الايام الحزينة ، بدأ قلم سميرة يلتمع بين الصفوف في خشية واستحياء . كانت تبحث عن بيئتها وذكرياتها بعين فتاة صغيرة تائهة فقدت بيئتها وذكرياتها ، في خضم متلاطم الامواج ، لم تكن تلحظ فيه ، في بدء تفتح موهبتها ، الا الاشياء الصغيرة . كانت تلقي ببطلتها لتختبر ما يختبره غيرها من الفتيات في البيئة الجديدة تلك ، ولكنها كانت تكبح زمامها وتلجم خطاها لانها ، كما تقول ، « ليست كالاخريات ، وهي غيرهن نبتا ونشأة ، وهي ذات مبادىء ما أرخصتها قط » .

وكانت ترى الناس من حولها « يحسون الايام ، اما هي فما في عام يروح واخر يجيء مبعث فرحة او محرك امل ، فيومها الاخير كبقية الايام ، وليلتها كتلك الليالي الباهتة ، وجه تقنع بالجمود » . وكانت تكتشف ذاتها او تسعى لتوكيد ذاتها أمام جدار الجنس الاخر الذي يقيد خطى الفتاة ، ويشل حركتها ، وهكذا تضطرب صورة الحياة بين يديها وتغدو القصة حكايه نفس ملونة بلون الذات ، تعالج بها التجربة لتقود الى الموعظة ، وتذوب فيها الحدود بين الميلودراما والمأساة . وبذا اكتسبت اقاصيصها الاولى حيويتها من انشغالها بالقضايا الاخلاقية ، النابع من تربيتها ومحيطها وذكريات الايام الخوالي في ديار الوطن . لقد كان مستودع الذكريات معينا ثرا اغترفت منه ، وانتشلت من طيه أيام السعادة الاولى ، وتقاليد العائلة المحافظة ، معكوسة على جدار الحاضر المظلم في بابل المهاجرين واللاجئين والسبايا ، او العائدين الذين لم يعودوا . ومن خلل الملاحظة الدقيقة والوعي الاخلاقي الذي لا نرتحي قبضه ، اخذت شخصياتها تتحرك وتنمو ، ومواقفها تتطور وتتبلور ، كان همها آنذاك ان تتذكر وان تلاحظ وان تحس ، اما التأمل والتفكر ، والشك والايمان ، والنقد والمحاسبة، فطورها لم يحن بعد . كانت اقاصيص الاشياء الصغيرة صراعا بين الروح العذب والنفس البريئة الطاهرة من ناحية ، والمحيط الجديد الذي لم نستطع ان تهضمه وتتمثله وتمتصه في كيانها لتتلبس به كيانا اخر • انها يقظة الطبيعة المتخيلة المبدعة ، والتماسها المجال الذي تستطيع أن تنداح فيه وتتسع وتنسرح ، سواء في عالم التصوف الاخلاقي أو المحبة الانسانية . انها وعي الاخلاق في طبيعة منبسطة كبلها الظلم والعزلة والحدود التي تفرضها الذكريات والمواضعات ، والتقوى الموروثة والتعطش الى السمو والتشبث بالمثل .

لقد صارعت صراعا مريرا لكي تنحي ذاتها وتقف على طرف المسافة الموضوعية بين ما هو كائن وما ينبغي ان يكون ، وجاهدت لكي تظل بعيدة عن مواقفها وأشخاصها ، وتنطلق الى حياد الكلاسيكية وصدقها : « كانت » كما تقول « في رأسها خطوط مختلفة لمشروع ، كانت تعاني فيه فراغا لا يملؤه الا جبار ، جبار يبدو معه ماضيها شيئا ممسوخا ، شيئا لا يجرؤ حتى ان يهز في نفسها مكامن الحنين أو ان يقول انه منها ... كانت تحب الحياة وتهيىء نفسها لرسالة فيها لا تعرف كيف تبدأ بها ، وكان الفراغ يخيفها ويجسم لها فظاعة العدمية، وباتت تضيق بالركود وتشتاق شيئا من التطرف في طبعها : ان تحب كثيرا وتكره كثيرا ، ولا يمكن لانسان فارغ ان يبلو شيئا من هذا » . انها ، اذن ، تبحث عن الجبار أو البطل : « بطل دوره في حياتها عظيم ، متفرد يرقى بها الى حيث تكون الحياة عبقرية وفنا لا يمارسهما كل الناس ، الى حيث يعبر الانسان عن انسانيته باصالة كبيرة » .

في تلك الايام ، أيام ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، حين كانت سميرة تكتب اقاصيص الظل الكبير ، عثرت على البطل الجبار الذي كانت نفسها تتشوف اليه ، وعثرت الامة العربية على البطل الجبار الذي جسم طموح الامة وبعث الامل في نفوس ابنائها ، وبخاصة ابناء الفردوس المفقود النائمين على حلم العودة ـ حينئذ بدأت معادلة حياتها تتغير على ضوء باهر جديد : اخذت تسقط من مخزونها ذكريات الفتاة الانثى ، وشرعت تستوعب في كيانها تجارب البطلة المجاهدة ، متفيئة ظل البطل الكبير صانع الامجاد ومجترح المعجزات .

والتطور الفني لسميرة يكشف عن هذه الحقيقة الساطعة ، فموهبتها الاصيلة وطاقاتها المتحفزة وقدراتها المتعددة ، لم تتسرب في الطريق السوي الذي كانت تغذ السير اليه الا حين اكتشفت بطلها والتزمت بقضيته : قضيتها . هنالك فقط احست بذاتها وعرفت اين تضع قدمها وكيف توظف موهبتها . لقد اطل العصر الجديد ، عصر الادب المكافح ، في أقصوصتين من أقاصيص الظل الكبير ، استوحتهما من احزان اللاجئين وعذابهم وحنينهم الى العودة ، وهما « زغاريد » و « عام آخر » . وفي هذه المجموعة ايضا بدأت تفكر في مواجهة الموت مواجهة مأسوية ، خالصة من الميلودراما والوعظ والتعليق . وبدأت تأخذ نفسها اخذا شديدا : تحاسب وتعاود وتراجع ، وتكتشف ان موهبتها وحدها لن تكفي لتحمل تبعات العهد الجديد ، عهد الكفاح ، فلا بد اذن من تعهدها بالصقل والتهذيب . اقبلت على القراءة ، واتسع نطاق قراءاتها ليشمل الى جانب الادب الدراسات الانسانية والعلمية ، واخذت اقاصيصها الجديدة تشي بتلك الثقافة ، ولو أن عناصر منها بدت وكأنها استعصت على الهضم ، فران على السطح بقع تجريدية لم يتمثلها الفن ، او لعل الاصح ان نقول ان هذا التجريد كان ضربا من الصراع بين العاطفة والحاجة الذاتية من جهة ، وبين حلم التميز والبروز ، مشروع المستقبل الذي استهلت به مجموعة « الظل الكبير » من جهة اخرى . فلذا طغى الضوء الباهر على اللهب الذي ينضج دون ان يعشي الابصار . وبدت بعض نواحي الضعف هنا وهناك ، في طور التصفية ذاك ، نتيجة لطغيان الاحساس ، او تعجل الاحساس المندفع الى ان يقف ثمار التؤدة والنضج .

ثم جاءت القصص الاخرى حصاد سنوات سمان عجاف ، ثارت العراق . ثم انحرفت ثورتها ، وعاشت سميرة اعراس الثورة واتراح الانحراف في عاصمة الثورة . وكانت الوحدة ، حلم الاجيال الذي بعث الامل وادنى القطاف ، فاذا باقاصيصها تبتهج حيناً ، وتشارك في تعميق حس المأساة وفي ابراز صورها الدامية حينا اخر ، كأنها كانت تستحث الثورات على العمل ـ واذا « ببرك سليمان » و « خبز الفداء » تجسمان المأساة في اعمق خطوطها وابأس صورها . كانت عطشى تبحث عن الماء ، وكانت تائهة حيرى تبحث عن وطنها بين تلك الاوطان التي تحررت او توحدت ، وتصرخ في وجه الثورة الا تقدمي ، وتستغيث ببطل الاحلام الفارس ان يردفها وراءه ويعود بها الى الوطن الحبيب .

ثم كانت « الساعة والانسان » ، مآسي متلاحقة يتصارع فيها ما هو من نتاج الملاحظة وما هو من ثمرة التأمل العميق . فالفلسطيني ما يزال مشردا موصوما بنسبته اينما حل ، مسبي النفس والجسد ، تراكمت الوان الخيبة عليه ، وتلاشت احلامه في العودة بعد الانفصال ، وعادت لغات بابل المنكرة تضج من حوله ، كلام في كلام ، فليبدأ هو ولينتدب نفسه للعمل ، اذ لم ينتدبه احد ، لانه يحبهم ، وضريبة الحب هي الفداء . هل يئست سميرة بعد ذلك ، لقد ألفت بنفسها بين شقي رحى ـ فلتكن كاتبة ولتكن مجاهدة ، لتكتب ، على ان تحقق مشروعها الكبير ، سيناء بلا حدود ، ولتنتدب نفسها ايضا للعمل وللفداء . كلاهما شاق عسير ، ولكن خلاص الوطن فوق الراحة بل فوق الحياة . والكلام وحده لا يجدي وأن كان من ذهب ، والفن ترف للفنان الشريد . ثم وقفت الواقفة ، واعجلتها النكسة ، وحطمت نفسها فعادت تمضغ لسانها وتجتر ذكرياتها وتقتات بآلامها ، واستوى الزرع على سوقه ونضجت الثمرة بل احترقت ، وسقطت سميرة شهيدة حب ولكن لبطلها ، وفداء ، ولكن لوطنها .

***

عليك سلام الله ايتها الرفيقة المناضلة ، وليكن عزاؤنا فيك ان سيرة كفاحك العطرة ستظل نبراسا يضيء دياجي الخطوب ويهدي خطى الحائرين ، ويحرق انفاس المترددين المتخاذلين .

ولتردد المحافل والكتب ، حين تعرض الامم امجادها في سوق المفاخر : كانت اديبة مجاهدة ، ما صر القلم في يدها الا وعينها على فلسطين ، وما حملها الخيال يوما على اجنحته الا ليحوم بها في اجواء الوطن الحبيب ، وما انتدبت نفسها الى عمل الا والوطنية حسيبها ورقيبها ـ شاركت في الذود عن الوطن مخلصة متفانية ، حين عز الحماة وكثر الرغاة المتشدقون المتفيهقون ، ولم يثبت في مستنقع الموت الا الصادق الامين .

# سميرة عزّام والأدب النسائي

بقلم رجاء النقاش

عندما قرأت نبأ وفاة سميرة عزام شعرت بحزن عميق يملأ روحي، وحينما انتهت لحظة المفاجأة والصدمة ، فكرت في هذا الحزن الغامر : من اين جاء ؟ ... هو من جانب حزن شخصي ، فلقد كنت اعرف سميرة عزام منذ عشر سنوات تقريبا ، وكنت اجد في شخصيتها نموذجا انسانيا ممتازا ، لقد تعودت ان تخفي عن الآخرين همومها لتعيش هي في هم الآخرين . وتعودت أن تعطي نفسها – باخلاص وتواضع وامانة – للقضايا العامة التي تتصل بالمجتمع العربي كله اكثر مما تعودت أن تسجن نفسها مع القضايا الذاتية الخاصة ، ومثل هذا النموذج الانساني الذي تمثله سميرة كان جديراً بأن يحتل من قلوب الذين يعرفونه مكانة رفيعة . على ان حزني على سميرة لم يكن مصدره هذه المعرفة الشخصية وحسب ، بل كان مصدره من ناحية اخرى معرفة ادبية طويلة ، فقد تابعت ادب سميرة عزام منذ سنة ١٩٥٤ حتى آخر انتاجها المنشور ، ومنذ اللحظة الاولى وانا احس أن سميرة تقدم للادب العربي المعاصر نموذجا اصيلا ، وكنت واثقا ان هذا النموذج لن يلفت النظر بسهولة ، ولكنني الى جانب ذلك كنت واثقا من اصالته الفنية والفكرية ، ولقد كانت وفاة سميرة فجيعة ادبية بهذا المعنى ... فالآمال التي كنا ننتظرها منها لم تكن تقل خصوبة ولا غنى عن تلك التي حققتها بالفعل .

على ان الظروف التي ماتت فيها سميرة والتي تعلمونها جميعا قد جعلت من موتها حزنا لا يمكن ان ينساه الانسان ، كما تعود البشر ان ينسوا احزانهم بمرور الايام . لقد ماتت وهي في طريقها الى الاردن بعد فترة قصيرة من حرب الايام الستة الحزينة من يونيو١٩٦٧ ... وهكذا ارتبطت وفاة سميرة بجرح كبير من جراح امتنا العربية .. ولست أشك أن انفعال سميرة بالمأساة كان السبب الاول في وفاتها ... اقول ذلك وانا اعلم انها كانت مريضة وان الاطباء كانوا يشعرون بخطر الموت يزحف على حياتها ... ولكن المرض بكل تأكيد كان من الممكن أن يعيش معها – مستأنسا – لسنوات وسنوات ... ولكنه الجرح الاكبر الذي اصاب العرب في الخامس من يونيو هو الذي قضى – بالانفعال العنيف والشعور الطاغي – على حياة سميرة.

***

لعل من واجبنا هنا الآن – وفاء لسميرة نفسها – ان نترك قليلا لغة الحزن والعاطفة لنتساءل : ماذا كانت تمثله سميرة عزام في الادب العربي المعاصر ولي على هذا السؤال اجابة قصيرة واجابة اخرى مفصلة ، اما الاجابة القصيرة فانا اقولها بلا تردد ولا تأثر بأي ظروف خاصة قد يمليها جو التكريم لذكرى انسانة عزيزة راحلة ... فالانسان كما يقول جوركي « لا يصبح احسن مما كان لمجرد انه مات »

... لقد كانت سميرة عزام افضل كاتبات القصة القصيرة في ادبنا العربي المعاصر منذ ان اشتركت المرأة العربية في هذا الميدان الفني.. ميدان القصة القصيرة الى اليوم ، ان سميرة هي اميرة كاتبات القصة العربية القصيرة ... أقول هذا الحكم الفني مطمئنا اليه واثقا منه كل الثقة راضيا بأي مناقشة فنية أو فكرية حوله . على أنني أحب أن أؤكد أن هذا الرأي لا ينقص من قدر عدد آخر من الكاتبات الجادات اللاتي يحاولن أن يصنعن شيئا له قيمة وله مستقبل في هذا الميدان.

هذه هي الكلمة العامة حول دور سميرة عزام في ادبنا المعاصر ، واذا سمحتم لي أن أوضح هذا الرأي بشيء من التفصيل ... فانني أرى الصورة في ميدان الادب الذي يعالج قضية المرأة العربية ويعبر عنها على النحو التالي :

هناك مدرسة قديمة في النظر الى قضية المرأة العربية وفي التعبير عنها ، وهذه المدرسة تنظر الى المرأة والى قضيتها كما كان الآباء والاجداد ينظرون الى هذه القضية في عصر الحريم وعصر المماليك والجواري ، وأعتقد أن هذه المدرسة التي لا مفر لنا من تسميتها باسم المدرسة الرجعية قد استطاعت أن تخنق كثيرا من المواهب الفنية النسائية وتقضي عليها واذا جاز لي الآن أن أشير الى بعض المآسي التي أصبحت ملكا للتاريخ ، فليس هناك حرج على الانسان من أن يشير الى ما أصبح التاريخ يملكه ...

فانني اذكر لحضراتكم أن مصر قد عرفت منذ عشرين سنة تقريبا شاعرة شابة اسمها « ناهد طه عبد البر » . وكانت هذه الشاعرة تكتب تحت أسم مستعار يتكون من الحروف الاولى من أسمها الحقيقي أي : « ن.ط.ع. » . وقد رفضت هذه الفنانة الشابة أن تكتب اسمها الصريح الكامل تحت ضغط الخوف من الفهم الرجعي للادب وللمرأة على السواء . فقد كانت هذه الفنانة تعاني من الاحساس بانه ليس من حق المرأة أن تفصح عن مشاعرها بالتعبير الادبي ، لانه اذا كانت المرأة العربية قد كشفت حجابها المادي بعد معركة عاصفة ، فان كشف الحجاب الروحي مسألة أعصى من أي مسألة مادية أخرى . ولقد ماتت هذه الفنانة الشابة في مقتبل العمر تحت تاثير الصراع المدمر بين ارادتها الحرة والظروف الفكرية الفنية التي فرضتها على نفسها أو التي فرضتها عليها البيئة المحيطة بها . وقد كشف حقيقة مأساتها بعد وفاتها الناقد المصري الراحل أنور المعداوي ، فقد كانت هذه الفتاة المسكينة تكتب اليه بفنها وببعض أسرار روحها ، على أن انتاج هذه الفتاة مع رسائلها الخاصة التي تتحدث فيها عن مشكلتها لم ينشر شيء منه حتى الآن ، باستثناء بعض القصائد المبعثرة في الصحف والمنشورة تحت اسمها المستعار ، وأتمنى أن يرى انتاج هذه الفنانة النور كوثيقة اجتماعية ان لم يكن كوثيقة فنية .

ومأساة أخرى من هذا الطراز هي مأساة الكاتبة الروائية « عنايات الزيات » التي انتحرت بعد أن كتبت روايتها الاولى والوحيدة « الحب والصمت » وقد صدرت هذه الرواية منذ شهور في القاهرة . وفي تقديري أن بقايا الفهم الرجعي لقضية المرأة ولادب المرأة على السواء هو المسئول عن مثل هذه المآسي ، وربما كانت هذه المآسي نفسها حالات متطرفة ونماذج شاذة ، ولكن الذي يواجهنا من آثار هذه المدرسة الرجعية في انتاج بعض كبار الاديبات العربيات ليس بالقليل. فما أكثر ما نجد في بعض النماذج المعروفة من هذا الادب النسائي الكثير من التحفظ ، والخوف من أي بوح صادق ، والميل الى التجريد والتعمية والغموض ... وكل هذه الظواهر ليست سوى ثمرة للتأثر بالمدرسة الرجعية في الفكر والفن والحياة .

على أن هذه المدرسة الرجعية القديمة تنهار يوما بعد يوم، والزمن يجرفها معه ولا شك مع أي بقايا أخرى لم يعد العصر يهضمها في الفكر والحياة .

بقي في ميدان قضية المرأة والتعبير عنها مدرستان ... أعتقد ان الصراع بينهما هو الصراع الحاسم والحقيقي ، وهو الصراع المدوي حقا في حياتنا الفكرية والاجتماعية المعاصرة ، وهو بعد ذلك كله الصراع

الذي يجب ألا نتركه للزمن ... بل ينبغي أن نحدد موقفنا منه ونساعد على حسمه .

فهناك مدرسة أدبية وفكرية تدعو الى حرية المرأة بمعنى خاص.. أسارع فأقول بكل صراحة انه معنى مستمد من حياة الصالونات، ومن حياة الارستقراطية العربية والغربية على السواء ، وأسارع مرة أخرى فأقول ان هذا المعنى هو أكثر المعاني زيفا ورخصا وتضليلا في فهم قضية المرأة ، وهو ثمرة الفراغ عند الطبقات الطفيلية غير المنتجة في المجتمع العربي ، وثمرة التقليد عند الذين يعتبرون مثلهم الاعلى هو حياة هذه الطبقات عندنا أو في الغرب ... فالمرأة عند هذه المدرسة هي المرأة التي تبحث عن المغامرة ، وتعبير عن قلق وهمس هو قلق الضياع وعدم الارتباط بحركة المجتمع الحقيقية . وخلاصة موقف هذه المدرسة في فهم المرأة والتعبير عنها – فكرا وفنا وصحافة – ان الحرية المنشودة للمرأة هي حرية التفريط وحرية النزوة وحرية العبث ، وأن من يسميه أصحاب القيم بالمرأة المنحلة يسميه أصحاب هذه المدرسة بالمرأة المتحررة .

ولقد استطاعت هذه المدرسة أن تجد في بعض العواصم العربية صحفا واسعة الانتشار تروج لها ، وتقدم الحماية والرعاية والدعاية والدعوة . وفي مصر بالذات حملت لواء هذه الدعوة مدرسة صحفية معينة ، تعفيني هزيمة هذه المدرسة وانهيارها أمام القيم الجديدة الاصيلة التي أرستها ثورة ٢٣ يوليو من تحديد اسماء أصحاب هذه المدرسة الصحفية ، وهي التي روجت لهذا الفهم الزائف لادب المرأة ولقضية المرأة على السواء . وقد حاولت هذه المدرسة الصحفية أن تنشىء مجلة نسائية ذات يوم تدعو لهذه القيم المنحرفة وتنادي بها ولكن هذه المجلة لم تستطع أن تعيش في مجتمعنا الجديد أكثر من أسابيع ثم أغلقت أبوابها بلا أسف عليها من أحد ومع ذلك كله فما زالت هذه المدرسة وخاصة في الميدان الادبي والفني في بعض البيئات العربية قوية مدعمة ذات نفوذ واسع .

أما المدرسة الادبية الثانية والتي تقف على رأسها سميرة عزام ، صاحبة الذكرى النبيلة التي نحتفل بها اليوم ، فهي مدرسة تقوم على عدة دعائم :

أولا : ترفض هذه المدرسة أن تجعل للمرأة قضية مستقلة عن قضية الرجل في مجتمعنا العربي ، وترى أن حرية المرأة مرهونة بحرية المجتمع كله ، وأن تقدم المرأة مرهون بتقدم المجتمع كله . وكل كلمة كتبتها سميرة عزام في مجموعاتها القصصية الاربع تؤكد هذا المعنى... كما أن سميرة عزام لم تصل الى هذه الفكرة بعد تطور أدبي وفني ، بل بدأت بهذه الفكرة منذ مجموعتها الاولى ، « أشياء صغيرة » حتى آخر كلمة كتبتها ، وحققت سميرة عزام كل تطورها في نطاق هذه الفكرة بالذات . وهذا الموقف العظيم والصحيح معا في ربط قضية المرأة بقضية المجتمع كله هو المدخل الصحيح لفهم قضية المرأة العربية، وهو الموقف الذي اتخذه قبل سميرة ومعها كل المفكرين والفنانين الكبار في ثقافتنا العربية المعاصرة ، وأذكر أن الرائد العظيم في الدعوة الى تحرير المرأة « قاسم أمين » كان يقول في مطلع هذا القرن : ان المرأة لا تفقد حريتها الا مع رجل يشكو من فقدان الحرية في مجتمع غير حر . ولذلك كان قاسم أمين في ذلك الوقت المبكر من هذا القرن يرى أن سر مأساة المرأة في المجتمع العربي هو أنه مجتمع خاضع للاستعمار. ويا له من تفسير جريء وسليم في ذلك الوقت البعيد .

واذا أردنا أن نشير الى نماذج أخرى في هذه المدرسة الادبية والفكرية التي تنتمي اليها سميرة عزام فاني أشير هنا الى نجيب محفوظ ذلك الفنان الكبير الذي كتب كثيرا عن المرأة العربية في مصر . وفسر مأساتها بأنها مأساة المجتمع نفسه ، ولعلنا كلنا نذكر شخصية حميدة في روايته المعروفة « زقاق المدق » تلك الفتاة الشعبية البسيطة التي خرجت من حي « الحسين » الى المجتمع الواسع العريض ، ثم سقطت وانهارت وكان السبب في سقوطها وانهيارها هو الانحلال الذي أشاعه الاستعمار الانجليزي في مصر خلال الحرب العالمية الثانية . ولقد كان نجيب محفوظ في تلك الرواية يؤكد أن مأساة المرأة هي مأساة المجتمع ، بل لقد جعل « حميدة » رمزا لمصر كلها كما يرى معظم النقاد ، أي أن مأساة المرأة هي مقابل موضوعي دقيق لمأساة المجتمع كله .

ثانيا : استطاعت سميرة عزام أن تصل الى هذه الرؤية الصحيحة الاصيلة لقضية المرأة العربية لسبب جوهري – في اعتقادي – هو أنها اختارت نماذجها من الطبقات الشعبية ، حيث تبدو الحقيقة الاجتماعية والوطنية والانسانية واضحة بل ساحقة في وضوحها ، ولقد استطاعت سميرة أن تقرأ نماذجها الانسانية فتحسن قراءتها ، واستخرجت كل القيم العامة والافكار الرئيسية ، وفي الحقيقة لم يكن أمام سميرة عزام – بطبيعتها الفنية والنفسية – الا أن تتجه الى هذه النماذج بالذات . لان المدرسة الاخرى التي تزيف قضية المرأة بحجة الحديث عن المثقفات والحائرات والغاضبات والثائرات ... هذه المدرسة انما تعتمد على الاختيار السطحي السريع لنماذج من الطبقات الارستقراطية أو شبه الارستقراطية أو المقلدات للارستقراطية ... وفي مثل هذه البيئة تضيع كل الحقيقة الفنية والفكرية وتنطمس الرؤية الانسانية تماما . لقد ابتعدت سميرة عزام بنبوغها الفني والانساني عن هذه النماذج لانها لم تجد فيها – كما هي في الحقيقة – الا قشرة زائفة لا تعطي شيئا عن حقيقة الناس الذين يعيشون في المجتمع العربي .

ثالثا : كانت سميرة تحمل في قلبها دائما مأساة فلسطين سواء عبرت عن ذلك مباشرة أو عبرت عنه بطريق غير مباشر .

رابعا : أعتقد أننا لا نصطنع أي حكم نقدي ان قلنا ان أدب سميرة عزام هو أدب ثوري ، بمعنى أنه يخدم ويكشف الحقيقة الاجتماعية التي يمكن أن ينطلق منها التطور الصحيح . فلا يمكن أن ينطلق التطور الاجتماعي من قلق فتاة أرستقراطية تبحث عن عشيق تلهو به ويلهو بها ، ولكنه يمكن أن ينطلق من قلق فتاة بسيطة تبحث عن علم أو عمل أو حبيب حقيقي يشاركها تجربة الحياة . ومن خلال مثل هذه النماذج استطاعت سميرة ان تصور هموم المجتمع الصحيحة ، واستطاعت ان تصل الى الثورية في الادب ، من نفس الطريق الذي وصل منه فنان مثل نجيب محفوظ ... طريق الفهم ، والعمق ، والارتباط بالنماذج الغالبة على مجتمعنا العربي .

خامسا : هناك بعد ذلك قضية العاطفة الانثوية في أدب سميرة . لقد تحدث بعض سخفاء الادب وأصحاب النظرة المشوهة الى المرأة بل والانسان معا فقالوا : ان أدبها يخلو من العاطفة بل ومن الانوثة . واذا كان مفهوم العاطفة أو مفهوم الانوثة هو العرض المحموم المريض لبعض التوترات المراهقة ، أو التركيز على الاستمتاع بتقديم الصور الجنسية أو المشاعر الجنسية بدون أي مناسبة أو مبرر أو فكرة ... اذا كان الامر كذلك فان أدب سميرة وأدب أي كاتبة اصيلة ممتازة يخلو من العاطفة ومن الانوثة بهذا المعنى المنحرف ، أما اذا أردنا التعبير الانساني الصادق عن العاطفة وعن الانوثة فاننا سوف نجد في أدب سميرة نموذجا رائعا حقا . لماذا ؟ لانها لا تضع العاطفة ولا الانوثة أبدا في اطار خاص وتعزلهما عن الحياة ثم تركز رؤاها وصورها الفنية عليهما . وهي لا تعزل أبدا بين مشكلة مثل مشكلة الجنس وبين مشاكل الحياة الاخرى ، ان الجنس هو جزء من الحياة وليست الحياة جزءا منه . ثم ان الانسان – امرأة كان أو رجلا – لا يجعل حياته من أجل الجنس وانما الجنس هو في النهاية من أجل الحياة . ولذلك جاء

أدب سميرة الذي تصور فيه المرأة تعبيراً عن حياة المرأة العربية بكل مشاكلها ومن بينها المشكلة العاطفية ، كل ذلك دون أن تعطي لبعض المشاكل حجما شاذا وغير طبيعي . فالذين يفعلون ذلك وخاصة في موضوع العاطفة وموضوع الجنس انما يقصدون الى الاثارة والتجارة لا الى الفن الصحيح الصادق .

هذه هي الدعائم التي تعطي لسميرة عزام قيمتها الفكرية والفنية في حياتنا الثقافية المعاصرة ، وكل هذه الدعائم قد أصبحت ذات مغزى كبير لان سميرة عزام قبل كل شيء هي صاحبة موهبة فنية عالية . وقد استخدمت سميرة موهبتها كما يفعل الفنان الذي يشعر بتجربة أهله وأمته ويضع فنه في خدمة هذه التجربة .

***

لست أزعم أن هذه الصورة التي أقدمها لكم كاملة أو شبه كاملة فهي ولا شك صورة ناقصة وبحاجة الى مزيد من الضوء . وعلى كل حال فانني أعتقد أن سميرة عزام قد أصبحت ملكا للتاريخ وسوف يقول النقد العربي عنها الكثير . ولكنني أحب قبل أن أترك هذا المنبر أن أثير في سرعة قضية أحس أن من واجبي أن أثيرها بينكم اليوم . لقد عاشت سميرة عزام حياتها الادبية دون أن تحقق لنفسها شعبية واسعة كانت تستحقها قبل غيرها . وكان انتاجها – كما وكيفا – يؤهلها للحصول على هذه الشعبية الواسعة . واذا قارنا ما حصلت عليه سميره في هذا الميدان بما حصلت عليه صاحبات المدرسة الاخرى التي تحدثت عنها في البداية لوجدنا تناقضا مؤسفا . وأعرف اسم واحدة من هؤلاء الكاتبات لا تكاد كتبها تظهر في السوق حتى تنتهي في ساعات. ويعلم الله ، وتعلم كل مقاييس الفن أنها ليست فنانة على الاطلاق. بينما المجموعة القصصية الاولى التي اصدرتها سميرة عزام سنة ١٩٥٤ ما تزال موجودة في السوق حتى اليوم وقد أعطاها لي صاحب احدى المكتبات مجانا . ولست أريد أن أجعل هـذه المناسبة فرصة للنواح والعويل على حظ سميرة ومدرستها الفنية . ولا أريد أن أحسد صاحبات المدرسة الاخرى على شهرتهن وانتشارهن الكبير ، ولكنني أريد أن أقول شيئا أحس به وينقل ضميري : اننا أيها الاخوة لا نتطرف في ايماننا بما هو عدل وحق في ميدان الفكر والفن ، بينما يتطرف الآخرون ويبذلون من أجل ما يريدون كل ما يملكون . ومن هنا فانني أطالب أيها الاخوة – ونحن أسرة سميرة عزام الفكرية والمسئولون عن مصيرها الادبي في حياتها وبعد موتها – أن يكون احتفالنا اليوم بسميرة عزام مناسبة لدعوة الى التطرف الحقيقي في الدفاع عما نؤمن به . ولا يعيبنا في دفاعنا عن قضايانا أن يكون لنا أصدقاء وأعداء ، فالذي لا أعداء له لا يستحق أن يكون مفكرا أو فنانا ، ولا يستحق حتى أن يكون انسانا . ان قضايانا العادلة أيها الاخوة في ميدان الفكر والفن تمشي على أطراف أصابعها كأنها خائفة أو كأنها خاطئة . وهذا وضع شاذ يجب أن نتخلص منه حياتنا الثقافية ، فلا يجوز أبدا أن نعيش في ظل هذا التقليد المؤلم : وهو أن نهمل قضايانا الحقيقية حتى نصاب بالفجيعة كما أصبنا بفجيعة سميرة . فنستيقظ ونحاول أن نصرخ وننتدم .

ان بامكاننا بل ومن واجبنا أن نسبق الفجائع التي تحل بنا ، وأن نضع القضايا التي نؤمن بها في موضعها الصحيح ... قبل أن تجرحنا الايام ، وقبل ان نستيقظ على حزن يملأ القلب ... وقبل أن نصيح بعد فوات الاوان .

وأخيراً ... فلتعش ذكرى سميرة عزام وردة لا تعرف الذبول نلتقي حولها في كل ربيع عربي ... واعد بالثمار ... واعد بالحياة ... واعد بالعودة الى الارض المسروقة ... واعد بانتصار كل ما دعت اليه سميرة عزام من قيم شجاعة وجميلة .

**رجاء النقاش**

---

صدر حديثا

# باباهمنغواي



**بقلم ا. هوتشنر**

ترجمة ماهر البطوطي

هوتشنر صحفي شاب أقبل على همنغواي يطلب منه حديثا ادبيا وهو يقول له : (( اذا لم تعطني الحديث ، طردوني من الصحيفة )) فاستجاب الروائي الاميركي الكبير للصحفي الذي اصبح صديقا يلازمه كظله طوال اربعة عشر عاما ، حتى موته .

و (( بابا همنغواي )) هو الكتاب الـذي أصدره هوتشنر اخيرا عن حياة همنغواي وكتبه باسلوب روائي شبيه باسلوب همنغواي نفسه ، وكشف فيه النقاب عن ان الكاتب الاميركي انتحر انتحارا ، ولم يقتل خطأ وهو يقلب مسدسه ، كما زعمت زوجته التي اقامت الدعوى الان على هوتشنر بسبب الاسرار الكثيرة التي كشف عنها في كتابه والمتعلقة بحيـاة همنغواي الخاصة ، ومنها اتهامه باغواء فتاة قاصرة في اسبانيا ومحاولته التهرب من دفع الضرائب الخ ..

كتاب ممتع لا يزال يثير ضجة كبيرة في اوساط العالم الادبية .

منشورات دار الاداب

# وَعْـــد ...

بقلم غسان كنفاني

ليس لدي ما اقوله لك ، يا سيدتي المرتحلة الى التراب ، ليس لدي ما اقوله لك بعد . اننا ننتظر ، مـــا زلنا ، مثلما انتظرت انــت طويلا .

ونبكي .

نبكي غياب الوطن والصديق ، نبكي موتك الفاجع ، نبكي موتنا ، وليس لدينا ما نقوله لك بعد ، انت التي تطلين علينا من وراء جدار الموت ، ونحن الذين نطل عليك من وراء جدار الخجل .

يا سيدتي واستاذتي وشراعي في بحر التيه والمنفى ، اقــدر لــي ان اقف انا لاقول لك ما لا استطيع ان اعبر عنه ؟ لو كنت واقفا الآن في بلادك ، لو كنت واقفا في عكا ، اهيل عليك التـــراب والدموع والحبر الشجاع ، لكان لدي اذن الكثير لاقوله .

لقلت لك : يا سميرة العزيزة ! لقد اخترق القلم الرمح طريقــه عبر السد الكئيب ، وها انت ذا في تراب بلادك قطرة خصب .

يا سميرة العزيزة ! ها انت في ميناك بعد ان ابحرت فـــوق الكلمة الشريفة جيلا من التيه والعذاب .

يا سميرة ! يا اختي ومواطنتي ورفيقتي في المنفى والطمـــوح والانتساب ، لقد وصلت . لقد تعبت وبكيت وتعذبت وتهت في سيناء لا حدود لها ولكنك وصلت . وها هو سور عكا الثقيل الذي هده الانتظار يشهد ، وها هو السنديان الثقيل يشهد ، وتل الفخار يشهد .. وجامع الجزار يشهد .

لكنت قلت لك ذلك كله ، لو كنت واقفا في عكا ..

ولكن ما الذي اقوله الآن ؟ ماذا يستطيع المنفي فوق التراب أن يقول للمنفي تحت التراب ؟ ما الذي يستطيع زورق مهجور أن يقول لزورق مهجور ؟

أية كلمة اقولها لك ، انت التي جاء موتك ذاته فــي الارتحال والتيه ، وعلى الطرق التي قطعت عروقنا واعصابنا وفقأت حبـــات عيوننا ؟

أعرف ، اعرف يا سميرة انك لست من الطراز الذي يستهويه النواح وسواد الحزن ، ولكن نحن ، نحن الذين بقينا معلقين على حبل الانتظار ، نشهد تساقط الرفاق وموت الزنود وجفاف الحبر ، مـــا الذي تبقى لنا غير ان نبكيك كي نكتشفك ؟ ما الذي تبقى لنا غير ان نغتسل بمرارة الحزن كي نصحو اكثر نقاوة ؟ ما الذي تبقى لنا غير أن نعرف معنى الحزن العميق ، غير أن نخبز رغيفنا اليومي في جحيمه ، غير ان نشربه حتى القرار ، غير ان نعلقه على صدورنا ووجوهنــا . نعذب انفسنا بالحزن ، نتوضأ به ، نشربه ، كي يكون العذاب طريقنــا الى الخلاص ، كي نستحق الفرار منه .

ما الذي تبقى لنا يا سميرة غير ان نعرف شرف الحزن ؟ شرف الحزن الذي يستولد غابة الفرح ؟ شرف الحزن الذي يمطر انتسابــا وصدورا وعيونا على الطريق ؟ الحزن الذي يصنع مـن الانسان المهزوم المغلوب على امره فارس الضوء والراية ؟

لست انا الذي سيقف عند كل حرف كتبه قلمك الشجاع ، فانـــا الذي اعرف ان الكلمة عندنا وسيلة ، وانها ان لم تستطع ان تتحـول الى حجر في يد الاعزل ، الى جواد تحت رجل طريد ، الــى رمح فـــي يد فارس ، الى ضوء في عيني اعمى ، فلتسقط الى النسيان والغبــار والصــدأ .

ولكنني انــا الذي اعرف كم يتعين علينا ان نحـولك مـــن كلماتك جناحي نسر ، انا الذي اعرف ان اكبر تشريف ترينه لكلمتك هــو ان نجعل منها حجارة الطريق الى الثأر .

ان نقول انك كاتبة من الطراز الاول يضعنا خــارج حقيقتك . فانت لست كاتبة الا بمقدار ما كنت ترين في الحبر نهر الحياة الذي لا يجف ، تيارها الذي يحمل على صدره مراكب العائدين .

فاذا اردنا أن نهيل عليك المديح فليس ثمة الا ان نكمل طريقـــك الصعب ، ان نكمل باصرارك رحلة التيه والمنفى ، أن نجعل كلماتـــك تنبض .

أن نعوض صمت قلبك بخفقان الكلمات . ان نبعثك حية بالحروف التي كانت سلاحك . ان نعــدك . ان نسقي بمحبرتك بــذور الانتساب الى ارض وانسان وقضية . ان نجعل من ابطال قصصـــك المعذبين رجالا ونساء لهم ارضهم وسماؤهم وهواؤهم .

فذلك وحده شيء يكرمك ، ويبعثك حية ، يجعل من كل حــرف خلفه قلمك مقاتلا في الصف الاول .

ذلك وحده يخلدك ، وهو دورنا .

فانظري الينا ، يا سيدتي المرتحلة . انظري الينا من وراء جدار الموت كيف نخترق جدار الخجل ، لتمطر دموعك على دموعنا خصبــا ورعدا يفجر الارض ويمد فيها طرق الزاحفين الى الشمس .

لا . فنحن وأن كان الحزن يطحننا ، الا انـه يجعل منا خبــز المقاتلين والفقراء وأطفال فلسطين المكبلة بالهجر والغصة . ان جروحنا يا سميرة تفتح شفاهها الحمراء في لحمنا فنزرع فيها بذور بأس جديد. لقد روت دموعنا حقولا لا بد لها ان تطرح مواسمها ذات يوم، وسيحصد اطفالنا من أرضها الخصيبة أقلاما مثل قلمك ، ورماحا مثل رمــاح المقاتلين الذين يموتون في سبيلنا ، وسيحصدون ، ذات يوم ، دموع الفرح .

لقد كانت حياتك وعدا انقصف فجاة فاوجعنا جميعا ، تعــودت صدورنا على الجراح وتعودت اكفنا على حصاد الشوك . وبكيناك ، بكينا ان تغيبي قبل أن يغيبوا عن عكا ، ومضغنا الحزن .

مضغت الحزن وانا اجرجر ورائي سلاسل الخجل . يا سميرة ! لقد فقدت امي ، ثم فقدت وعد الرجوع ، ثم فقدتك انت ، ولكنني اقول لك انني ، مثلهم جميعا ، لم نفقد لا خطواتنا ولا طريقنا ، ايكفي ان نكرمك بوعد ؟ ان نقول لك : يا سميرة !! اجل ! « عرب ولا نخجــل ، ونعرف كيف نمسك قبضة المنجل ، وكيف يقاوم الاعزل ؟ » .

ايكفي ان نكرمك بوعد ؟

اذن نحن نعدك .

غسان كنفاني

# سميرة عزّام

بقلم أبي سلمى

كانت الآمال تتوهج مع اطلالة الفجر على جبال الجليل في اوائل سنة ١٩٤٨ ، وكانت الاشعة تنعكس على الوجوه العربية في تلك السفوح، ومن بين تلك الوجوه العربيات الصباح كان رجال من سورية العربية توافدوا من شتى الارجاء الى وطن العرب فلسطين ، ليعتنق العرق والدم في التراب المقدس ، فالهب مجيء تلك العصبة المؤمنة فلسطين كلها ، وتداعت سيدات عكا وفتياتها فيمن تداعى الى الترحيب بالمجاهدين ، وتبرعن لهم بمصاحف وكتب وكنزات صوف نسجتها ايديهن الكريمة لتقيهم غائلة البرد في ذرى الجبال . وكان نصيب أحدهم وهو الضابط الباسل فتحي الاتاسي كنزة صوف جد في جيبها ورقة كتب عليها :

سيروا على وضح النهار     فالحق من نور ونار

والتوقيع : سميرة عزام .

لبس الفارس كنزة الصوف المنسوجة بخيوط نور العيون والامل لبسها معتزاً كالدرع الواقية في المعارك .

وكان فتحي الاتاسي من اولئك الميامين الذين وضعوا أرواحهم على اكفهم في الميادين ، وما هي الا جولة حتى ترجل القائد الشجاع وسقط شهيداً على ثرى فلسطين ، وهو يلبس كنزة الصوف التي نسجتها ابنة فلسطين « سميرة عزام » للفارس العربي المجهول .

من ذلك اليوم عرفت أي قلب كبير تحمله سميرة عزام ، ولما حلت النكبة عرفت أية جراح يحملها ذلك القلب ، وانني لاشفق على الكاتب الذي يخرج الحرف محترقاً من قلبه ، فما بالك اذا كان ذلك الكاتب يعيش مأساة شعبية برمتها .

وهكذا حملت سميرة عزام وطنها المثخن في قلبها الكسير، وتنقلت غريبة في الوطن العربي الكبير تحمل الحرف العربي آلام أبناء شعبها جميعهم وآمالهم . وكان حرفها يخفق خفقات النجم في وطنها وينقل الى الديار الغربية عبير البرتقال وشذا التراب الحبيب . وهكذا لمع حرف سميرة عزام شهاباً في الافق العربي ، وهكذا سطع نجمها ، ما ارتفع نجمها الا على الصدق في العاطفة والاخلاص في التعبير ، ما لمع حرفها الا على الصورة النابضة بحياة الشعب ، شعبها الفلسطيني المشرد ، فكان حرفها مثلها ، مثل شعبها ، ما زادتهم النكبة الا صفاء جوهر ، وما زادهم اللهيب الا طيب عنصر .

كان أغزر ينبوع تستقي منه سميرة عزام هو شعبها ووطنها وقلبها. كانت تعتمد على الشعب والوطن والقلب في صورها ، ولم تعتمد كما اعتمد غيرها على أصباغ المراهقة وألوان الجنس . فمحت الرياح والامطار صورهن الباهتة ، وازدادت صورها تألقاً وخلوداً .

لا أدري اذا كانت هنالك قاصة عربية تجاري سميرة عزام في قصصها الرائعة ، اشراقة عبارة ، وسمو فكرة ، ووضوح لوحة ، ورشاقة ريشة ، وحرارة عاطفة ، ورهافة احساس .

تقلبت طوال عشرين عاماً كما تقلب قومها على اللظى ، وعاشت المأساة كما عاش أهلها ، وعصف بها الظلم كما عصف بشعبها ، فأية قاصة عربية تمرست بهذه التجارب الداميات حتى تستطيع أن تعبر عن نكبة الشعب كما استطاعت سميرة عزام .

ان اتحاد الكتاب الفلسطينيين الذي فقد بغياب سميرة عزام عن الساحة ، ركناً من أركانه ومناضلة فلسطينية كانت حاملة الراية في الميدان ، ليعز عليه أن يفقد هذه الفارسة في هذا الوقت بالذات . هذا الوقت الذي نحن فيه بحاجة ماسة الى النضال الدامي أكثر من اي وقت مضى ، في وقت تختفي فلسطين كل فلسطين ، وراء الظلام ، فتختلج الفرسان وتتلجلج الالسنة وتذوب الكرامات وتغيب المروءات وتتخاذل الرقاب وينخلع الركاب ولا يلوح من وراء الحدود الا ظلال الشرف المثلوم .

غابت صاحبة القلم المشرع أبداً ، الشامخة المتحدية في وقت ركع فيه أشباه الرجال خوفاً من المعركة وسيوفهم ملقاة على الرمال خجلة في أغمادها .

ان الكاتب الحر لا يموت الا واقفاً في الساحة مثل قلمه الحر يتحطم ولا ينحني أمام العاصفة .

كنت مع سميرة عزام وبعض الاصدقاء في آخر جلسة معها ، على شرفة بيت صديق في أعلى الجبل ، وأخذنا نتحدث عن النكبة الكبرى وأبدت رغبتها في الذهاب الى عمان لترى شظايا الاهل الذين تحبهم وتستنشق رياح فلسطين الهابة من فوق الجسر المنكسر على الاردن الباكي ، وترى أرض فلسطين المتشبثة باقدام بنيها المشردين .

ثم جاءني النبأ الفاجع بأن سميرة عزام سقطت وهي في طريقها الى النهر الباكي والجسر المنكسر والارض المجرحة ، لقد ناء القلب الكسير الذي حمل الوطن المثخن فوقف في منتصف الطريق .

كانت سميرة عزام قبل الفاجعة الاخيرة مجنحة بالامل كانت مثل شجرة اللوز التي كتبت عنها تقول :

وحدثوني بأن الشجرة العريانة ، الشجرة التي كانت مظلمة لفرط ما تزهر ، لم تهو ، فثمة جذور لها في أرض أصيلة ، وقد سالوها لماذا لا تتسربل بالخضرة لتكون لها هوية الشجرة أو تموت ، فقالت : اقسمت أن ينعقد وعدي الا لعيونهم ، هؤلاء الذين باعدت بيني وبينهم ايام فما اطعم ابداً الا اليد التي جعلتني يوماً موصولة باسباب الحياة .

بالامس - تقول سميرة عزام - تمثلت لي شجرة اللوز في حلم فما رأيتها يباساً لانها اشاعت كل نجيماتها البيض كمن في عيد ، وخلتني اسمعها تقول سيعودون واعود شجرة لها كرامات الشجر في حديقة ربيع فلسطين .

هكذا قالت سميرة عزام منذ مدة قبل الفاجعة الاخيرة ، فلما انجلى الحلم عن يقظة مرعبة ، ولم يعد لربيع فلسطين عودة قريبة ، يبست الجذور في الارض الاصيلة ، وماتت شجرة اللوز عندما انقطعت اسباب الامل والحياة ، ولم تعد تشيع النجيمات البيض . وهكذا انطفأت سميرة عزام .

وبعد - لقد جئنا هنا في هذا اليوم لا لنبكي على امواتنا ، وانما لنبكي على احيائنا الاموات .

ابو سلمى

# ذكريات مع سميرة عزام

بقلم جمال أحمد

اخي شفيق ( * )

لك ولاحباء سميرة ، الحب كله ، والولاء والود . بعين اساي على صديقتي الراحلة ، ان اشركك واصدقاءها ، ما تعملون من اجلها هذا المساء ، وليس من عزمي ان اتحدث عن قصصها وما عربت من كتب ، فما اذكر ان شيئا من اعمالها ، يقترب حتى اقترابا من موهبتها الحقيقية : اشير الى شخصيتها . ما كانت روائية بطبعها ، وما كانت قصاصة مبدعة ، وما عانت الادب ملهاة ، كبعض بناتنا اليوم . موهبتها شخصيتها . لو كانت معنا هذا المساء ، لقالت لي ، (( ما اقرب ما تقول للصدق والحق )) ، وان كنت آخذ عليك الابانة والوضوح في بلاد تخافهما عن الراحلين امس فحسب . يغفر حبي لها ، وايثاري اياها ، اني لم افتن بالذي كتبت ، وان راعتني شخصيتها .

لن اتحدث عن سميرة الكاتبة التي احب القارؤون العرب في كل مكان ، لكني اريد لاقص حادثة بعينها في حياتها ، لعلها تعين الذين سيكتبون سيرتها يوما من الايام على استقراء عبرتها .

دعتني ذات مساء على الهاتف (( ان تعال )) ، فرحت ، وما كان في وسعي الا ان اروح على عجل . فقد كان في صوتها هدجة ما الفتها ، وفي حديثها الوجيز عجز ما عرفته . وكانت ايام مشفقة . القي في روع عبد الكريم ، ان كل عربي يريد به وبرجاله السوء ، واوحي اليه ان العروبيين ، لا يهدفون العراق ، بلد رائدا جسسورا اهله . لن تكتمل عروبة لا تباركها العراق . اوحي اليه ان ثروات العراق هي القصد ، ولقى كل هذا هوى في نفسه الطموحة ، فاهوى على الاخيار ، وعم الكثيرين الذعر والرعب . جاء هذا في خاطري وانا الف عمامتي في طريقي لسيارتي . وحسبت ان شيئا منزليا في طوقي ان اعينها عليه قد وقع . ودخلت صالونها الصغير ، فاذا هي وصديقتها الاثيرة نازك هناك ، صامتتان . نازك كانت أقرب بناتنا لنفسها ، وبين الاثنتين فجوة ، نازك تطيعها الكلمة ، كما لم تطع شاعرة او شاعرا عندنا في النهج الذي ابدعته وباسمها اقترن ، وسميرة تكدح ، تلهث ، تسهر وتخذلها الموهبة والقصد . هذه موهبة وقصد مبين ، وتلك كدح وقلق يتمتمان . ما ادري ما الذي جمع بين الروحين ، لعلها الصوفية والبصيرة في اعماق نازك ، والصوفية المنذرة نفسها في اعماق العزيزة الراحلة . شيء يشق على ادراكنا نحن الذين ناخذ الطيب جنب الخبيث على ايامنا السود هذه ، نعيش ازمتنا ، دقائق حوادثها كل يوم وساعة تكاد لا تدع لنا لحظة تأمل .

وقلت كلمات هازلة ، اريد لاحملهما على الحديث ، او احمل سميرة على ألاقل ، واذكر جيدا هذا الذي قلت ، اردتني على المجيء لاخلص قليلا من اثقال الحياة التي اعيشها دبلوماسيا عربيا في بلد طيب أشركه بكل جارحة فيه ، قدره على أيامنا تلك ، وكان هزلي هذا بعض حق ، لان سميرة كانت تعودني من حين لحين ، تلح علي ان اخدم مواهبي ، لا سادتي ، كما كانت تعبر . تعدني اقرب لشؤون الفكر من شؤون السياسة ، تحثني على العيش مع من أحب واختار ، (( بدر )) و (( جبرا )) و (( نازك )) لا مع الذين تختارهم لي المهنة . تلوح في وجهي باصابعها الصغيرة ، تفرطها فرطا على كفها الصغير . اقول لك : الفكر اولى ، انظر من يعرف القيصر الذي كان يدير امر الروس على عهد دستويوفسكي ؟ واليزابت الاولى .. الا ترى ان مارلو وشكسبير اعاناها على قدر من الخلود ؟ واجادل أنا ، ادفع عن نفسي ، لا انكر عليها الحق الذي تقول .

لكن كلماتي الهازلة لم تجد استجابة ، نازك مكانها ، لا تلين ، لا تقول . وسميرة مكانها كذلك حبيسة خجل عرفته في بناتنا نحن اهل السودان . وصمت ايضا انا ، فجاءت سميرة للنقطة ، قالت اسمع . واصغيت : لقد قرر (( الزعيم الاوحد )) ان أخرج من بغداد في اربع وعشرين ساعة ، مضت الان منها بضع ساعات ، واسهبت فيما بعد في حديث عن متاع دارها الذي جمعته عبر السنين في بغداد ، وكان بعضي يسمع ما تقول ، وبعضي الاخر يفكر في هذه التي اتخذت من بغداد موئلا ووطنا الى ان يكون لها موئل ووطن . واحبت أهله ، حتى لخفت عليها احزانها . كانت تتحدث عن الوقت الذي يقتضيه بيع متاعها ، او الاحتفاظ به في مكان ، حتى يتاح لنا ان نبعث لها به في بيروت . وسميرة ما عدت ان تكون امرأة كانت تتحدث عن الارائك والسجاد والبراد ، كأنها قطع بشرية ، لها حياتها المستقلة . جانب ما رأيته فيها الا ليلتي تلك ، وما عرفت ما اقول لاسري عنها ، ودخل اديب ، زوجها الرجل النبيل ، وجلس مثلي يصغي ورأسه بين كفيه ، شانه معها في الجانب المرئي من حياتهما معا . يكفيها مؤونة العيش الرفيه ، احسبه حتى يومي هذا ، ما عنى بالذي كتبت وقالت ، قدر ما عني بحراسة عقل يدرك انه معذب ، ممزق ، كقلبه . اخذ على نفسه أن يرعى واحدة ، على النحو الذي يرعى العربي اية انثى تجيء طريقه . (( أديب ايها العزيز )) ان كنت في الجمع ، استمع ، لك علينا دين ، حياؤك الجم ، يحول دوني والتصدي له .

كنا معا في بغداد أيام الملكية ، وكانت لقاءاتنا غير قليلة ، أغيظها في الذي كانت تذيع كل صباح ، كلما قابلت بين الذي أعمل والذي ينبغي أن أعمل ، على النحو الذي قلت قبل قليل . أقول لها تتحدثين عن خدمة المواهب والساسة ، وتلغين في الذي هو أنكى . تذيعين كل صباح ، تعينين أداة أوقفت نفسها على تخريب ما بين العرب . تسعى لنباعد بين بغداد والقاهرة ، قاعدتي القوة العربية . تعينين القوى الخارجية ، التي تسهر بعين هذه الفرقة ، وتقول لي ، أنها لا تذيع الا الذي تراه ينير الطريق ، عتمته تكاثفت من حمق بعضنا وجهل بعضنا الآخر . وكانت صادقة . تقص كل صباح حكاية ، أو تقرأ قطعة ، يفتن صوتها الاخاذ ، ويسر ما تقول كثيرا من القلوب الحزينة ، وما كانت سميرة في حوجة للدنانير ، وان كفاها كل شيء يهمها ، كما قلت ، فليست لشيء اخر الليل تسهر .

لنعد لما كنا فيه من حديث خروجها من بغداد في أربع وعشرين ساعة . مضى الليل الا أقله ، وانصرفت أدير في ذهني هذه القصة الشاذة — وان كان الشذوذ هو القاعدة على أيامنا تلك — أفكر أين أبدأ علاجها ، وما أدري لم خيل الي أن واجبي يقتضي أن أفعل شيئا ، ربما لاني كنت اعرف من اهل الحول والقوة أكثر مما يعرفون ، عملي يسوقني سوقا اليهم .

رحت للصديق الاثير محمد كبة مد الله في أيامه — فقد كان ثاني اثنين أجد في الجلوس اليهما طمأنينة وأملا ، وكان عضو مجلس السيادة ، على عهد ذلك المجلس الاول ، فلقاني قلقا (( خير خير )) خشي أن يكون قد وقع بي سوء واطمأن على عيالي وحالي وقال بعد أن استمع لقصة سميرة ، (( لا تسرف )) ، في الاذاعة منافسات وعلى رأسها ضابط ساذج ، لا يريد شرا بأحد ويكره الشر ويعمل في نظام !

( * ) المقصود هو الاستاذ شفيق الحوت مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت .

حول لاحد ان يقومه ، حبيس قوى القنعت عبد الكريم انها لقت عنتا على العهد الملكي ، وجاء دورها لتلوق مريحات هذه الحياة الدنيا . للعراق دين عليهم ، ينبغي ان يؤديه ، ليرفعوا كما رفه المعذبوهم من قبل ، ويمتلكوا من البيوت والقصور والارض ما امتلك اولئك . ما كان جديدا علي هذا الذي قاله شيخنا الجليل . كنت اسمعه من فئة حسبتها أيام العهد الملكي ، صفوة تريد خير الناس ، لا الحزب او الطائفة . كنت التقي بهم في داري يحرسني مكاني في الدولة سفير بلد شقيق ، فيما كان يقول بعض أهل السلطة ، ولا يعنونه ، يتحرقون ليوقعوا بين الخرطوم والقاهرة ، وقلت للشيخ الكبير ذي الهمة قلت له هذا ، فما عجب ، فقد كان بعض الذين ساروا بالثورة غير سيرتها، احلافه ، والحق اقول انه وحده وسيلتي ، وقال وهو يقودني للباب ، في صوت حزين ـ فقد كانت احزانه التي انتهت باستقالته ، بدات تؤوده قال : « الصباح رباح » .

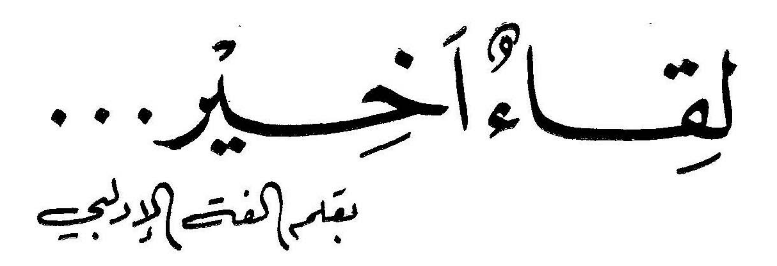
وفي الصباح دعيت لمكتب الزعيم ، فذهبت واثقا ان الشيخ قد هيأ لي لقاء معه ، وكانت لقاءات الواحد معه عسيرة لا من ناحية المراسم ، فيما يتصل بي على الاقل . كانت عسيرة ، لانه كان يثرثر . تلقاني كعهدي به حفيا ، وكان أبدا معي كذلك ، يقص علي اقاصيص حبه للسودان واهله ، واعجابه بالسودان ، لانه يقف في وجه الطامحين، وما كانت ثرثرته لتحجب عني مرماه في ان يباعد بين بلدين ، احدهما درع الآخر ، عاشا ثلاثة آلاف سنة من التاريخ المكتوب أكثر الاحيان في صلة واثقة ، وبعضها في صلة متارجحة . وفرغ الزعيم الاوحد من هذه ، ومن الكهرباء التي تعم القرى والمدن ، وخططه لانقاذ فلسطين ، وما من هذه بسبيل . ووجدت فرجة في الحديث فذكرت له الامر الذي جئت من اجله ، وقلت كل الذي تستطيع ان تتخيله مما يمكن للواحد أن يقول ، فتحسر وتالم ، وقال انه يقدر خدمات سميرة للعراق ، ومكانتها في دنيا الادب ، وحقوقها على الرجال كامرأة ،وودعني لدى الباب ، كلي طمانينة ، وهرعت لمكتبي ، وعلى الهاتف دعوت سميرة ، احمل النبا . فجاءت على عجل لمكتبي تذكر هذه اليد وكلها بشر ، وتغالي وتسرف في الذي فعلت ، وكانت تجنح لهذا ، فيما كان يقول بعض أصحابنا آنذاك . يخال بعضهم ان الحديث اليها يقبض النفس ، فكله يدور حول ماساة فلسطين وما كانت كذلك في الحق . كانت تعيش فقدانها الاهل والدار في شجاعة امام الناس ، وقلبها مفطور . شاهدي على الذي اقول انها راحت فجيعة . أكاد اتخيل حوارا بين شقيها ، بعد عارنا الذي تردينا اليه في ستة أيامنا السود . شق يقول لها ، تعالي ، نروح ، فما بقي ما نحيا له اليوم وقد تهشم الامل ـ وليكن مؤقتا ـ تهشم الامل الذي كان يدفعنا للعيش . وشق يقول لها ابقي لتري ، وان كان بعد عمر ، عودة الاهل والدار ، واكتبي لعل بعض طموحك أن يتحقق . ويجادل شقها الايمن ، شقها الايسر ، أتبقى أم تروح ؟ واختارت ، والله اختارت ان تروح ، لا تعيش الهزيمة، وكان في روحها في قلبها أنا سنغلب ، لان الحق معنا ، والخير ، ومن يدري لعل القدرة .

ومن مكتبي أعلنت سميرة لصديقاتها ان شيئا سيحدث ، وانها لن تغادر بغداد على النحو الذي عرفوا اول الليل امس . وانصرفت ، وانصرفت للغداء اقص على أهلي في البيت قصتها ، على مائدة الطعام، وفرح كل من في الدار ، من أجل سميرة ، ورعتني عايدة الصغيرة ، معجبة بابيها الذي يجيء بالمعجزات ، فهذا هو الشطر الذي فهمته ، أو عنيت به من القصة ، ودق جرس الهاتف ، فاذا أديب في الجانب الآخر ، يقول ، جاءنا ضابط الان هذه الساعة وأبلغنا ـ واعددت نفسي لدقيقة النصر ـ وتابع أديب ، ابلغنا ان الزعيم قد مد اقامة سميرة ١٢ ساعة اخرى .

ماذا اريد أن اقول . ربما الذي قال مروان ، وأوجز « لم تكن اقدار ايامها كريمة معها » .

الخرطوم

جمال أحمد




هكذا ، والرزايا تنشب مخالبها فينا ، حتى لكان كل خليـــة من خلايانا جرح ينزف الدم ، عين تنضح الدمع ، كبد تشوى ، صـــدر يختزن الحقد والتصميم على الثار .

هكذا ، .. في غمرة المحن المتلاحقة تموت صديقة حبيبة غالية!.. وادبية مناضلة ! .. تموت سميرة عزام ! .. بنت فلسطين البارة ، وكبرى كاتباتها ورائدة من رائدات القصة في ادبنا النسوي !..

لكان المحن لا ترتوي منا ! ...

تموت سميرة ، ونحن احوج ما نكون الى قلمها الشهم الذي مـا خط الا الحرف المشرق ، والكلمة المئناف ، قلمها الحر ، الذي مـا عرف الزلفى ، ولا المداجاة . منذ خط على الورق حتى كتب الجملـة الانيقة المترفة ، ظل مترفعا ، أبيا ، امينا على رسالة الادب ، ملتزمـا هدفها الاسمى ، فما انتهك شرف كلمة ولا امتهن حرمة حرف .

وكما اغتيلت ارضنا العربية غدرا ، اغتالت المنون سميرة غدرا!.. اغتالتها وهي في طريقها الى الاردن . راحت الى هناك لتاسو جرحا ، لتواسي نازحا ، لتهدهد مجنونا افقده عنف الصدمة صوابه ، لتوقد الحماسة في صدر صبية موتورة يكاد فتور الياس يتسرب اليـه . لتتنسم اخبار الارض المستباحة ، عسى متسللا من عكا ، وطنها الام ، يحمل اليها خبرا تصوغه قصة بطولة ترويها الاجيال ، وتتبوا مكانتهـا الى جانب قصة ( خبز الفداء ) وقصة ( برك سليمان ) وقصة ( لانـه يحبهم ) الى آخر ما ابدع قلمها المطواع من قصص رائعة في ادب النكبة.

ان انس لا انسى آخر لقاءة لنا على ساحل المتوسط ، واحدة من تلك اللقاءات التي كان ينسرق فيها منا الزمن ولما نحك ما عندنا بعد. تصمت سميرة لحظة وهي ترسل طرفها الى المدى البعيد ، ثم ترده الي ، وفي عينيها السوداوين الذكيتين الق من ندى دمعة ، وتحدق الى وجهي ثم تقول جادة :

ـ ذات يوم ستفاجئين بنعيي ! ...

ذهلت ورحت اتفرس في وجهها مشدوهة ، وهي مائلة امامي صبية تفور فيها العافية .. وتتابع قولها : انها الحقيقة ! .. لان قلبي اضعف من ان يحتملني ، فانا لا اترفق به ، دائما احمله اكثر من مستطاعه.. ستاسفين علي يا الفة ! ... لا كصديقة فحسب ، بل كرفيقة حـرف لم يتح لها قصر العمر ان تعطي جل ما لديها .

ويعتريني خوف كبير من كلامها ، فيرتج علي لحظة ثم اجدنـي اطمئن نفسي : انها احدى نوبات التشاؤم التي تطغى عليها احيانا فاقول لها : فال الله ولا فالك ! ... الم تجدي لي عندك في هذه الامسيـة الحلوة وقبل ان نفترق خيرا من هذا المزاح ؟ ...

وتشيع على محياها ابتسامة ساخرة مشوبة بالم ثم تقول : اعرف انني قاسية احيانا . ولكن لمن اقولها ان لم اقلها لصديقاتي ؟ ثقي انني لولا امي لما خشيت الموت ابدا ، انا شجاعة ... لا اخشى شيئا سوى المرض ، لانني ارفض ان اعيش اسيرة طبيبي ودوائي ، احب ان اموت وغبار الدرب على قدمي . تعب كلها الحياة وقد اصبحت قرفا .

وما اشتهي سوى ان يمهلني الموت حتى انشر روايتي ( سيناء بلا حدود ) . لقد بذلت فيها جهدا حتى رضيت عنها .

الا ترين انني قد وفقت بالعنوان ؟ . لقد تاه اليهود في سيناء ، ولسيناء حدودها . اما نحن ابناء فلسطين فقد شردنا في انحاء العالم حيث لا حدود ! ...

ونفترق ... وانا اود الا نفترق ، لاني شعرت بهلع كبير عليها ، كاني اوجست انه آخر لقاء لنا ! ..

وهكذا كان ! ...

طوبى لاديب يموت وهو في قمة مجده . ولكل قمته ، والقمـم تتفاوت علوا ، وصعوبة مرتقى . هناك الذرى الشامخة ، وهناك التلال المتواضعة ، حسب ما اودع فينا الخلاق من طاقة . ويا حسرة علـى من ينحدر من قمته ليموت على السفح .

واللوعة كل اللوعة على من يموت وهو يصعد المرتقى الصعب الى الذروة الشامخة ، يصعد والخطى ثابتة ، والنفس مليئة بالطموح نحو الاكمل والاجمل .

هكذا ماتت سميرة وهي تصعد ! ... هكذا هوى النجم ! ... هكذا انطفات الشعلة في عز الصبا وموسم العطاء فيا للوعتنا عليها..

والذي يقهرني ، ويحز في نفسي ، ان اديبتنا الغالية لم تجمـع مقالاتها ، وكثيرا من قصصها المبعثرة في الصحف ، واحاديثها،وخواطرها الاذاعية في كتب ، لو وجدت لكانت لبنات مشرقات فـي بناء ادب المراة عندنا ، وكان لدى سميرة منها عشرات المئات ذهبت هباء علـى الاثير ، وكانت كلها من الادب الرفيع البناء لم نجن من ثمارها سـوى رواية طويلة لم تنشر بعد هي ( سيناء بلا حدود ) وبعض الروايـات والقصص والكتب الادبية المترجمة عن الانكليزية بلغة عربية رصينـة متينة ، واربع مجموعات قصصية لكم هي غالية علينا تلك القصـص يا سميرة ، انها الذكريات الحية التي نراك ماثلة فيها ، وراء كـل حرف ، بين كل فاصلة ونقطة . لقد اضفيت عليها مـن انسانيتـك الشاملة ، وغلفتها بشاعريتك المرهفة ، التي كانت تنبثق عن المواقف الشاعرية ، لا عن الكلمات المزوقة ، والجمل المتكلفة ، فجاء اسلوبـك كما انت تماما رصينا ، متزنا ، انيقا بلا كلفة ، خاليا مـن الحشـو والتوافه ، يعبر عن صدق المعاناة لكل ما تكتبين ، وينساب في سلاسة كانت تستهوينا منذ المبادرة الاولى حتى آخر كلمة . وفي سطور قليلة كنت تحملينا الى الاجواء التي تريدين مهما تعـددت الوانها ومنـذ باكورة نتاجك استطعت ان تكوني لادبك طابعا خاصا يميزه عن غيره . فاذا انت ذات مستقلة منـذ كنت برعمـا فـي دنيا الادب ، ولان بدوت عنيفة في بعض المواقف لا سيما في خواتيم قصصك فما هي الا شيمة الابي حين تمس كرامته . في مطلع صباك رأيت وطنك يغتصب ابشـع اغتصاب عرفه التاريخ ، فذقت من جراء ذلك مرارة التشرد ، ولوعـة الاغتراب ، وكان لذلك كله تاثير عميق في نفسك فانعكس صورا حيـة عنيفة في قصصك .

يا أعز صديقة ! .. لقد تركت في قلبي جرحا لا يندمل ! ...

لكم احب الا انتهي من الحديث عنك وعن ادبك ، ومزاياك ، ولكم تمنيت والله لو انك وقفت مني موقفي منك اليوم ، فانت أقدر منـي على ايفاء كل ذي حق حقه ، وهذا ما عجزت عنه الآن .

ان مصابنا بك فادح ، وخسارتنا لا تعوض ، ومن يملأ فراغك الكبير؟

حين اكتمل نضجك ، وبدأ فيض عطائك الثر ، جاء الموت فاستلك منا في غدر لئيم قبل ان تحصد مواسمك الخيرة الواعدة .

لئن غبت يا سميرة عن الاحداق فستظلين دمعة في مآقينا ، ومضة في اذهاننا ، صورة حلوة محفورة في قلوبنا نحن اصدقاءك ، وقراءك ، وانه لبعض من وفاء اصيل عرفناه بك .

دمشق — **ألفة الادلبي**

# العُلبة وَالكُتلة

قصة بقلم سركون بولص

دخل الوطواط الى الغرفة وأخذ يطير في دوائر عمياء ويصفع الجدران بجناحيه . وخفض ادمون رأسه وهو راقد في السرير ، خائفا من أن يمسه الوطواط الذي كان ، بين حين وآخر ، يقترب منه في طيران غير مسؤول حتى ليسمع رفيف جناحيه الجلديين ويرى رأسه الضفدعي الاصلع وهيكله الفرائي . وأغرقه الاشمئزاز والخوف في موجة واحدة وقد استيقظت لديه جميع مخاوف الطفولة ، ولاحقته فكرة أن الوطواط اذا لمس وجها آدميا فانه يلتصق به ولن يفصله عنه شيء. واذا فصل ، وذلك بواسطة مرآة ذهبية ، فمعه قطعة من اللحم على الاقل : أقوال شعبية ، الا أنها تجسدت الان وواجهته مع دخول الوطواط الى الغرفة . ونهض باحتراس ففك مصراع النافذة وازاح الستارة الى اليسار بعنف . وفي الضوء الحاد الذي تدفق الى الداخل ذعر الوطواط كثيرا واخذ يطير متخبطا كيفما اتفق حتى صادف النافذة المفتوحة فانحدر في فراغها . جلس ادمون في السرير ثانية . كان فوق رأسه اطار خشبي يضم صورة مسيح عار باللون الاسود . وهو حفر على خشب ، لذلك كانت تقاطيعه بارزة والظل طاغيا حول رأسه ذي الهالة . وحدق ادمون في وجهه بوجل : كانت عيناه مرفوعتين الى أعلى ، ناظرتين الى شيء غير ظاهر . وكان المسيح مدهوشا بعمق . وهبط أخيرا بعينيه الى صدره البارز الضلوع ، كصدر صياد دبغه المناخ وماء البحر .

كانت علبة سجائره قد فرغت . وعليه ان يهبط . ولانه جائع ، لم يؤخر نهوضه . وتناول سرواله ، وفتحه ، ووضع ساقيه في المكان المعد لهما في السروال . وربط حوله الحزام بشكل محكم . وارتدى قميصه ثم سار ، بلا أحذية ، الى الثلاجة ففتحها . هب عليه من جوفها هواء بارد ، ومد يده الى علبة من الفاكهة المحفوظة كانت مفتوحة ، نصف فارغة . وشعر بالكراهية بغتة لانه كان قد اشترى فاكهة معلبة . وغمره احساس بأنه مخدوع من الجذور . ولكنه أكل . وامتلأ بالجوع رغم ذلك ، ثم فاض مذاق الفاكهة السكري بين أسنانه. ولكنه بعد ذلك ألقى بالعلبة الفارغة تقريبا في القمامة بغيظ ، وغسل وجهه وأصابعه في المغسلة .

في الشارع سار بنفس الخطوة التي اعتاد عليها كل يوم . وانتظر ان يداهمه الغضب التدريجي على السيارات المارة ، وهو ما يحدث في كل يوم . ولكن المساء كان بعيدا والسيارات قليلة . وبدت ، الآن ، كحيوانات تهدر بالفة وتتحبب اليه . واجتاز الشارع الخالي الى جانبه الآخر ، ودخل الى محل صغير للسندويج . اقترب منه رجل أشيب ، فقال ادمون : ـ واحد مخ .

ونظر الى الخارج ، وقت السينما لم يحن بعد ، لذلك كانت جموع من الناس تتسكع حول ابواب السينما المشرعة . شبان يرتدون نظارات طبية . احدهم اصلع ، ذو تقاطيع كئيبة وفظة . وامرأتان او ثلاث . شرب ماء من كأس ، واغمض عينيه. في لحظة واحدة كان الوعي بالضآلة يفحمه ، يزيل الراحة الفجة التي تحيطه كموسى حادة تزيل الشعر من ذقن نامية . لحظة كهذه ، حين ينظر الى أناس واقفين . وحين يكون ، في الاغلب ، جالسا ، ميتا ، بلا أطراف حية . ويشعر آنذاك، برعب رجل استيقظ فجأة برجلين مقطوعتين . امتدت يد تمسك بالمخ الحيواني الموضوع في صحن . ولكنه شرب الماء ثانية ، وابتلع أفكاره معه . ونظر الى الخارج .

بورجوازي ، مثقف بورجوازي صغير ينظر الى البشر الواقفين في الخارج ، ولكن من خلال باب زجاجي . وأكل بشراهة ، غاضبا على الخبز وقابضا عليه بيد متشنجة . ولكن غضبه الحقيقي كان في أسنانه . وبدل أن تعض لسانه أو شفتيه أخذت تنفرز بلا شفقة في الطماطم المفرومة ، في الخضروات ، في اللحم ، في الخبز ، وتطبق على حافة الكأس المليئة بماء غير قابل للعض . لم يكن هناك غير بورجوازيين مقنعين ينتشرون كفئران متأنقة في الطرق والمحلات المحرمة على الفقراء . وروائحهم تدخل الى بيوت الاحياء الحقيقيين ، حيث يحدث العذاب بالغريزة ويولد بين أرجل النساء الصفراوات الدائمات الحبل . ضاق به المطعم فجأة . وأغثته روائح الاغذية ، وخصوصا الامخاخ الحيوانية التي كان الرجل الاشيب يأخذها في يده ويلقي بها في الثلاجة أو المقلاة ، مخا بعد آخر . ونهض فأعطى حسابه وخرج من المطعم الى السقيفة الامامية لدار السينما ، مصدوما بقدرته المفاجئة على الغضب بهذا الشكل المدمر . سرت دمدمة خافتة بين الجمهور الواقف أمام الابواب ، وبدا أن آخرين يخرجون من اماكن مجهولة وينضمون اليه . وبالفعل ، رأى ادمون بدهشة عددا آخر من الناس كان مبعثرا حول ناصيتي الشارع يسرع ويقترب من حيث يقف . ولم تكن لديه ساعة ، ففكر بأن موعد ابتداء العرض قد حل وهو السبب في هذا . وتحرك من مكانه ، مداعبا فكرة سينما نهارية . وارتفعت الدمدمة من حوله ثانية . ثم سمع ادمون بوضوح صوتا قويا يهيب فجأة : ـ « أيها الاخوان ، أيها الاخوان . » والتفت الى يساره ، كان الحشد قد تجمع على نفسه فجأة وغدا كتلة متماسكة دائرية الشكل تقريبا . وببطء ، برزت من وسط الكتلة رايتان كبيرتان من الخيش الابيض ، ودهش ادمون حين اكتشف انهما شعاران . فقد كانت لكل منهما ساريتان يمسك بهما شخصان من الواقفين . واقترب أكثر بحيث كان الآن يقف مصاقبا لحافة الكتلة البشرية الصامتة . وخفقت القماشتان ، مضطربتين بضعف ، كشراعين لم يلاقيا ريحا كافية.وتصاعد الصوت ثانية وهو يتكلم . كان الصمت العميق يرين كطبقة من الطباشير على الكتلة . وفي نهاية الصوت المتكلم ارتفعت صيحة موحدة : « يا ! » وكأنها كانت الريح المطلوبة ، فلم تعد السواري الاربع تحمل مجرد قطعتين من الخيش المطوي ، بل انشدت كل ساريتين معا الآن ، مجذوبتين بثقل يدين مليئتين بالتصميم ، وانفتحتا على سعتهما. وقرأ ادمون على احداهما : ـ « اطلقوا سراح السجناء السياسيين » . وتحرك الحشد فجأة . انساب كقطعة طافية في الماء ، مع مجرى الشارع . ولم يكف الصوت العميق الذي كان بمثابة العتلة المحركة لهذه الآلة الحية من الاصوات والروائح والغضب المشترك . والبؤس ، اكتشف ادمون أخيرا . والبؤس . وتبخرت آخر شكوكه تحت وطأة موجة حارة صعدت الى حنجرته ، ولم يعرف ، للحال ، ما هي . لم يهتم كثيرا[1] . وبالرغم من أنه كان لا يزال يصطدم في سيره بحافة الكتلة المتحركة ، الا أنه كان الآن مجبرا على ذلك : كانت الكتلة قد قست وتصلبت كأنها عضلة واحدة ، وأخيرا استطاعت ذراعه أن تلج فجوة بين شاب صامت يسير خافض الرأس ورجل متوسط العمر ذي شوارب كثيفة كان يصيح بحقد جاف ، مبحوح الصوت . والتحم برائحة العامل الذي كان يصيح ، من جهة ، وبصمت الشاب المثقل بالادانة . لم يكن حتى الآن قد تنبه الى معنى الخطبة المستمرة التي كان لعباراتها المهيجة وقع خطوات الحشد ، ولكنه أخذ يبصر الاشياء بوضوح أشد الآن . واصطدم بمرفق الشاب الموضوع في جبيرة مخفاة تحت

القميص ، كما اكتشف . كانت قد حدثت اذن ، أشياء سابقة لم يتح له هو أن يكتشف وجودها الا الآن . وادهشه بعمق ، أن يسير وسط هذا الحدث ، محاطا بمضاعفات أشياء سابقة ومقبلا على حوادث جديدة . حتى هذه المسيرة ربما كانت تابعا آخر في سلسلة لا تنتهي. وكانت السلسلة ، حتى الآن ، تحدث بدوني . تحدث بدوني تماما تماما . أخذ الشارع يغلي ويهدر . والسيارات ، المحملة بجميع موظفي العالم ، تقف صاغرة وتتطلع بواسطة العيون العديدة المغروزة في أجوافها ـ الى الحشد . وغدا الآن ذا ضجيج حقيقي . من المجرى المستقيم للشارع كانت الاصوات تتطلع ، ثم تفيض ، بغتة ، في الازقة والحواري الغامضة المليئة بالاطفال . وروائح أشجار تتقدم نحونا .

استدار وجه الشاب المثقل بنظارة مبللة بالعرق ، وأخذ يتقدم ووجهه الى الحشد ، سائرا بالعكس ، منظما الاطراف المنفلتة بصوته الذي لم يعد يسمع الآن الا وهو ممتزج بضجيج غريب أدرك ادمون بغتة أن صوته هو يشترك فيه . عدة فتيات كن يتحركن بايقاع واحد ،صارخات باصوات مبحوحة ، وشعرهن مبتل على جباه جميلة . كن الآن أجمل ، بمزيج من جمال الاطفال وحركات الام حينما ترعى . كان شيء ليس ظاهرا بعد ، يجعلهم يقتربون ، متماسكين ، مصممين . ونظر الى الرصيفين . وسط الهدير كان الواقفون يتفرجون وللحظة ، أفردوا في داخله أكياس غضبه وأحقاده الشخصية بشكل متمايز ، جعلوه يراهم بعمق المصيبة أو لحظة الفشل الساحق ، فأحس بأنه يعرفهم جيدا وأنه سيهجم عليهم بوحشية في أية لحظة . ومسه الشاب الذي كان لحزنه تأثير انساني فائق . كما يصب فوق قرحة جلدية . والآن كانت عيون المتظاهرين تتجه نحو الآخرين . وانضم شبان اليهم ، ولكن أكثريتهم ، البشر المعلبين في بدلات والمقيدي الرقاب بأربطة أبدية ، كانوا يطفئون الرعشة الطاغية التي كانت توغل حتى في أشجار الشارع، بجدالهم الخانع مع أنفسهم ، الواضح في ملامحهم التي كانت في الاخير، دائما ، تستكين تحت وطأة التفكير بالذات والزوجة ، أو الوظيفة والمنفعة الخاصة . لم يكن شيء يجدي ، لم يكن هناك أمل الا في تعريتهم من مشنقة الرباط والمنفعة ، ومن وضعهم المتلبد على شكل علاقات وملابس وخوف من عدم الامان وعدم الراحة ، تعريتهم وتحطيم هذا الزجاج الذي ينظرون من خلاله الينا . ادمون كان الآن يراهم عراة . وقد حدث أن نفض ذلك الغشاء الذي يتقزز منه الآن ، والذي لم يعد يراه الآن . هل كانوا بحاجة الى دافع ؟ تكاثفت رائحة الشجر حين اختلطت برائحة العرق الحارة المنبعثة من الآباط وتجاويف الجسد الاخرى وشعر النساء الكثيف الذي أخذ يبدو له كأعشاش ، مبللة بالدمع وليس بالعرق . كانوا يدخنون على الارصفة وينظرون ، وأفزعه أن يرى نفسه بشكل مفاجيء وهو واقف هنالك ، يرتدي ملابس تضعه ضمنيا في صفهم وتجعله يسير في شوارعهم نفسها ويتحدث معهم فقط في أماكنهم الخاصة ، في السينمات والمقاهي ، في الاماكن التي لا معنى لوجودها الا لانهم هم يفضحون فيها رغباتهم الزائدة والمريضة ، ولا شيء غير ذلك ، لا شيء غير ذلك اطلاقا . كان من الفظيع أن يرى نفسه في شخص أحد الواقفين ، يدخن بتلك النظرة التي تشمل كل شيء وبذلك لا ترى شيئا . صحيح جداً أنه لم يكن ينظر الى أيشخص أو شيء لذاته ، وأنه لم يكن أكثر من ذلك الموظف الشاحب الذي يبدو على وجهه الاقتناع التام بأن سلامته تكمن في أن يظل في مكانه ، لكي يستطيع بعد ذلك أن يصل كما هو الى البيت ، أن لا يصطدم أبدا ، أن لا يعارض أبدا ، أن يكون ميتا ونظيفا أبدا . اختفت الاشجار وانطلقت ثلاث رصاصات فجأة .

كحوض يتلقى ثلاثة أحجار ، تقوض الحشد من الداخل . واندفعت نحوه بقع صفراء تلوح بهراوات . وسيارة غير أمينة تقترب بمواجهة الحشد وتوجه عينيها المطفأتين الشريرتين نحو ظهر الشاب الذي يسير بالعكس ، وفجأة يستدير . ويرفع يديه أفقيا وهو يتكلم، كصورة مصلوب . انتشرت البقع وسط الفوضى . وكان الحشد الآن ينتشر أطرافه في حارة هنا ، وبيت هناك ، أطراف متوترة تخفق كأطراف أخطبوط مذعور بريء يجرح بقوة . حتى الآن لم يكن هو غير نقطة . ولم تكن تتحرك . ولكن الدفقة وصلته . اندفعت نحوه كتلة عمياء ، أمرأة ذات عباءة سوداء ، مفتوحة العينين والفم ، أسقطته بيديها القاسيتين المتنفرتين وانفلتت فوقه أقمشة سوداء لام ، لارملة، ورأى من الاسفل مدة برهة ، العالم ، فضاء مقدسا خاليا الا من كتلة سوداء تهرب عن يمينه . لم تكن هناك حتى أشجار . ولكنه وثب ، جاززا تلك البرهة السوداء كما يجز حبلا يربطه . وأخذ يركض والحشد يتغذى منه ويتقبله ويعطيه هذا الشعور الموجز الدقيق بأنه يغذيه ويتغذى منه ، وبينهما حبل سري من أحشاء . لم يكن هناك الآن غير عشرات الشرطة الصفر . وبعضهم يمسك بمتظاهرين . والى يساره منفذ طويل . يصلح . ملأته الغريزة كدخان أبيض يخفي أية نتوءات أخرى . وفي ركضه اصطدم بمرفق ، وسمع صوت سقوط معدني أجوف. وفي اثره صرخة . التفت برأسه وهو يركض . كان رجل يجمع قطعتيكاميرا من الارض . والجنون واضح في وجهه . هل سيلاحقه ؟ بل بقي. كان ادمون الآن يلهث في مناخ النهر . وعن يمينه ظهر رجل فجأة.استوقفه، سأله . واكتشف ادمون ملابسه البيضاء . نادل في بار . وانفلت على مرأى لطخة صفراء تدب في بداية المنفذ ، وأمامها الشاب ذو الجبيرة، يركض بيأس . الى اليسار كانت براميل كبيرة وأكوام من الحجارة في واجهة بناية ناقصة . سار ببطء ، قاطعا الامتار الخمسة حتى وصل الى البراميل . خدمته ظاهرة البطء لان الشرطي لم يشك به . ثم دخل الى البناية . لم يكن الآن يصله غير دبيب بعيد لاربعة أحذية ، اثنان منها ثقيلان . وامتلأت خياشيمه العصبية برائحة اسمنتحديث. وكانت هذه الرائحة تجعل جذور أنفه تنفر وتهتاج دائما . وهناك غائط في الزوايا ، بشري ، وآخر لكلب أو قطة . عبرت الاقدام الاربع واثنتان منها يائستان . أحب الشاب بشكل فجائي وأعمى . وحرك يده وكأنها مخفاة في جبيرة ، ولا تزال تتألم من ضربة هراوة . وكانت تمنعه من الركض . كانت تسبب موته وتدينه ، وهي جزء منه . وقبل أن يختفي وقع الاقدام كان حبه للشاب المصاب يفيض في أسنانه وجذور أنفه ويصارع رائحة الاسمنت والغائط ورائحة المخلوق الاصفر الحامضة . وكأنه ، والشاب يمرق تجاهه ، امتص منه رعبه وحاجته الى الامان وأضافهما الى رعبه الخاص وحاجته الخاصة . وخرج من البناية . في حوض النهر كان شخصان يركضان في حلم . وميز الشاب يركض بنفس التهدل ، ولكنه الآن يركض بحيرة غريبة ، وباستدارات عشواء كطائر صغير في غرفة ، سوى أنه لم يكن يستطيع أن يطير . ومن أعلى ، رآهما . . في نصف النهر الذي كان يابسا وخاليا من الماء ، كانت هناك نباتات وحشائش تعوق السير . وتمادى في عاطفته العمياء ، لم يكن مستقلا الآن . كان مقيدا ، وبنوع من الشجن الاسود الذي يتحول الى فرح في قمة اليأس . كذلك حدث هذا التحول : انه لم يكن ادمون . كان هو ذاك الظل الذي يركض في الاسفل . وبلهاثه يمتص العالم الى رئته المفتوحة ويمتزج بهوائه . والنباتات تلحس سرواله وحذاءيه . تعوقه أحيانا ولكنها تستعطفه وتدعوه من الاسفل ، كجميع الاشياء البريئة السجينة في أماكنها. ولا يعود يهم أن يسمع وراءه هذا الدبيب الابدي . فهو الآن ليس ضده . انه يدفعه الى الاندفاع وتقصير المسافة بينه وبين النهر . بينه وبين هدفه البعيد . وانحدر ادمون الآخر ، الواقف في الشارع أعلى الحوض ـ الى حيث كان يركض هو نفسه أيضا بثقل يده المحطمة المصلوبة على جسده . وبين الاثنين ، كان الظل الاصفر يفقد تأثيره ومعناه . كانا هما اللذين يسببان حركته . أصبح واعيا بهذا وهو يركض ـ وعيا أبيض عميقا يحتضن الحوض كله ، والجسر البعيد الذي أوقفه الضوء . وكان الثلاثة يركضون نحو النهر الذي لا يتوقف عن الجريان .

بغداد

سركون بولص

# النشاط الثقافي في العالم

اعداد: عايدة مطرجي ادريس

## فرنسا

### فيتنام : أو الحرب الكيماوية

***

ظهر مؤخرا في باريس كتاب هام للطبيب الفرنسي ميشال سكا Michel Sakka يفضح فيه الحرب الكيماوية والبيولوجية التي يقوم بها الاميركيون في الفيتنام . وقد استقى المؤلف وثائقه ومعلوماته من وكالات الصحافة الغربية والاميركية ، ومن بعض مؤلفات عرف كتابها بالامانة ومن شهادات شخصيات متعددة ومن التصريحات الرسمية للحكومة الديمقراطية الفيتنامية ، ومن بيانات الجبهة الوطنية لتحرير جنوب الفيتنام . وجميع هذه المصادر تتفق وتصدق الاحداث التي يوردها الكتاب .

وأهم ما يطرحه الكتاب هو هذه الاسئلة : ما هي هذه الاسلحة الكيماوية والبيولوجية ؟ وهل هي المرة الاولى التي تمارس فيها مثل هذه الحرب على نطاق واسع ؟ وهل ان الشعب الفيتنامي يتخذ كحقل تجربة لمثل هذه الحرب ؟ ألا يمكن ، بتصعيد هذه الحرب ، ان تهدد الانسانية كلها ؟ ما هي المجازفات التي يعرضها الغزو الاميركي للعالم ؟ هل الحرب الجرثومية هي حرب الغد ؟ هل رجال العلم مسؤولون بنوع خاص عن هذه الحرب ؟

وفي مقدمة الكتاب شرح ميشال سكا الغاية من كتابته بقوله : « ان تنوير الرأي العام على كل ما يجري في هذا النطاق ، هو عمل دعائي مفيد ، ولكنه ايضا ، بالنفور الذي يحدثه ، يساهم في العمل لاجل السلام في الفيتنام . فان ما يجري في الفيتنام يعنينا نحن ايضا » .

ويذكر المؤلف ان استعمال المواد الكيماوية في هذه الحرب قد تم على مرحلتين : المرحلة الاولى كان الجيش الاميركي يستعمل هذه المواد على الاعشاب . ثم أصبح الغاز يوجه نحو الناس . وينشر المؤلف هذا التطور ونتائجه ، فيعلن ان « استعمال النابالم بهذه الكثرة ، والفوسفور ، والمواد السامة والغازات مدعوم من قبل شركات استثمار الصناعات الكيماوية التي ترى مصالحها تتضخم ، وترى بالتالي ان من صالحها استمرار هذه الحرب ، وان ينتشر استعمال هذه المواد وسموم أخرى ، بما فيها أيضا الحرب البيولوجية » .

والحرب البيولوجية تكمن في استعمال أجسام متناهية في الصغر تنفذ سمومها في الجسم فتحدث في الانسان أوبئة وتهلك طعام الحيوان وتتلف المزروعات والمحاصيد . والمنظورات المتوخاة هي الموت اما بالمرض او بالمجاعة او بالاثنين معا . وفي هذا الجزء من الكتاب يفضح المؤلف هذه الاساليب الفظيعة .

وينتهي الكتاب بلوحتين ، احداهما تعميل من العملاء الكيماويين المرخص لهم رسميا من قبل الولايات المتحدة الاميركية لاستعمالهم في فيتنام الجنوبية ، والاخرى لمواد كيماوية مستعملة من قبل الولايات المتحدة الاميركية في فيتنام الجنوبية ( غير المرخص بها رسميا ) .

وكملحق للكتاب يطلع القارىء على نص بروتوكول « جنيف » لعام ١٩٢٥ المنصوص فيه تحظير استعمال الغازات الخانقة في الحروب والوسائل النيكتريولوجية ، كما يورد فيه قانون محكمة نورنبورغ وقانون اللجنة الطبية للسلام الصادر في ٢٢ حزيران عام ١٩٦٥ باجماع الاطباء الحاضرين .

وهذا الكتاب يتوجه الى جميع العاملين من أجل السلام . ويشكل مصدرا لا ينفد من الادلة ضد الغزو الاميركي . ولكن يجب أن يوضع بين أيدي أولئك الذين ما يزالون يعتقدون أن الولايات المتحدة أعجز من أن تستعمل وسائل وحشية لتمحو ، بأية وسيلة ، الفيتنام الذي يناضل من أجل حريته ويستمر في نضاله بينما تتكاثر الاصوات المرتفعة ضد الغزو الاميركي .

### هجرة شعرية

أثارت مسرحية الكاتب اللبناني باللغة الفرنسية جورج شحاده اهتمام الصحافة الادبية في فرنسا ، فكتب عنها الكثير ، وقال عنها غي دومور في « النوفيل اوبسرفاتور » : « سهرة بلا صراخ ، بلا زئير، بلا عشق ، بلا بتر للمفاصل . كم يستطيع المرء أن يتنفس ، وكم هو مريح . أجل ، أن جورج شحادة هو من جيل اخر : جيل لوركا ، وايلوار ، وجوليان كراك . انه يأتي من بلد ذي لغة قديمة جدا . فاذا أحبه السرياليون ، فلانه وجد بطريقة طبيعية ما يبحثون هم عنه .

فهذا المهاجر الذي يعود ليموت عند أبواب قريته فيزرع فيها الاسى والارتباك ، هو مهاجر لبناني صرف . والرجال ، في الجبل اللبناني ، أشد قدما من حجارته ، وهم يحلمون مثلها ، فاذا ما هبت ريح مريضة ، انفجرت المأساة أو المهزلة . خاصة اذا كان الحلم العائد يتعلق بالمال ، بالثروة العجيبة ، في مكان لا يعيشون فيه الا بالذكرى والخرافات والقديسين والشرف .

وفرقة « الكوميدي فرانسيز » ، وهي مسرح رصين ، قد أخذت قصة جورج شحادة الجميلة بحرفيتها . فاتخذت اطارا لها قرية حقيقية ، وأنوار قمر حقيقية ، ينبعث من جنباتها نباح كلاب وصهيل خيل . فكل شيء في المسرحية مدقق فيه ، ومراقب . ان المرء يحس انه يلمس من قريب هذا النوع من الاتقان المفغل الذي نحسده والذي يميز المسرحيات الكبرى الاجنبية » .

وقد سبق للمسرح الفرنسي ايضا ان مثل لجورج شحادة « مسيو بوبل » ولم يكن الشعراء هم وحدهم الذين استطاعوا أن يكتشفوا جمالات هذه اللغة التي هي اندهاشا أبدي أمام الكلمات .

وفي هذه المسرحية ، التي تختلط فيها المأساة والمهزلة ، يدخل المرء الى عالم اخر وتنبعث أمامه الخديعة المسرحية الكبرى .

وكتبت « الفيغارو ليتزير » معلقة تقول : « تنساب مسرحية جورج شحادة كأغنية حزينة ، بمقاطع متعددة ، وبلازمة . اما الممثلون فانهم يدخلون بلذة ظاهرة في تمثيل مسرح شحادة المرهف والعامي . انهم يكتشفون بسعادة ودقة عالم شحادة الذاتي » .

## الاتحاد السوفياتي

### قاموس روسي – عربي حديث

***

احتفلت الاوساط ذات العلاقة بالاستعراب ودراسة كل من اللغتين العربية والروسية ، والاوساط الادبية والثقافية عامة بحدث ثقافي هام أرخ له شهر ديسمبر ١٩٦٧ . هذا الحدث هو صدور قاموس كبير ( ٤٢ ألف كلمة ) هو أول قاموس من نوعه من حيث جدينه وأصالته وما بذل فيه من جهد كبير مخلص ، وكذلك من حيث عصريته واحترامه للمقاييس والمعايير التي توضع بموجبها وتخضع لها مصنفات المعاجم والقواميس وكتب الاستشارة والاستدلال .

المؤلف هو فالنتين ميخائيلوفيتش بوريسوف ، وهو عالم لغوي

مرموق ومستعرب يحظى بكثير من الشهرة لا على صعيد الاتحـــاد السوفياتي فحسب بل والعالم أيضا .

ولتبيان أهمية القاموس ينبغي أن نذكر أن دارسي الروسيـــة ودارسي العربية ، والمستعربين ، والخبراء ، والمترجمين ، والطلبـة ، والجمهور المتتبع المهتم بهذه الدراسات ظل حقبة طويلة من الزمـن يعاني من عدم وجود قاموس جدي ، كبير ، معتمد في الترجمة مـن الروسية الى العربية او بالعكس . واذا علمنا ان قواميس ومعـاجم كثيرة وضعت في شتى اللغات تترجم من الروسية اليها ، ومنهـا قواميس روسية ـ فارسية ، وروسية ـ تركية ، كما منها القواميس التي تترجم من الروسية الى اللغات الاوروبية ( مثـلا في القواميس الروسية ـ الانكليزية والانكليزية ـ الروسية في حقول الثقافة العامة ، والادب ، والسياسة ، والتكنيك ، والعلوم العسكرية ، وحقول أخرى كثيرة يوجد حوالي ٣٠ قاموسا ) .. أقول ، اذا علمنا ذلك ، فهمنا كم كان ضروريا وملحا اصدار قاموس روسي ـ عربي يجيب متطلبات الحياة العصرية الحديثة من ناحية ويتساوق مع عظم واتساع العلاقات الثقافية العربية السوفياتية والتعاون والزمالة الثقافيـة العربيـة السوفيانيـة .

وقد كان لصدور قاموس بارانوف ( ١٩٥٧ ) وهو مستعرب كبير يعتبر في الوقت الحاضر شيخ المستعربين الروس ، صدى كبير فـي الاوساط اللغوية والادبية . الا ان قامـــوس بارانوف هو قامـوس عربي ـ روسي ، يترجم من العربية الى الروسية ، والمفردة المعتمدة فيه هي المفردة العربية وما يقابلها من كلمات متعددة ومعان عديـدة في الروسية . فهو من هذه الناحية لا يفي بسائر الاغراض بل هـو يجيب متطلبات دراسة واستيعاب العربية بين أبناء بلاد السوفيـات ممن يفهمون الروسية ويستعينون بها ، عدا عمن يتكلمون الروسيـة أصلا . ويجدر بنا أن نقول ، هنا ، ان القاموس غني وأصيل ويمكن اعتماده دون ادنى تحفظ . وما من شك انه بهذه الصفات والشروط سيظل أمدا طويلا المصدر الوحيد المعتبر عند من يترجمون من العربية الى الروسية .

أما في القواميس الروسية ـ العربية فقد سجلت محاولات تستحق الاحترام حقا . فقبل الثورة كان العالم المعروف فـي البـلاد العربية الاستاذ بندلي جوزي قد أصدر قاموسه الروسي ـ العربي (١٩٠٣) . بندلي جوزي هو صاحب كتاب من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، كما انه أحد من يعرفون التاريخ العربي والاسلامي معرفة جيدة وعامية . وبعد الثورة ، كانت القواميس الروسية ـ الانكليزية ( ثم القـواميس الانكليزية ـ العربية وخصوصا القاموس العصري لالياس أنطون الياس وقاموس النهضة لاسماعيل مظهر وسواها ) ، هي القواميس المعتمدة في عملية ترجمة ونقل مركب ، على مرحلتين ، للمفردة الروسية الـى العربية . ثم صدرت قواميس صغيرة ( للجيب ) ، منها قامـوس الفرحـــي ( لطاهر الفرحي ـ في ١٩٥٩ ) ، وقواميس مدرسيـة واختصاصية ( قاموس شرباتوف في ١٩٦٤ وهو قاموس روسي ـ عربي مدرسي بـ ١٦ ألف كلمة ، وقد سبق لنا الحديث عنه في « اداب » ديسمبر ١٩٦٦ يوم تحدثنا عن الثقافة العربية في الاتحاد السوفياني ) والقاموس الروسي ـ العربي ، والعربي ـ الروسي للمصطلحـات العسكرية لمؤلفيه دانيلوف وريجوف وانيسيموف ( ١٩٦٥ ) .

الا ان كل هذه القواميس أما عنقت مثل قاموس بندلي جـوزي الشهير ، او انها لا تفي ـ كما سبق ان أشرنا ـ بمتطلبات البحـث والنقل والدراسة والترجمة في هذه السنين التي شهدت وتشهـد بتعاظم واتساع العلاقات الثقافية والاقتصادية والصداقة السوفياتية العربية التي يبشر حاضرها بآفاق رحبة في اطراد والمزيد من اتساع وتعمق ألوان وأبعاد هذه الصداقة في المستقبل القريب والبعيـد . ومن هنا كان صدور قاموس روسي ـ عربي ، كبير بعدد مفرداتـه ، وضخامة عطائه ، واخلاص جهوده ، كان عملا ثقافيا ، علميا ، صداقيا ، سلميا كبيرا ورائعا . ان قاموس بوريسوف هو القاموس الذي كـان منتظرا ، او هو المرشح لان يشغل هذه المكانة ، على الاقل .

اعتمد قاموس بوريسوف معاجم روسية ـ روسية عديدة وشهيرة منها القامـــوس الاكاديمي ( ١٩٥٧ ـ ١٩٦١ ) وقاموس اوشاكـوف ( ١٩٣٥ ـ ١٩٤٠ ) وقاموس اوجيكوف ( ١٩٥٢ ) . كما استشـار قواميس روسية ـ انكليزية وروسية ـ فرنسية ( صادرة فـي ١٩٥٥ و ١٩٥٨ ) . اما في مجال المعاجم العربية فقد اعتمد المنجد ( لويس معلوف ١٩٥٤ ) و ( المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القـاهرة ١٩٦٠ ) ، وكذلك اعتمد قواميس مثل القاموس العصري ( طب ١٣ ، القاهرة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ ) ، والقامـــوس الحديث فرنسي ـ عربي ( طب ١٣ ) ، والمعجم العلمي للمصطلحات القانونية والتجارية والمالية ( فريد فهمي ويوسف شلاله ) ، وقاموس النهضة لاسماعيل مظهـر ، وقاموس المترادفات والمتجانسات لرفائيل نخله ( ١٩٥٧ ) والمعجـم العسكري ، انكليزي ـ عربي ، دمشق ( ١٩٦١ ) ، ومعجم المصطلحات الفنية انكليزي ـ عربي ، القاهرة ( ١٩٦٢ ) .

وما من شك ان قاموس بوريسوف قد أعتمد معاجـم وقواميس أخرى ، فاستدلالات القاموس وتحديداته تدل على انه أفاد من قاموس دال الشهير في اللغة الروسية ( صدر في العهد القيصري ) ، كما انه أفاد من قواميس ذات عملية محضة مثل ما يصنف في دار النشر ( التقدم ) او قسم الترجمة في ( وكالة انباء نوفوستي ) وسواها . كما ان واضع القاموس قد أفاد من تلمذة مخلصة لعميد الاستعراب السوفياتي المستعرب الراحل الاكاديمي كراتشكوفسكي ولمستعربيـن سوفيات آخرين .

أن احتواء القاموس على ٤٢ ألف كلمة ومصطلح يعتبر بحد ذاته كسبا في مجال القواميس الروسية ـ العربية ، وان كان ابسط قاموس روسي ـ انكليزي يضم ما ينيف على الـ ٥٠ ألف كلمة ، وكذلك الامر بالنسبة للقواميس الروسية ـ الفرنسيـة والاسبانية والايطاليـة وما ماثلها .

والحق أن المرء ليتساءل ، مخلصا ، وبحرقة يمازجها ألم ، عـن سبب عدم صدور قاموس روسي ـ عربي كبير يجيب المتطلبـات والاغراض المتعددة المتنوعة ويرقى الى مصاف القاموس المعتمد المعتبر ، مثل القاموس الروسي ـ الانكليزي ( سميرنيتسكي ) امـدا طويـلا . وما من شك انه لو امتدت الحياة بكراتشكوفسكي لكانت اسهاماته في وضع هذا القاموس المعتمد المنشود أمرا ذا قيمة كبيرة . ومن ناحية أخرى ينبغي القول انه في وضع مثل هذا القاموس المنشود كـان لا يمكن فقط بل ويجب ايضا ان تتعاون مواهب وامكانات وقـدرات عدد من العلماء اللغويين العرب من اكثر من بلد عربي ، والمستعربين السوفيات ( من شتى الجمهوريات السوفياتية ) . وكان يمكـن أن يوسع القاموس بحيث يضم أكثر من ٥٠ ألف كلمة ، كما كان يمكنـه أن يتجنب العثرات والمزالق التي لا بد أن يصادفها الباحث والمؤلف اذا تصدى لعمل ضخم من هذا النوع ، مهما كان هذا الباحث ضليعا ومعتبرا ومبرزا في اختصاصه ، ومخلصا في جهوده . أن مساعـدة هشام عقل ، وهو طالب عربي ، أفاد المؤلف في عدد من تحديـدات النص العربي ، لا يمكن ان تفي بسائر المتطلبات ..

لسنا نريد ـ ولن يكون بوسعنا في مثل هذه العجالة التي وددنا أن نبشر بها القارىء العربي بهذا الحدث الثقافي الجليل ـ أن ننتقد القاموس بالتفصيل . لكننا نستطيع القول ـ تاركين التفصيل لمناسبة أخرى تجد الحيز اللائق بها ـ ان القاموس الحالي ، على ضخامتـه النسبية ، وانجازاته التي منها التحديـد الدقيق للمعانـي المفردة الروسية ، والشمول ، ومحاولة الاتيان بأحدث المصطلحات مما تعارف عليه المترجمون في مجال العلم والتكنيك وسواه ، لم يستطع تجنب نواقص وقصورات عديدة منها محاولة تكثير المفردات مع انها من حيث الجذر تتصل وثيقا وتتلاحم بحيث يمكن الاتيان بكلمة وايراد معناهـا

مع ما يشتق منها دون عناء كبير ، والافادة مما يقدمه ذلك من اقتصاد في الفراغ والحيز للاتيان بمفردات أخرى مختلفة تماما ( وهذا ما يفعله القاموس الروسي – الانكليزي ) . ففي اللغة الروسية يمكن أن يفهم عدد عديد من المشتقات المتصلة بمفردة واحدة ، او بجذر واحد متفرد . ومنها الوقوع في مزالق التحديدات العلمية التي لم يقر القرار عليها بعد ، مثل ايراد معان وكلمات مثل ( بخار محمص ) ! ( ص ٦٥٦ ) ، و ايراد كلمات ذات دلالات عامية او محلية تماما ( يستطيع أن يفهمها القارىء العربي في واحد من الاقطار العربية الاربعة عشر ، دون أن يفهمها القارىء العربي في قطر اخر لاتصالها باللهجة المحلية ) مثل « احترق بالصقيع » ( ص ٦٦٣ ) . ولو قال « اتلف بالصقيع » او « أتى عليه الصقيع » لكان أقرب الى الصواب . ولو استشار المؤلف قاموس الياس انطون الياس لوجد انه يأتي بالكثير مما تضمه اللهجات المحلية او ما تعارف عليه الباحثون بحيث انه يكون أقرب الى الافهام ( فمثلا يأتي الياس بالمعنى العربي في اللغة الادبية الفصيحة ، ثم بما يماثله في لهجة مصر وسوريا وفلسطين والعراق وحتى المغرب ) . فمثلا توجد كلمة الوقوق ( وهي في لغة أهل العراق – الفاختة ، أو الفختايه ) ويقول بعضهم بترجمتها ( باليمامه ) – وهي نوع من الطيور الآمنة من فصيلة الحمام ، يمكن أكله . وأحيانا يسقط المؤلف في ما يمكن أن يسمى ( بفنتازيا المستعربين ) وهو ما يقيسه المستعربون ، بعيدين عن الاقطار العربية وحياتها اليومية الجارية ، قياسا منطقيا شكليا يكاد ان يكون حرفيا ، دون ان يكون مستعملا وواردا ، حتى ولو كان صحيحا ، مثل ايراد معنى ( بعبقرية ) وايراد مرادف لها ( بقريحة ) ( ص ١٦١ ) ، في حين لم يتعارف أبناء الضاد على مثل هذا . كما ان المؤلف لا يتوسع في ايراد الامثال والعبارات التي ذهبت مثلا ، ولا يأتي ببيت أو بشطر من الشعر ، مع قدرته على ذلك ، وفائدة ذلك في جعل القاموس أكثر حيوية وأكثر تجاوبا وافادة .



وأمور كثيرة يمكن سردها في مجال مراجعة القاموس مراجعة انتقادية مخلصة ، الا اننا نؤجل ذلك لمناسبة أخرى .

ومهما كان الامر ، فالقاموس ( ونحن نؤكد ذلك مرارا ) هو قاموس أصيل ، يمتاز بجهد عبقري ، بدأه المؤلف ، كما يقول ، منذ عام ١٩٤٨ . وقد حال صدور قواميس أقل منه شأنا دون صدور هذا القاموس مثل قاموس شرباتوف . ان ما يحمد عليه واضع القاموس هو الدأب المثابر ، والصبر والاصطبار ، والمرونة ، والاصالة ، ومحاولة الشمول والاستيعاب .

على ان هذا لا يمنع محاولة تطوير هذا القاموس تطويرا خلاقا وتوسيعه ، وتعميق معطياته ، وتنقيحه على أيدي خبراء عرب وسوفيات اختصاصيين مشهود لهم بالباع الطويل في ميدان اختصاصهم . اننا ننتظر قاموسا أضخم من هذا القاموس لا بعدد المفردات فحسب ، بل بضخامة الجهد الدقيق المدقق في ايراد المعاني المتعددة ، بأمانة ، للمفردة الروسية ومشتقاتها ، وباتصال وثيق مع الحياة العربية المعاصرة ولغة كتبها وصحافتها وبحوثها ودراساتها .

ان قاموس بوريسوف هو ، حتى اليوم ، اكثر القواميس العربية جدية وأصالة . اننا نشد على يد واضعه بقوة ، متمنين له توفيقا أكبر ، واسهاما معتبرا في وضع القاموس الكبير ، العصري ، المنشود .

موسكو **جليل كمال الدين**

## « رجال الثلاثينات »

من أهم الكتب التي حظيت بالرواج والتعليق في داخل الاتحاد السوفياتي وخارجه كتاب « رجال الثلاثينات » لمؤلفه يوري زوكوف أحد كبار المعلقين السياسيين في صحيفة « برافدا » السوفياتية .

ولقد زاد اهتمام القراء والمعلقين بهذا الكتاب مع الاحتفالات النصف قرنية لثورة اكتوبر .

يتحدث هذا الكتاب ، بشكل رئيسي ، عن الفترة التي عرفت في الاتحاد السوفياتي ب « العصر الحديدي » .

ومن أبرز التعليقات على هذا الكتاب ما نشره الملحق الادبي لصحيفة « التايمس » اللندنية في عددها الصادر بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ .

فقد ذكر الملحق الادبي ان المؤلف زوكوف قد أشار ، وبحق ، الى ان روسيا كانت خلال السنوات العشر التي تلت الثورة ، بلدا متخلفا لا حول له ولا طول في المجال الدولي ، وأن أسس الصناعة الجديدة الجبارة قد أرسيت قواعدها في أول تشرين الاول من عام ١٩٢٨ ، عندما اندفعت روسيا ، تحت قيادة ستالين ، لانجاز مشاريع السنوات الخمس .

ويعلق كاتب المقال على ذلك بقوله : وبدون ريب كان زوكوف في تلك الفترة ستالينيا متحمسا . اذ يشير زوكوف الى ذلك بقوله : « ان الجميع كانوا ستالينيين » .

والجميع ، أو بالاحرى جميع ملايين روسيا ، كانوا يؤمنون بضرورة التعجيل في ادخال التصنيع الى روسيا ، اذ بدون التصنيع كانت روسيا ستنتهي الى الوقوع تحت عدوان أجنبي .

ويقول زوكوف : وينبغي الا يغرب عن الذهن ، انه بالرغم من الصعاب الجسام التي واجهت الاتحاد السوفياتي ، الا انه استطاع في عام ١٩٣٣ أن ينشىء سبع عشرة مؤسسة للفيزياء والتكنيك استوعبت ما لا يقل عن ألفين من العلماء . وفي ذلك العام ذاته عقد مؤتمر دولي في لينينغراد بحث فيه تركيب الذرة . ومن بين العلماء الذين حضروا هذا المؤتمر سكوبلتسين وخورشاتوف ، بالاضافة الى العلماء الاجانب الضيوف من أمثال فرانسيسك بيرين وفدريك جوليو – كوري . وفي أيلول من ذلك العام كتب جوكوف عميد هذه

التشكيلة من المؤسسات السبع عشرة يقول :
أن شعبنا السوفياتي الفتي يتدفق الان بأعداد هائلة الى المعاهد. اما نحن العلماء والمهندسين وجماهير العمال فقد استطعنا أن نستوعب التكنولوجيا الغربية ، واننا لسوف نحول هذه التكنولوجيا الغربية الى تكنولوجيا اشتراكية اكثر كمالا .

ولا شك في ان ما قام به الاتحاد السوفياتي في الثلاثينات كان على مستوى صناعي فحسب • ويشير كاتب المقال الى عدد من الانجازات في هذا المجال ومن بينها انجازات في مجالات متعددة منها المجال الرياضي .

في تلك الاعوام تم مشروع سد الدنيبر عندما بدأت مئات من المعامل ترتفع في جميع أنحاء البلاد وتنشأ معامل التراكتورات في خاركوف وستالينغراد وتقوم مراكز صناعية جديدة هائلة . وفي عام ١٩٣٥ تم انشاء أول خط مترو في موسكو بما فيه المحطات البرونزية والرخامية المتلألئة بثريات الكريستال . وقال مؤلف الكتاب : « ولم يسبق للاتحاد السوفياتي أن بنى أمثال هذه المؤسسات بهذه الكثرة وبهذه السرعة » . « ولقد قدمت هذه الانجازات بما فيها الانجازات الصغيرة نسبيا بدعاية واسعة النطاق ، الا ان ٥١٨ معملا صناعيا قد بني في عام ١٩٣٩ » .

ويقول كاتب المقال أيضا ان جوكوف عندما بدأ عمله الصحفي في لوغانسك عام ١٩٢٨ كانت البلاد بأسرها ما تزال متخلفة . وفي منطقة لوغانسك ذاتها ما يزال ٦٠ ألفا من الاميين . وقد سجل ان هناك سبعة الاف عاطلين عن العمل . ويستعرض الكاتب مصاعب التموين والتصنيع في تلك الفترة ، ثم يشير الى ان ستالين الذي كان لا يستقبل الوفود قد استقبل انذاك وفود عمال مناجم منطقة دومباس وأمضى معهم ساعتين ونصف الساعة . ويشير كاتب المقال الى ان ستالين في تلك الاونة كان يقوم بعمل مصيب جداً ، فهو من ناحية يقارع التروتسكيين ، كما كان من ناحية أخرى يعمل على الدفع بعجلة التصنيع . وكان ستالين أيضا قد علم في تلك الفترة وبأسف ممض ، ان الاراضي القابلة للارواء ما تزال نسبة ٩٦ ٪ منها بيد ملاك فرديين ، فأعلن انذاك ضرورة دفع عجلة الكولكتيف وأعلن ان الكولاك – المزارعين الكبار الروس – يعتبرون خصوما للنظام السوفياتي .

ويحدد جوكوف في كتابه طبيعة أوائل الثلاثينات فيقول : « لكل فترة معضلاتها الخاصة بها ، وفي الخمسينات واجه الاتحاد السوفياتي المشكلة التالية : كيف تنظم ثقافة الشباب وكيف ينبغي عليهم ، في اتمام دراساتهم الثانوية ، أن يعرفوا اكثر من شكسبير ومايكوفسكي علوم الفيزياء والرياضة ، بل كيف يستطيعون استخدام أيديهم في بناء بيوت لانفسهم ، وكيف يكونون قادرين على انتاج أدوات لحرث أراضيهم بأفضل طريقة مثمرة ؟ » .

أما في مطلع الثلاثينات فقد كانت المعضلة تختلف عن معضلة الخمسينات ... لقد كان السؤال هو : كيف نجعل هذه الملايين تتعرف على ألفباء التكنولوجيا الحديثة ، فقد كانت هناك ملايين من الشعب لم تتعلم سوى القراءة والكتابة في مؤسسات اللكبيز – مؤسسات تصفية الامية » .

ويقول الكاتب ان هذه المهمة لم تكن يسيرة على أية حال ، فبالرغم من ان الظروف المعاشية كانت قاسية في تلك الايام ، غير ان الشعب كان مقتنعا قناعة تامة بضرورة ما يقوم به ومؤمنا بالمستقبل . وكانت الحياة قاسية ولكنهم لم يلينوا بل قاموا بعملهم بحماس وانكار ذات ، وقد أبدوا عدم اكتراث يمكن أن يوصف بأنه انكار ذات اسبرطي ازاء السلع العادية .

ثم يقول كاتب المقال : « لقد كانت مشاريع السنوات الخمس انذاك لم تكتمل بعد . ويبدو ان المؤلف جوكوف لم يكن مخلصا تمام الاخلاص في اطرائه هذا لتلك الفترة . ومثال ذلك ان هنري فورد الذي كان شعاره « العمل من أجل العمل » قد بعث ببعض رجاله ليساعدوا في بناء نزني – نوفغورود التي كان فيها معمل للسيارات . وقام اخرون من الاجانب بعملهم هناك بصدق ضمير ، كما كان هناك البعض من الناس أكثر من مشككين في مستقبل المغامرة الروسية الصناعية .

ثم يقول الكاتب ان هناك صورا رائعة وسيرا كاملة عن بعض شخصيات الثلاثينات البارزة . ولقد قابل مؤلف الكتاب جوكوف في تلك الايام مالنكوف وهو أحد أبطال الحركة الثورية لعام ١٩٠٥ وبطل من ابطال الحرب الوطنية . وهو عقل جبار في الثورة الصناعية لاعوام الثلاثينات وكان يلح على الالتحاق بالجيش خلال الحرب العالمية الثانية ( ويبدو انه شخص اخر غير مالنكوف الذي ترأس الوزارة بعد ستالين ) . ولكن كثيرا من هذه الشخصيات اللامعة التي يصفها جوكوف بكتابه كانت أقل حظا من مالنكوف هذا ولقد طوتها حملات التطهير بين عامي ١٩٣٧ – ١٩٣٨ .

ومع ذلك فان من أهداف مشاريع السنوات الخمس هو بناء قواعد صناعية تستطيع أن تؤمن بقدر الامكان الشعب ضد أي غزو من العدو وأي قصف من الجو . وكانت ألمانيا في تلك الايام هي العدو الاكثر وضوحا ، ولكن هناك اليابان ايضا . وفي عام ١٩٣٢ كانت اليابان قد احتلت معظم أراضي منشوريا وهدد عدد كبير من المدن الصناعية المصاقبة للحدود المنشورية . وتقرر انذاك ان يقام مركز صناعي على نهر آمور الواقع على بعد ٢٥٠ ميلا في الشمال من مدينة خباروفسك . وفي تلك الاونة كانت الاتصالات الجوية نادرة جدا عندما هبط الرواد الاوائل في منطقة برمسك من حزيران ذلك العام . ولقد اتخذ قرار بانشاء مدينة جديدة أخرى وكان هذا القرار قد اتخذ من أحد قادة الجيش . وسيدمر ذلك كله خلال عمليات التطهير .

ويستعرض كاتب المقال بعد ذلك الانجازات الصناعية التي أنشئت في ذلك العام . ثم يشير الى ما أورده المؤلف ذاته من صور الفقر المدقع الذي كان انذاك في منطقة آمور ذاتها والانجازات التي تمت كانشاء أسس السينما في احدى الغابات ، وحتى خريف ذلك العام لم تكن في تلك المنطقة اكثر من خمسين كوخا يسكنها ستة الاف نسمة. وفي عام ١٩٣٣ بدأت الامور تتحسن ، ولقد أطلق اسم «كومسومولسك» على تلك المدينة لذكرى أولئك الذين بدأوا بانشاء هذا الموقع وكان جميعهم من الشباب الشيوعيين ( الكومسومول هو تنظيم الشباب الشيوعي ) . ويستعرض الكاتب ما أورده المؤلف من المشاهد التي واجهها أولئك العمال الاوائل الذين قاموا بانشاء هذه المدينة واستخدموا كل جهدهم في سبيل انجازها . وذكر ان المارشال بلوخر الذي سقط صريعا في احدى حملات التطهير قد وضع بتاريخ ١٢ حزيران الحجر الاساسي لاول مصنع في مدينة كومسومولسك . ثم تلت ذلك ثلاث سنوات كانت الامور خلالها تبدو وكأنها تتطور الى الافضل . والوف من الكومسومول قد التحقوا بكل ذلك الجيل الذي بقي بعد حملات التطهير . وهكذا نجد ان مدينة كومسومولسك قد تطورت تطورا سريعا لتكون مدينة صناعية أساسية في تلك المنطقة . وكانت البشائر تدل على ان تلك المنطقة تزخر بكميات وفيرة من الذهب والفحم والمعادن . ويقول كاتب المقال ان المؤلف جوكوف يقدم لنا الشخصيات الرئيسية في مدينة كومسومولسك والمدن الاخرى المتاخمة لها . ويستعرض المؤلف ، كما يروي كاتب المقال ، ما وقع بعد كارثة ١٩٣٢ – ١٩٣٣ حتى مطلع عام ١٩٣٧ في مدينة كومسومولسك ويشير الى عهد الارهاب الذي ساد منذ كانون الاول عام ١٩٣٤ والذي لم يعف منه الا نفر قليل من الناس . ثم جاء عام ١٩٣٧ فاحتفل بأعياد رأس السنة لذلك العام في جو مشبع بالتفاؤل . وقد ذكر المؤلف ان أحد كبار الموجهين للصناعة الثقيلة قد أعلن أن مشروع السنوات الخمس الثاني قد بدأ يتقدم باضطراد نحو أهدافه فيما كان ميكويان قد أعلن عندئذ ان صناعة الاغذية قد اجتازت كل ما كان متوقعا لها .

وبعد ذلك توفي ذلك الموجه الكبير للصناعة الثقيلة ، وقد أقيم احتفال جنائزي رسمي له ، وكان من بين من هزهم الحزن عليه ستالين نفسه ، وفي الحقيقة أن هذا الركن من اركان الصناعة الثقيلة في الاتحاد السوفياتي قد انتحر احتجاجا على الارهاب الذي فرضه ستالين يومذاك . وكان يبدو ان شيئا ما يعد في الخفاء . وفي اذار ١٩٣٧ ألقى ستالين خطابه الرهيب الذي تحدى فيه المخربين والقتلة والعملاء والاجانب الذين انبثوا في جميع التنظيمات وفي جميع المستويات ، وفوق ذلك كله ، انضموا الى الحزب لبولشفي ذاته . ويصف جوكوف في كتابه ، ذلك الفزع الذي أحدثه هذا الخطاب في كل مكان ، وأشار الى الصراع الطبقي في البلاد ذاتها ، ووصف ما كانوا يعانونه من قلق عميق . وقد أشار مؤلف الكتاب الى نظرية كانت تقول بأنه كلما ازدادت انتصارات الاشتراكية كلما ازدادت حدة الصراع الطبقي .

ويبدو أن هذه النظرية التي وصفها المؤلف بأنها نظرية لا يمكن فهمها على الاطلاق هي التي أشاعت القلق والذعر في الاتحاد السوفياتي يومذاك . ويقول كاتب المقال أيضا ان مدينة كومسومولسك كانت قد تأثرت تأثرا بليغا بحملة التطهير الكبرى ، فقد أعدم غامارنيك الذي سبق أن اختار موقع هذه المدينة ، كما أعدم بلوخر الذي وضع الحجر الاساسي لهذه المدينة . ويقول أيضا ان زعماء الكومسومول ( منظمة الشبيبة الشيوعية ) قد ألقي القبض على كثير منهم وأطلق الرصاص على البعض . وبذلك يسجل جوكوف مؤلف الكتاب ، ان أعدادا كبيرة من قادة منظمة الكومسومول قد سحقوا سحقا بطريقة أو بأخرى . وقد أشار الى أحد قادة هذه المنظمة وهو ايفان سيدورنكو الذي أنقذ من تلك الحملات الرهيبة فأصبح بعد ذلك أبا لعدد من المشروعات الناعية في الثلاثينات بما فيها مشاريع مدينة كومسومولسك .

ويرى مؤلف الكتاب ان عقود الثلاثينات كانت فترات مجيدة من عمر الاتحاد السوفياتي البالغ خمسين عاما ، ولكنها بالرغم من مجدها هذا الا انها كانت فترات شرسة جدا . ويضيف كاتب المقال الى ذلك قوله ان هتلر قد سحق « الاجانب » ولكن ستالين قد سحق شعبه . أما جوكوف في كتابه هذا ، فيؤكد بقوة وفي اكثر من موقع من كتابه على انه بالرغم من حكم ستالين الشرس ومسلكه الا انه ( أي الكاتب ) لم يفقد لا هو ولا رفاقه الاخرون الايمان بعظمة بلادهم ولا بفضائل الشيوعية وانجازات الحكم في تلك الفترة الحديدية من تاريخ الاتحاد السوفياتي .

(( م ... ))

## الولايات المتحدة

### يوميات غيفارا

★★★

عندما القت القوات البوليفية القبض على ارنستو ( تشي ) غيفارا[1] وقتلته في تشرين الماضي ، عثرت بين اشيائه الخاصة على يوميات له تتألف من ٣٠٠٠٠ الف كلمة . واليوميات مكتوبة بخط يده بالاسبانية وتروي بتفصيل جميع نشاطاته منذ ان وصل الى بوليفيا عام ١٩٦٦ حتى يوم القاء القبض عليه تقريبا .

وقد استخدمت الحكومة البوليفية بعض المقتطفات من اليوميات لتدين بها الثائر الفرنسي جول ريجي دوبري لمساعدته الثوار . كما انها اعتقلت نحو ٢٠ بوليفيا ذكرهم غيفارا في يومياته . ثم ، عندما استنفدت الحكومة اغراضها السياسية من اليوميات ، عرضتها للبيع .

وتتضمن اليوميات الكثير من المعلومات التي تهم من يدرس فن حرب العصابات . وتقول مجلة تايم الاميركية في عددها الاخير ان مطامح تشي كانت اكبر من الوسائل المتوفرة لديه لتحقيقها . فقد كتب يقول انه لا يريد أن يخلق « فيتناما أخرى » في بوليفيا وحسب ، بل يريد كذلك أن يبدأ حرب عصابات ثورية في الارجنتين ، وكان يتسلى في أوقات الفراغ على ما يبدو بكتابة الشعر ، وألف قصة قصيرة تدور حول ثائر شيوعي شاب يتعلم أن يتغلب على مخاوفه . ويبدو أن مثال تشي كان معديا ، اذ ان السلطات البوليفية عثرت على كتابات أخرى من وضع رفقاء تشي .

وقد أغرت هذه المواد عددا من الناشرين سارعوا الى بوليفيا لمحاولة شرائها . فالصحافية الفرنسية ميشيل راي التي أسرتها قوات الفينكونغ لثلاثة أسابيع العام الماضي ، عرضت على الحكومة البوليفية مبلغ ٤٠٠ ألف دولار من مصدر غامض ، وقالت « ان آخر شيء كان يرغب به تشي هو أن تقع يومياته في أيدي الاميركيين » .

### معارك قضائية

ولفترة من الوقت ، كان من المرجح أن يفوز « بالغنيمة » الثورية الادبية كونسورتيوم تترأسه دار « ماغنوم فوتوز » في نيويورك . فقد عرض هذا الفريق مبلغ ١٢٥ دولار لقاء نشر مقتطفات من اليوميات ، وكان الفريق يتألف من « النيويورك تايمز » ومجلة « باريد » الاميركية ومجلة « شتيرن » الالمانية الغربية ومنشورات « موندادوري » و « الصنداي تايمز » اللندنية وصحيفة « التايمز » الهندية . وحرص الفريق على التحقق من صحة هذه المواد .

الا ان الفريق انهار عندما انشق على نفسه الاسبوع الماضي . وكان أحد الاسباب هو ان بعض أعضاء الفريق خشي نشوب معركة قضائية حول ملكية اليوميات . والامر الراهن هو ان الحكومة البوليفية قد أصدرت مرسوما تدعي فيه ملكية جميع الوثائق التي استولت عليها من الثوار . ولكن عائلة تشي قد تخوض معركة قضائية عالمية من أجل اليوميات . والى ذلك ، هناك خطر نشر نسخ مسروقة أو « مهربة » من اليوميات قبل أن يستطيع الفريق نشرها . ذلك ان عددا من ضباط الجيش البوليفي صوروا اليوميات . وسواء اشتراها في الاخير هذا الفريق او ذلك ، فلن يعرف القراء في العالم ، قبل شباط المقبل ، على أقل تقدير ، ماذا كان يجول في ذهن تشي وهو يخوض معاركه اليائسة الاخيرة في الجبال البوليفية الموحشة .

# النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي «الآداب»

## لبنان

### نغمات مشبوهة ...

***

تصاعدت في الفترة الاخيرة ، في لبنان ، نغمات جديدة قديمة لا شك في ان اصحابها قد أحسنوا توقيت اطلاقها ...

وتضرب هذه النغمات على وتر عزل لبنان و « تحييده » واختطاط طريق له ظاهره الاستقلال والحياد ، وباطنه الارتباط بالغرب والانحياز له والانصراف عن الطريق العربي القومي ...

وهذه الدعوة تصدر بالدرجة الاولى عن حزب « الكتائب » في لبنان الذي لم يبق ثمة شك في انه يريد للبنان ان ينعزل عن الدرب العربي ، بحجة ان ذلك لم يعد عليه بأية فائدة ، وان مصلحته تقوم في غير هذا الاتجاه .

واذا كان المرء يقف امام هذه الدعوة وقفة قصيرة ليناقشها ويتأملها ويربط توقيتها بفترة ما بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ ، فانه لا يستطيع ان يقف الوقفة نفسها امام دعوة اخرى ، او ادعاء آخر يزعم ان من اسباب نكسة حزيران اللغة العربية الفصحى !

وصاحب هذه الدعوى « الطريفة » هو الشاعر سعيد عقل الذي يضيف اليوم الى نظريته السابقة ب « لبننة » العالم نظرية اخرى ب « لتينة » الحرف العربي ، اي جعله لاتينيا ... الى جانب ضرورة تسييد اللهجة العامية والكتابة بها الخ ...

وقد اتيح للناس ان يروا نتيجة دعوة الشاعر في كتاب أصدره بالحرف اللاتيني لم يكن فيه عمليا اي حل لاية مشكلة من مشكلات العربية ، ولا نحسب انه سيولد له أخ ، الا ان يولد ميتا كأخيه الاكبر ... كما اتيح للناس ان يستمعوا الى الشاعر يتحدث بالعامية ( في التلفزيون المتواطيء ... ) فاذا بهذه العامية فصحى فصيحة لا تختلف عن امها الا بلهجة لبنانية سائلة ليست هي كل لهجات لبنان والا بتشويه بعض ادوات الربط والقطع في الفصحى من مثل « الذي » يتحول الى « اللى » و « على السماء » تتحول الى « عالسما » الخ ...

ولا شك في انها دعوات مشبوهة هذه التي تتصاعد نغماتها الآن ، بينما يحتشد الشعب العربي لمحو عار ٥ حزيران بمزيد من الثورية والعمل والانتاج .

ومع ذلك ، فليست هذه الدعوات من الخطر والخطورة بحيث تستدعي اكثر من التفاتة وتنبيه ، ذلك انها قديمة وعتيقة يترنح بها اصحابها في المناسبات ولا تلقى لدى الجمهور الواعي اية استجابة حقيقية . وليس ثمة مواطن لبناني واحد ، ناهيك عن ان يكون مفكرا او اديبا ، الا ويحس اعمق الاحساس بأنه اليوم اشد تضامنا مع كل مواطن عربي من اي وقت مضى في مواجهة الخطر الاسرائيلي الامبريالي ، وان لبنان لن يستطيع يوما الانعزال او الحياد في قضية مصيرية كهذه القضية !

---

## « الآداب » في عامها السادس عشر

**بهذا العدد تبدأ « الآداب » عامها السادس عشر . وقد أصيبت في عامها الخامس عشر بآثار مما اصيبت به الامة العربية في عدوان حزيران ، فانقطعت شهرا عن الصدور ، واضطربت مواعيد ظهورها ، وخضعت للرقابة ، وحجبت عن قرائها للمرة الاولى في بعض البلدان العربية ... ولكن « الآداب » قد صمدت لهذه العوائق جميعا ، وما كان لها ان تفعل غير ذلك وهي التي تحمل لواء الصمود ، وتدعو الى مواجهة النكسة بكل اسلحة الرفض والاباء والوعي .**

**وستحمل « الآداب » في عامها الجديد ثمرات الادب العربي الحديث تحت شعار « ادب المقاومة والصمود » وهو النتاج الذي تتطلبه هذه الفترة الجديدة من تاريخ الشعب العربي الذي لم توفره النكسات، ولكنه كذلك لم يفتقر الى البطولات .**

**واذا كان ثمة تحية توجهها « الآداب » في عامها الجديد الى غير قرائها الاوفياء وكتابها المخلصين ، فانما توجه تحيتها الكبرى الى ذلك البطل الذي سيكون ـ منذ اليوم ـ منبع الهام الشعراء والادباء : الى الفدائي العربي على الارض التي لا بد ان تعود !**

**س. ا.**

## جوائز جمعية اصدقاء الكتاب لعام ١٩٦٨

***

تعلن جمعية أصدقاء الكتاب في لبنان ان جوائزها لعام ١٩٦٨ ستمنح على النحو التالي :

أولا – جائزة فخامة رئيس الجمهورية : وقيمتها خمسة الاف ليرة لبنانية ، تمنح لمجموعة اثار مؤلف لبناني تميزت بالجودة وصدرت باللغة العربية .

ثانيا – جائزة لبنان في العالم : وقيمتها ثلاثة الاف ليرة لبنانية ، تمنح لمجموعة اثار مؤلف لبناني تميزت بالجودة وصدرت باللغة الاسبانية او البرتغالية .

ثالثا – جائزة الدراسات اللبنانية : وقيمتها ثلاثة الاف ليرة لبنانية ، تمنح لافضل كتاب عن الماء للانماء في لبنان ، ألفه لبناني ونشر في لبنان .

رابعا – جائزة التاريخ : وقيمتها ثلاثة الاف ليرة لبنانية تمنح لافضل كتاب يدرس جانبا من جوانب تاريخ مدينة جبيل ، ألفه مؤلف لبناني ونشر في لبنان .

خامسا – جائزة العلوم : وقيمتها ثلاثة الاف ليرة لبنانية ، تمنح لافضل كتاب في العلوم البيولوجية او الكيميائية او الفيزيائية او الرياضية ، الفه مؤلف من البلاد العربية ونشر في لبنان من غير تحديد للغة .

سادسا – جائزة التراث العربي : وقيمتها ثلاثة الاف ليرة لبنانية، تمنح لافضل كتاب في التراث العربي في جزيرة العرب ، ألفه مؤلف من البلاد العربية ونشر في اي بلد عربي .

سابعا – جائزة فلسطين : وقيمتها ثلاثة الاف ليرة لبنانية ، تمنح لافضل كتاب حول ناحية من نواحي القضية الفلسطينية ، ألفه مؤلف من البلاد العربية من غير تحديد للغة او لمكان النشر .

ثامنا – جائزة العلوم الاجتماعية : وقيمتها ثلاثة الاف ليرةلبنانية، تمنح لافضل كتاب يبحث مشكلة من المشكلات الاجتماعية في العالم العربي ، ألفه مؤلف من البلاد العربية ونشر في لبنان .

تاسعا – جائزة المسرحية : وقيمتها ثلاثة الاف ليرة لبنانية ، تمنح لافضل مسرحية باللغة العربية الفصحى قابلة للتمثيل ، الفها لبناني ولم تنشر بعد .

عاشرا – جائزة القصص الاسطوري : وقيمتها ثلاثة الاف ليرة لبنانية تمنح لافضل كتاب يتناول القصص الاسطوري العربي ، موضوع للاولاد الذين تتراوح أعمارهم بين السابعة والثانية عشرة ، ألفه لبناني ونشر في لبنان .

### شروط الجوائز

١ – يجب أن تكون الكتب المرشحة للجوائز مؤلفة باللغة العربية الفصحى ومنشورة خلال عامي ١٩٦٧ – ١٩٦٨ . ويجب ان تكون الكتب المرشحة مطبوعة لا مخطوطة ، ومنشورة للمرة الاولى ( ما عدا الجوائز التي نص عليها خلاف ذلك ) .

٢ – يرسل الراغبون في ترشيح مؤلفاتهم لاحدى الجوائز ( ما عدا الجائزة الاولى والثانية اللتين تمنحان تقديرا ) خمس نسخ من الكتاب الى مركز الجمعية – كورنيش المزرعة ، مفرق المدينة الرياضية – بيروت .

٣ – يجب أن تسلم النسخ الخمس في موعد لا يتجاوز اخر ايلول ١٩٦٨ لقاء وصل مؤرخ بالاستلام .

٤ – لا يحق لاعضاء جمعية أصدقاء الكتاب أن يرشحوا مؤلفاتهم لاحدى الجوائز .

٥ – يحق لجمعية أصدقاء الكتاب ، بناء على توصية لجنة احدى الجوائز ، أن تجزىء الجائزة . كما يحق لها أن تحجب الجائزة اذا لم تقدم لها مؤلفات في المستوى المنشود .

٦ – لا يجوز ترشيح كتاب سبق أن اشترك بجوائز أصدقاء الكتاب من قبل .

٧ – يشترط في الكتاب المتقدم لاحدى هذه الجوائز أن لا يكون أطروحة جامعية .

كانون الاول ١٩٦٧

**جمعية أصدقاء الكتاب**

## الجمهورية العربية المتحدة

### صيف عقيم وشتاء خصب

لمراسلة « الآداب » في القاهرة

بدأ الموسم الثقافي الفني في الجمهورية العربية المتحدة مع بداية الشتاء مثلما يحدث في كل عام ثقافي ، وذلك لاعتماد النشاط الثقافي الفني على التجمعات السكانية التي تتبعثر تماما في فصل الصيف اذ تتناثر الجماهير هنا وهناك .

ورغم أن الصيف أكثر ملاءمة للمناقشات النظرية التي تعتمد على الكتب والمجلات ، فاننا نفتقد فيه الحوار الفني المثمر ، ولا نعني بذلك هذا الصيف بالذات . فصيفنا الماضي كان أكثر عقما .

وقد يذهب قارىء الى أنه لم يكن هناك من النشاط الثقافي ما يثير مناقشات حية ، الا أن الحقيقة غير ذلك . فالمطابع لم تهدأ ... وكانت تخرج مع مطلع كل فجر جديد عشرات الكتب والمجلات التيتتناول موضوعات حية جديرة باثارة التفكير والمناقشة .

ومتامل هذه الظاهرة يعثر على أسباب تساعد في تضخيمها وتكرارها كل عام ..

ولعل أكثر هذه المسببات وضوحا عدم التخصص . حيث يعمل الصحفي كاتبا . والناقد ( سيناريست ) والفنان مديرا اداريا . مما أفقد أشكال الفكر وألوانه تفردها . والتحم هؤلاء وأولئك في صراعات جانبية لا ترتبط بالفن والادب والفكر بقدر ما ترتبط بالمصالح الشخصية و « الشللية » اذا جاز أن نسميها كذلك .

وكثيرا ما يكون الفائز في هذه الصراعات من يملك بابا ثابتا في مجلة أو جريدة . يهاجم فيه كل من يريد بانتظام . وخاصة اذا نجح في استقطاب احدى الشلل حوله .

وعلى كل حال فهذه أمثلة من المعارك الفكرية والفنية التي ثارت أخيرا مع بداية هذا الشتاء الخصب .

***

● أقامت وزارة الثقافة هذا الشهر مهرجانا سينمائيا ، تحتفل

فيه بمرور أربعين عاما على بداية السينما في مصر . وهذه مناسبة مؤاتية لظهور أبحاث ضافية تسجل ما حققته السينما في هذه الفترة من تقدم وما لاقته من عثرات عملت على تأخر جانب من جوانبها . وفي لحظات ترقبنا لذلك يطلع علينا ناقد ينتهز هذه الفرصة للاساءة الى المخرج صلاح أبو سيف ، قائلا ان مهرجان الافلام القديمة قد أظهر بوضوح أن صلاح أبو سيف لم يأت بجديد بأسلوبه الواقعي ، وانما هو امتداد أمين للمخرج الرائد كمال سليم . ان هذا المأخذ ليس عيبا في صلاح أبو سيف . ولكن الناقد في الحقيقة كان ينفس عن غيظ غائر في نفسه . وهو غيظ يرجع الى الايام التي كان فيها صلاح أبو سيف رئيسا للشركة العامة للسينما . وربما رفض ترشيح قصة سينمائية لهذا الناقد أو لاحد أفراد شلته .

وهجوم الناقد ليس الا استمرارا لما هوجم به صلاح أبو سيف من قبل . حتى رأى المسئولون في آخر الامر اعطاء هذا المنصب لاقتصادي ليست له علاقة بالوسط السينمائي والصحفي هو الدكتور عبد الرازق حسن .

● وقضية الموسم الفنية التي نشرها الاستاذ محبوب في جريدة الجمهورية . بعد قراءتها وتتبعها نفطن الى أننا لم نسمع بهذه القضية الفنية ، وأن عنوانها المثير راجع لتهويل صحفي ، والحقيقة أنها فعلا فضيحة الموسم كما عبر عنها ، لا لانها فضيحة ولكن لما حولها من تهاويل .

نقرأ هذا كما قال المعقب عليها - لا تخرج عن تقديم مسرحي لدعوى مرفوعة من السيد عبد القادر التلمساني ضد مؤسسة السينما وشركة القاهرة للانتاج السينمائي . « فقد عهد الى التلمساني في أول يوليو ١٩٦٥ أن يشترك في اخراج وفي كتابة سيناريو فيلم « نفر واحد » .. حيث تعهد بتسليم السيناريو في ميعاد أقصاه آخر أغسطس . ثم نحته الشركة تحت ضغط السيد أحمد لطفي وعبد المجيد أبو زيد ، بعد أن أوشك التلمساني على البدء في تنفيذ الفيلم » .

رد الدكتور عبد الرازق حسن رئيس شركة القاهرة للانتاج السينمائي قائلا : المؤسف أن السيد محبوب لم يحاول أن يتحرى الحقائق المتصلة بالموضوع ، وأكثر من هذا حاول أن يؤثر في مجرى القضاء في أمر مرفوع اليه ليفصل فيه » .

والحقيقة أن الذين اشتركوا في ضجة « قضية الموسم الفنية » لم يحاولوا التأثير على القضاء فقط بل حاولوا الاشارة الى القبائلية التي تحدد مسار الاعمال الفنية . واعتمدوا في ذلك على القرابة التي تربط الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة بالسيد احمد لطفي الذي اجرى المعالجة السينمائية التي رفضت من أجلها معالجة التلمساني، والاستاذ لطفي يشغل منصبا هاما في أجهزة الثقافة .

ويرد الدكتور عبد الرازق حسن هذا القول بأن احمد لطفي قد قام بهذا العمل ولم يكن الدكتور ثروت على رأس وزارة الثقافة . وكان السيد أحمد لطفي في منصب بعيد عن هذه المشاكل .

وانهى الدكتور عبد الرازق رده بصيحة اراد بها اظهار عدالته قال فيها : « ومهما يكن من شيء فان شركة القاهرة للانتاج السينمائي لن ترضخ لاي ضغط يهدف الى دفعها في نفس الاتجاه الذي أدى الى انهيار شركات الانتاج السابقة ، وترجو ممن يتعرض لسياسة الشركة أن يلم بجميع الوقائع . لان الصحافة منبر عام يملكه الشعب لتكشف من خلاله الحقائق » .

***

ويقول قائل .. ان قطاع السينما تسيطر عليه أهواء خاصة ومن ثم لا يقاس عليه . قلنا لا بأس .. الى أين نتجه ، ستشد انتباهنا بلا شك ( فضيحة الموسم الادبية ) التي كانت عنوانا للمعركة الدائرة على صفحات الاعداد ٢٢٥ الى ٢٢٥٢ ديسمبر من مجلة « المصور » بخصوص جوائز الدولة التشجيعية ، التي قررتها الدولة كحافز له قيمته للجيل الجديد . وانحرف بها المقررون الى مسالك اخرى ..

وصفها رجاء النقاش في العدد ٢٢٥ من مجلة « المصور » بأنها : « غير سليمة وغير عادلة ، لانها مسالك تؤدي في النهاية الى افساد قيمة هذه الجوائز ، وتعطيلها عن أداء دورها في الحياة الثقافية » ثم ضرب رجاء أمثلة على ذلك بحرمان الكاتبة الموهوبة لطيفة الزيات ثم الدكتور مصطفى محمود .. وآخر قرارات اللجنة التي تثير الدهشة هو قرارها باعطاء جائزة الدولة التشجيعية في القصة القصيرة لابراهيم الورداني وحرمان القصاص أبو المعاطي أبو النجا منها .. ثم تساءل رجاء : « لماذا تشجع ابراهيم الورداني وهو كاتب تجاوز مرحلة التشجيع والنمو وأصبح الآن كاتبا له شخصيته الخاصة التي لا يمكن أن تعطي أفضل مما أعطت . لقد اختار الورداني لنفسه أن يكون صحفيا وأن يكتب قصصا ترفيهية خفيفة ولم يستطع أن ينمي موهبته على الاطلاق ، بل على العكس أطلق صرخات معروفة وعالية ضد الثقافة الانسانية . وصرخته مشهورة ضد الثقافة اليونانية التي احترمها العالم كله ، وكان في مقدمة الذين احترموها أجدادنا العرب . هذه الثقافة الانسانية العظيمة وقف أبراهيم الورداني ليعلن أنها « أدب عفاريت » وأنها شيء تافه لا يستحق الاحترام ولا التقدير . ويستطرد رجاء « ان أي ناقد لن يستطيع في يوم من الايام مهما كانت مدرسة هذا الناقد ومهما كان لونه الفكري ، أن يقول ان ابراهيم الورداني كاتب قصة قصيرة بالمعنى الفني الصحيح أو أن بالامكان أن يحتل ولو سطرا واحدا من تاريخ القصة القصيرة المعاصرة » .

وجاء رد الورداني في العدد الذي يليه مائعا .. سافرا بدون منطق ، فقال عن رجاء « انه كناقد مثلا ... لم يدرس معنى كلمة ( جائزة تشجيعيه ) ، انها ليست لتشجيع الناشئين . ولكنها لمن قطعوا شوطا في النصف الثاني من رحلة حياتهم الادبية .. الى محطة الوصول العظمى التي اسمها الجائزة التقديرية .. » ( لاحظ تعبيره عن الجائزة التقديرية وتشبيهها بمحطة الوصول العظمى .. انه تعبير سطحي ساذج ) ثم عدد الورداني أسماء الذين سبق حصولهم على تلك الجائزة .. ولكنه أسف عندما تعرض لذكر حصول الدكتور مندور على هذه الجائزة فقال ( ثم المرحوم الدكتور مندور . انه نالها وهو عجوز يتعكز على كتف زوجته المكافحة ) . وأنا لا أريد أن أناقشه في أن الدكتور مندور حصل على الجائزة وسنه لا تتجاوز الثانية والخمسين . ولكن الذي أريد أن أثبته هنا أن ابراهيم الورداني لم يستطع أن يغفر للدكتور مندور هجومه على أدبه ومفاهيم قصصه حتى بعد وفاته .. ولن أنسى أن الورداني بعد أن قرأ هذا الهجوم ، رد عليه بقصتين اسمي بطل القصة الاولى غندور وبطل الاخرى شحرور.. وغندور في القصة صحفي جاهل يدعي العلم وأشياء أخرى لا أريد ذكرها .. تسيء الى ذكرى أستاذ مبجل من أساتذة الفكر في حياتنا ولى عنا .

واذا لم يكن أحد القراء قد عرف كتابات الورداني فيكفي هذه الفقرة للحكم على عدم حساسيته ككاتب . هل هذه شروط القصة القصيرة التي تنبع من الوجدان الصافي ؟ هل أبطال القصة أناس تلقائيون أما أناس يدافعون عن كاتبهم ؟ .. هذا من ناحية المضمون اما من ناحية الشكل فلنرجع الى مقاله .. انه استخدم التعبيرات الصحفية الدعائية الدارجة لتقييم نفسه كأديب مثل ( لقد كنت ولمدة سنوات طويلة قبل الثورة وبعد الثورة صيتا مطروحا على رصيف القصة القصيرة المصرية . كانت قصصي في الصحف والمجلات بداية اجتذاب زبائن جدد للقراءة ، ما من مجلة جديدة يصدرها طموح متزلف للجماهير الا ويحوم حولي ) .

وبعد ذلك حاول الورداني الايقاع بين رجاء وبين اللجنة التي منحت الجائزة بقوله : « ثم أنت تهز كرامة اللجنة التي شرفتني بهذا الاختيار للجائزة . اللجنة التي كان رئيسها ومقررها أستاذ جيلنا الكبير ( توفيق الحكيم ) والذي يجلس عن يمينه عميد القصة القصيرة المصرية ( محمود تيمور ) » وراح الورداني بعد ذلك يقيم نفسه مستخفا برجاء « تعال هنا أقرص أذنك . فلا بد أنك شعرت بنحس تلك السقطة

التي سوف تتوهج في سيرة حياتك النقدية . حكاية انكارك البات لي ككاتب قصة قصيرة . بل انك متطوع في حماس بالنيابة عن غيرك من كل النقاد ومن أي مدرسة كانوا . يا ساتر : لتمسح اسمي من آية قائمة معترف بها . أنت لا تتكلم عن كاتب قصة قصيرة من قبرص أو تل أبيب ولكنك تتكلم عن كاتب قصة من مصر له بصمة مطبوعة على وجدان أكبر مجموعة من كتاب القصة الذين جاءوا من بعده » .

وبعد أن عدد مآثره التي يظنها آثاره على القصة المصرية راح يثبت ذلك بادانة نفسه ، وادانة النقاء الفني في حياتنا وتشتت الكتاب في المناصب الادارية واجهزة الاعلام ، يقول الورداني : أنت تلغيني ككاتب قصة ، في الوقت الذي انا فيه عضو لجنة القصة الرسمية في الدولة ثم في الاذاعة والتلفزيون اسمي مدرج مع الصفوة من كتاب القصة الذين قدر لهم أعلى أجر .. يوميا يطلب مني قصة جديدة لمجلة أو اذاعة أو تلفزيون أو مسرح أو سينما ، بل وأنت يا رجاء ألم تطلب أن أكتب قصصا لمجلتك ( الكواكب ) كيف يحدث هذا وأنت تعتبرني كاتب القصة الترفيهي الهايف الجاهل . أما حكاية أن أحدا لا يعترف لي من المدارس الفكرية بأنواعها .. فيا لها من راحة أحسست بها منذ زمان ، حين قررت أنه لا توجد عملية نقد سليم أمينة في مصر .. ) .

وانبرى للدفاع عن الورداني بعض الصحفيين فاظهروا من عدم الدقة الادبية أكثر مما أظهر الورداني .

وجاء رد رجاء النقاش صريحا غير هياب لا بابراهيم الورداني ولا بالادباء الكبار الذين آراد الورداني الوقيعة بين رجاء وبينهم. وبصمتهم فقط وليس بجدارة الورداني حصل الورداني على الجائزة . كتب رجاء النقاش في العدد ٢٢٥٢ تحت عنوان « ليس قرارا ولكنه فضيحة أدبية» وبعنوانين فرعيين « لماذا يمتنع توفيق الحكيم » ، « لماذا يعتذر نجيب محفوظ » : « قضية الجائزة التشجيعية في القصة القصيرة والتي أثرتها منذ أسبوعين على صفحات « المصور » ما زالت في رأيي بحاجة الى حديث موضوعي صريح . وهي ليست حالة فردية ، تتصل بشخص أو شخصين وانما كنموذج أعتقد أنه يتكرر باستمرار ويجب أن تقف الحياة الادبية في وجه هذا النموذج وتقضي عليه ، اذا كنا حقا نريد حياة ادبية تعبر عن الضمير العام والوجدان العام تعبيرا صحيحا وصادقا ، وخاليا من كل تأثر بالشلل الادبية المختلفة ، التي آن الاوان لكشفها بصراحة ، والتي تتكون هنا أو هناك لتفرض على الحياة الادبية أشياء غريبة عنها كل الغربة » .

« والفضيحة الادبية تعود الى أن اختيار ابراهيم الورداني للجائزة لا يمكن أن يكون تعبيرا عن ضمير أدبي حي ، وانما – على العكس – هو نتيجة لضمير أدبي غائب عن الوجود وغائب عن التأثير » . ثم يذكر رجاء أسباب غياب الضمير الادبي في هذا القرار فيقول : « أول خطأ في اعتقادي هو أن الاستاذ توفيق الحكيم رئيس لجنة الجائزة قد امتنع عن التصويت . أن هذا الموقف خطأ من جانب أديبنا الكبير . وهو خطأ يتكرر كثيرا في حياة توفيق الحكيم وليس هذا ما ننتظره من فنان عظيم رائد مثل توفيق الحكيم . اننا ننتظر منه – على العكس – مواقف حاسمة وواضحة .. ننتظر أن تكون قراراته مثل كتاباته مؤثرة، وحاسمة ، معبرة حقا عن الضمير الادبي العام .

« وقد يكون لتوفيق الحكيم عذره في أنه لم يقرأ للكاتبين المرشحين للجائزة ، بما فيه الكفاية . ولكن اذا اعتبرنا أن هناك بين بداية بحث الموضوع واتخاذ قرار فيه ما يصل الى ستة أشهر فان من حقنا أن نتساءل لماذا لم يقرأ توفيق الحكيم خلال هذه الفترة الطويلة ما يمكنه من اصدار قراره ؟ »

وذكر رجاء « هناك ادباء مثل نجيب محفوظ ومحمود العالم ويوسف ادريس ومحمد عبد الحليم عبد الله وعبد الرحمن الشرقاوي في لجنة الجائزة ولكنهم لم يحضروا جلسات اللجنة فكيف يتخلون عن مثل هذه المسئوليات الهامة ، التي كان باستطاعتها أن تحفظ هذه الجوائز حتى تحقق خدمة حقيقية لبلدنا وثقافتنا ومستقبلنا الفكري والفني » .

ثم أوضح رجاء نتيجة سلبية كل هؤلاء ثم حرمان رجل يستحق الجائزة « أبو المعاطي أبو النجا » وحصل عليها الورداني باصوات ثروت أباظة وآمين يوسف غراب ومحمود البدوي ومحمود يوسف ، ليس فيهم ناقد واحد ، بل فيهم الصحفي محمود يوسف وهو كاتب معروف ولكنه ليس مؤهلا ليكون حكما في هذه اللجنة .

***

الى هنا ننهي فضيحة الموسم الادبية لنجد أنفسنا أمام قضية خطيرة آخرى . فقد كتب الدكتور لويس عوض في يومي ١٠ و ١٧نوفمبر ( تشرين الثاني ) مقالين في محاولة لدراسة تاريخ الفكر المصري ورصد معالم تطوره ، متى احتكت مصر باوروبا ، وكيف احتكت بها ؟

لقد حاول الدكتور لويس عوض أن يجيب عن مثل هذه الاسئلة من خلال كتابته عن الجبرتي ، وعن تحرير المرأة الذي بحث جزءا منه في كتابه المحاورات الجديدة .

وقد تصدى للدكتور لويس عوض الاستاذ عبد الجليل حسن في مجلة الكاتب ، في جدال وعرض جاد فلم يشتط ولم يعتمد على التنابذ بالاديان . وانما هو نقد موضوعي وثائقي يدين بما لا يقبل ادنى شك ما نشر فراجع معه أولا المصادر التي اعتمد عليها ثم التعبيرات التي أخطأ فهمها وآخيرا التخريجات التي خرج بها وهي ليست له .

قال عبد الجليل : « النص الذي أورده الدكتور لويس للجبرتي هو النص الذي يقول فيه : « ومنها – أي من حوادث هذه السنة – وما حصل فيها من تبرج النساء وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء . وهو أنه لما حضر الفرنسيون الى مصر ومع البعض نساؤهم وهن حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ، ثم يتابع « فمالت اليهن نفوس أهل الاهواء من النساء الاسافل والفواحش فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء ، وبذل الاموال لهن . الى أن يقول « وأما الجواري السود فانهن لما علمن من رغبة القوم في مطلق الانثى ذهبن اليهم أفواجا ، فرادى وأزواجا . فنططن الحيطان وتسلقن اليهم من الطيقان » .

وقد اتخذ الدكتور لويس عوض « لما علمن رغبة القوم في مطلق الانثى » اي في تحرير المرأة كما نقول اليوم او اطلاقها من عقالها « ثم يتابع نفس التفسير ويؤكده بأن الحملة الفرنسية حين جاءت الى مصر جاءت ومعها أفكار الثورة الفرنسية عن تحرير المرأة وأنها روجت بين المصريين لهذه المبادىء ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

يقول عبد الجليل : « الذي أدى بالدكتور الى كل هذه الاوهام والتخيلات الغريبة عن تحرير المرأة والبناء الفكري الذي بناه عن رسالة الفرنسيين في مصر ازاء النساء ، هو أنه فهم عبارة الجبرتي فهما لا يمكن أن يرد على الاطلاق على ذهن من يعرف اللغة العربية بوجه عام ولغة الجبرتي بوجه خاص ! فالجبرتي يقصد ببساطة أن الجواري السود ذهبن الى الفرنسيين لما علمن من رغبتهم في « أي » أنثى .. حتى ولو كانت سوداء . فلفظة « مطلق » هنا لا علاقة لها هنا أو غير هنا بالاطلاق والتحرر . ولكن المقصود بها جنس النساء أيا كان .. ومن ثم فلا يمكننا أن نبني بناء تاريخيا اجتماعيا كاملا عن تصورات التحرير من مجرد خطأ في فهم الالفاظ » .

ويقول عبد الجليل : « ولسنا في حاجة الى تتبع بقية تخريجات الدكتور . وكم كنا نحب أن نقدر له مغامراته الفكرية لو أحسسنا بأن وراءها جهدا في البحث والدراسة والتنقيب .. لولا اننا وجدنا أن الدكتور قد لخص بأمانة شديدة كل ما ذكره الاستاذ خليل شيبوب في كتابه الصغير « عبد الرحمن الجبرتي » الذي صدر من تسعة عشر عاما دون أن يشير الى هذا الكتاب . وأورد ملاحظاته بأسلوبه وتعبيراته احيانا وتبنى عرضا للوقائع ومناقشته لها . وبدا كما لو ان ذلك نتيجة لجهده وتنقيبه هو » .

واختتم عبد الجليل مقالته بقوله : واذا لم يكن ذلك أمرا جائزا لاي باحث على الاطلاق فكيف يمكن تبريره لمن يريد أن يكتسب مظهر الدارس المدقق الذي يبدو كأنه يشقق الشعر مبالغة في التدقيق وشدة

التحري . وهذا الختام يشبه الى حد بعيد ختام مقال آخر للدكتور عبد المعطي شعراوي نقد فيه كتاب نصوص النقد الادبي ـ تأليف لويس عوض في العدد الماضي من مجلة « المجلة » . وأخذ عليه نفس مآخذ عبد الجليل على مقالاته .

يقول الدكتور عبد المعطي شعراوي : « أول ما يلفت نظر القارىء هو وجود كلمة ( تأليف ) على غلاف الكتاب . فهناك تعارض واضح بين عنوان الكتاب ـ « نصوص النقد الادبي عند اليونان » ـ وما يليه من كلمات « تأليف الدكتور لويس عوض » فبالطبع لم يقم الدكتور لويس عوض بتأليف نصوص يونانية في النقد الادبي مثل محاورات أيون والجمهورية والقوانين وكوميديا الضفادع .. قد يقول قائل أنه ـ بالاضافة الى هذه النصوص ـ يوجد في الكتاب مقدمة لافلاطون ومقدمة لكوميديا الضفادع وأيضا يوجد المعجم الكلاسيكي . ولكن الاجابة على هذا القول سهلة قاطعة مقنعة . فالمقدمة الاولى ليست من تأليف الدكتور لويس ولكنها ـ كما يقول الدكتور نفسه ـ مترجمة عن مقدمة باركس وسميث في « أعلام النقد » والمقدمة الثانية ليست أيضا من تأليفه ولكنها مترجمة عن « طبعة اوتسر واونيل » واما المعجم الكلاسيكي فهو منقول نقلا من معجم أجنبي معروف وسهل الحصول عليه .. وحتى الشروح والتحقيقات والحواشي المتعلقة بنص كوميديا الضفادع وحتى أيضا « الارشاد المسرحي » فهو مترجم عن طبعة روجرز وعن طبعة جلبرت موري ، الترجمة الانجليزية . وكل ما نستطيع أن ننسبه الى الدكتور لويس أنه قام بجمع هذه النصوص والمواد المتفرقة ثم نقلها الى لغة الضاد وعرضها في مجلد واحد .

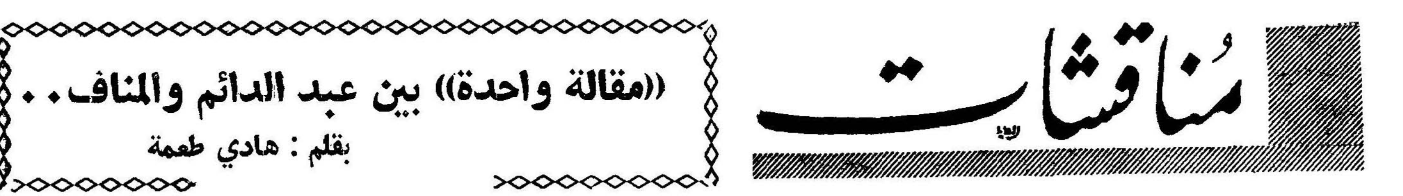
ثم يقول الدكتور الناقد ... أما عن المعجم الكلاسيكي فوجوده في هذا الكتاب غير مبرر على الاطلاق . فما هي العلاقة بين المعجم الكلاسيكي ونصوص النقد الادبي ؟ كان من الممكن الاستعاضة عنه بحاشية مختصرة تحتوي على كلمات ، لمعرفة المزيد من أسماء الاعلام والاعمال الادبية وأسماء الاماكن لانه لم يوفق الى الوصول الى قاعدة عامة أو منهج ثابت يسير عليه . فجاءت الكلمات المعربة مثيرة للسخرية والغضب في معظم صفحات الكتاب وليس في المعجم فقط . وهذه الظاهرة خطيرة للغاية اذ أنها تشوه أحيانا المعنى أو تحدث بلبلة فكرية خطيرة في ذهن القارىء . ولا أكون مبالغا ان قلت ان هذا يحدث بمعدل مرتين في كل صفحة واحدة من صفحات الكتاب الخمسمائة » .

وتناول الدكتور صفحات الكتاب المنقود .. وأحصى هذه الاخطاء في بحث طويل استغرق الصفحات من ٥٩ : ٧٣ بسبب أن اعداد الكتاب قد استغرق فترة طويلة . ولاننا لا ننتظر منه أن يخرج كتابا في محيط اليونانيات في مستوى أحسن من هذا . فلا يكلف الله نفسا الا وسعها .

وبالرغم من نصاعة هذه الومضات الضوئية التي تريد استجلاء الحقيقة في وسطنا الادبي ، الا آن بعض النفوس قد توترت وأصابها الملل ومالت الى عدم السير في طريق الصوفي بشر الحافي ، الذي مشى يوما في السوق فأفزعه الناس ، فخلع نعليه ووضعهما تحت ابطيه ، وانطلق يجري في الرمضاء فلم يدركه أحد .. وكان ذلك كما يقول صلاح عبد الصبور سنة سبع وعشرين ومائتين .. وكرر هذا الموقف منذ سنوات المرحوم أنور المعداوي وصوره نجيب محفوظ في قصته الشحات . وعاد اليه يوسف ادريس فترك القاهرة ورحل الى الريف . وتناول نعمان عاشور في مسرحيته « بلاد بره » ظاهرة الرغبة في الهروب والالتجاء الى عالم آخر . والحقيقة آن هذه ظاهرة تلفت النظر وهي جديرة بتأجيل الكلام فيها الى عدد قادم حتى ينفرج الستار عن هذه النماذج الهاربة في مسرحية نعمان وهي على خشبة المسرح ، وحتى يمكن الافاضة في تحليل الظاهرة بعرض طائفة من كلام المتحدثين في هذا الموضوع .

القاهرة

**عايدة الشريف**



مناقشات

## «مقالة واحدة» بين عبد الدائم والمناف..

بقلم : هادي طعمة

سأزعم في هذه الكلمة أن هناك مقالة واحدة ، نشرت على هيأتين، الاولى : بقلم الدكتور عبد الله عبد الدائم ، وقد نشرت في العدد ٤٩ من مجلة المعرفة الدمشقية ، اذار ١٩٦٦ ، السنة الخامسة . والثانية: بقلم الكاتب جميل المناف ، نشرها في العدد ( ١١ ) من مجلة الاداب البيروتية ، تشرين الثاني ١٩٦٧ السنة الخامسة عشرة .

وسأزعم أيضا أن الكاتب جميل المناف لم يكتف بانتحال بعض مقاطع من مقالة الدكتور ، فينسبها الى نفسه ، بل أنه ـ فيما عدا فقرات قليلة اقتضت ظروف ما بعد الحرب الاخيرة ، تدوينها ـ قد أتى على أغلب المقالة المذكورة ، وسار معها الى حيث يريد التلخيص الذي فرض نفسه على الكاتب جميل المناف ، لا الى حيث يريد الكاتب نفسه أن يسير .

وسأقرر البديهية المعروفة ، القائلة : اننا جميعا نعرف أن هناك بحوثا ودراسات ترد فيها اقتباسات كثيرة من مؤلفات عديدة ، وانهذه المقتبسات ، ان لم توضع بين أقواس ، فانه لا بد أن يشار اليها اينما وردت ، وكيفما وردت . وذلك احتراما من الكاتب لنفسه وغيره ممن ينقل عنه أو من يطرح عليه ما يكتب . وقبل هذا ، حفاظا على الامانة العلمية من أن تنحدر الى هوة السرقة وشناعة الادعاء الباطل والتعالم الزائف .

وأخيرا ، سأثبت ذلك للقراء .

ومن البداية ، العنوان هو : الصراع بين الحقيقة والاسطورة ، في حين أن عنوان مقالة الدكتور عبد الله عبد الدائم هو : بينالخرافة والحقيقة ، وهما ـ بالطبع ـ في معنى واحد .

يستهل الكاتب جميل المناف مقالته ، هكذا : « الاسطورة هي الصهيونية والحقيقة هي العروبة .. هاتان هما حلبتا الصراع في المعركة الدائرة الان في الشرق الاوسط .. ومن قبل ولادة اسرائيل وبعد ولادتها كان الصراع محتدما ولكن اوجهه تعددت وتفاوتت زمانا ومكانا .. » .

بينما نجد هذا القول نفسه موجزا بقلم الدكتور عبد الله،مستهلا به مقالته أيضا ، وهو : « خرافة الصهيونية وحقيقة العروبة : هاتان هما حلبتا المعركة قبل ولادة اسرائيل وبعد ولادة اسرائيل . » .

ثم يأتي الكاتب جميل ليتساءل : « فهل تنتصر الاسطورة على الحقيقة .. لان الاولى تملك حوافز الفعالية والتحريض ، وعوامل العمل على تثبيت الذات بالقوة والعنف واستغلال منجزات العلم والتكنولوجية .. اما الثانية فلا تزال ( مترهلة ) تشعر ببلادة السكون والطمأنينة الكاذبة ؟ » .وهو نفس تساؤل الدكتور ، مع شيء قليل من الاختلاف في التعبير ، اذ يقول : « فهل تنتصر الخرافة على الحقيقة .. » ؟ .. ثم يستطرد واصفا العمل على تثبيت الخرافة بالزيف : « فالزيف لا يتراجع طائعا امام الحقيقة ، لانه زيف . والمزيف ماض في لعبته عازم على جريمته ، .. الخ .. والحق اضعف ما دام مطمئنا الى حقه اطمئنانه الى عصا سحرية تغير الامور سهوا رهوا ، مؤمنا بنصره ... » حتى يقول ان الصهيونية قد « استخدمت في سبيل توطيد اركان الخرافة عبقرية العلم.. فامتاحت من العلم والتكنيك خير نتائجهما ، وسخرتهما في سبيل التنمية الاقتصادية والاجتماعية».

أما عن الحقيقة العربية ، فان الدكتور يقول : « وما تزال خطواتها خجولة مستأنية ، متعثرة ، وما يزال اطمئنانها الى حقها أعمق من عملها في سبيل توكيد ذلك الحق .. » .

والناظر في هذين التعبيرين لا يجد اختلافا فيهما الا من حيث التعبير وموضعه من المقالين . على أنه لا يفوتنا أن نذكر بأن الدكتور كان قد تعرض الى جرائم الصهاينة في فلسطين بهدف تثبيت«الخرافة أو الاسطورة » بالقوة والعنف . وهنا تكتمل الصورة المصغرة لمقالة الدكتور ، على يد الكاتب جميل المناف . تلك الصورة التي استغرق كل جانب من جوانبها ما يقرب من الصفحة، أو قد ينوف عليها أحيانا.

ويصح ـ عندي ـ أن ما أوردته من كلام الكاتب ، انما هو الخلاصة عينها التي وصل اليها الدكتور ، وعندئذ لا يكون للكاتب أي فضل في استخلاصها ، لانها ليست حصيلة تفكيره وأتعابه ، ولانه قد أتى عليها ساطيا ، بدلالة أنه لم يشر الى مقالة الدكتور لا من قريب ولا من بعيد ـ كما اتضح مما أوردناه ، وكما سيتضح فيما بعد .

يقول الكاتب : « أن الاسطورة الصهيونية تلبس ثوب العلم بينما حقيقة جوهرها زيف وباطل ، وتتقن فن مخاطبة الشعوب وبناء نفسها في كل شبر تحتله .. أنها محصنه ـ بزيفها ذاته .. بكل أباطيله وادعاءاته وفنونه الشيطانية . بينما الحقيقة العربية بعيدة عن الصدق مع نفسها ، بعيدة عن التنظيم العلمي والمنهجة المدروسة .. » ، أما الدكتور عبد الله عبد الدائم ، فانه يفصل هذا الزيف في صفحات اخترنا منه فقط ما يقابل تعابير الكاتب .

يقول الدكتور : « ان أسرائيل مطوقة بالزيف من كل جانب ... فالزيف يلفها في نشأتها .. » وان اسرائيل قد « توسلت بكل وسائل الخداع ، وأيدت خداعها بالعلم والعمل والدأب .. » .

كل هذا استخلصناه من أكثر من نصف العمود الاول . ويظل الكاتب على هذه الحال من السرقة الواضحة ، الذكية ـ ان جاز التعبير ـ حتى يصل الى منتصف العمود الثاني ، حيث يخف عمل الذكاء ، في حين تبقى السرقة هي هي على حالها ، فتزداد وضوحا . يقول الكاتب « والزيف الاسرائيلي مثابر وعنيد .. انه يحيا بطاقات محفزة تنبع من اسطورته الصهيونية ذاتها .. ويقوم عمله وجهده على هذه القاعدة .. ليؤكد سبيل العناء التي يطبقها للعبور الى اهدافه ... » . على حين ان الدكتور كان قد سجل ذلك بالنص التالي : « الباطل عنيد ومثابر ، لانه يحيا من امعانه في باطله ، ويقوم وجوده على الجهد والعناء في سبيل توكيد الزيف .. » . وسبيل توكيد الزيف كما هو بين وواضح عند الدكتور عبد الله عبد الدائم ، هنا ، ومن خلال المقالة ، هو تثبيت الوجود الصهيوني الشاذ على ارض فلسطين . أما عن الحقيقة العربية البعيدة عن الصدق مع نفسها ، البعيدة عن التنظيم العلمي والمنهجي المدروسة ، حسب ما يقولالكاتب، فان الدكتور لا يلجأ الى هذا الحكم وعلى هذه الصورة ، بل انه يتناوله بالبحث والدراسة ، منطلقا اليه من خلال « عامل التخلف العلمي والتقني » و « مطلب التعليم والتربية » للجمهرة الكبرى من المواطنين الفقراء المحرومين ـ بتعبير الدكتور ـ ومن خلال « ضعف روح البحث والدراسة والتنقيب .. » ولندع هذا التماثل ، ونأت الى قول الكاتب : « المسألة ، كل المسألة ، ان الحقيقة لا تزال غير متكاملة ـ ذاتيا ـ وموضوعيا . بينما الاسطورة تهيأت لها عواملالتكامل في الفكر الصهيوني اولا وفي واقع الامبريالية ، ثانيا : وفي البناء الذاتي والموضوعي قبل كل شيء وبعد كل شيء ! » فاننا نجده لدى الدكتور ، هكذا : « المسألة كل المسألة أن تستطيع الحقيقة تعريةالزيف، وأن يقوى الحق على أن يكون حقا .. » وأن الصهيونية قد « جعلت رائدها الاول تفجير الكفاءات والخبرات .. تذلل العقبات تذليلا ذكيا مسلحا بكل ما في العلم من قدرة على الابداع والعطاء . لقد انطلقت

من .. الانسان .. نعني قواه الذاتية المبدعة ، وطاقاته الخلاقة ... وقر في يقيننا أن « العقل الرائد » العقل المبادر الى غزو الطبيعة والاشياء ، المزود بجرأة المعرفة وقوة العلم والفن ، هو أثمن ما يمكن أن تمتلكه امة . » ان هذا الواقع هو معكوس ما عليه للحقيقة العربية ـ عند الدكتور . ثم أن الكاتب يدون ما يلي : « والحق العربي مستكين قد أخذته العزة بالحقيقة ونال منه الغرور منالا ، فاكتفى بالثقةالمطلقة بالنفس ورأى أن قضاياه معروفة ولا تحتاج الى برهان ودليل .. ومتى كان نور الشمس يحتاج الى دليل أو برهان ؟ .. ومن هنا يأتي الشعور بأن النصر مكتوب للعرب لا محالة .. » .

بينما نقرأ هذا في مقالة الدكتور بهذا التعبير : « والحق قد يستكين ، وقد تأخذه العزة ، وينال منه الغرور ، فيكتفي بحقه من أجل توكيد حقه ويرى أن نور شمس لا يحتاج الى برهان ، وان النصر مكتوب له لا محالة » .

ومثل هذا التطابق ، قول الكاتب : « أجل ! تلك هي المسألة : الاسطورة تتوسل بكل الوسائل الحضارية المعاصرة وتخادع وتبدي خداعها بالعلم والتكنولوجيا في سبيل أمة مفتعلة .. والقومية العربية الاصيلة الجذور والخصائص .. تعجز جميع حقائقها عن أثبات نفسها، لان عوامل الخلق فيها لم تنقلب الى واقع حي .. فقصر وجودها عن مداه وقصرت عقليتها عن مدارك الواقع .. فلم تدرك غاياتها وظلت ضعيفة أمام باطل عات وطاغ . ونجد حقيقتها متخاذلة أمام الاسطورة الصهيونية » .

على حين أن الدكتور عبد الله عبد الدائم كان قد دون ذلك في ما نصه : « أجل ، تلك هي المعركة : صهيونية زائفة ، توسلت بكل وسائل الخداع ، وأيدت خداعها بالعلم والعمل والدأب ، في سبيل خلق أمة ... وقومية عربية عميقة الاصول والجذور ... تعجز حقيقتها الواحدة العميقة عن أن تنقلب الى واقع حي ، ويقصر وجودها عن مداه ، ولا تدرك قواها غايتها فتلفي نفسها ضعيفة أمام باطل غيرها ، وتجد قوميتها الصادقة متخاذلة أمام أسطورة الصهيونية » .

أهكذا يكون البحث العلمي والموضوعية في الكتابة ، والامانة ازاء الفكر والنفس والقراء في آن واحد ؟! . واني لاتساءل ـ وهو ما قد يرد الى اذهان نفر من القراء ـ أكل هذا التماثل والتطابق ، وهذا التسلسل الواحد في تناول موضوع بعينه ، المنتهي الى نتائج واحدة ، من قبيل توارد الخواطر ؟! . ليس هناك ـ فيما أظن ـ أي عقل يقبل بهذا الافتراض بعد الذي اتضح ،ولكنا ـ برغم ذلك ـ نقبله جدلا ، ونمضي مع المقالتين ، فهما اللتان ستخبراننا بما فيهما . يقول الكاتب:

« لنعد قليلا الى التاريخ : الحركة الصهيونية حركة سياسية مفتعلة لانها منقوصة الاصول مختلفة الجذور . عملت بدأب على ممارسة الزيف والكذب وتسليحه بالايمان والفكر المرصوص والذكاء .. على خلق قومية اسطورية ـ قومية مفتعلة ـ قومية وهمية ـ على غرار ما أراد مفكرو النازي من خلق قومية عنصرية . ولكن الفرق بين النازي والصهيونية أن الاول بنى قوميته العنصرية في أرضه وانطلق موجها عدوانه ضد الشعوب الاخرى . بينما الصهيونية بنت عنصريتها الموهومة في أرض غير أرضها وعلى حساب شعب آخر .. لقد اعتمدت الصهيونية على تزييف حقائق التاريخ وعادت به الى ألفي سنة الى الوراء. حتى أقوال التوراة مسختها وأهداف الدين اليهودي زيفتها لتخلق في العقل اليهودي وهما شديد التأثير على النفس ، يشتد ويشتد كلما ازدادت التحديات الموجهة ضد اليهود من العالم ... الى أن يقول .. وهم الشعب اليهودي المختار هو من خلق الاغنياء بالذات منذ عهد السبي البابلي لانه يجعلهم الاسياد دائما . وقد كان هذا الامر منذ عهد يهود فلسطين القدماء الذين شوه أغنياؤهم التوراة ووضع أحبارهم«التلمود» ـ الكتاب التفسيري ـ كتاب الدجل والحقد والاستغلال والجريمة.»

ثم يخرج من هذا الى الحكم التالي : « واذن فان فكرة شعب الله المختار فكرة طبقية أساسا .. » وليقول « والزيف الصهيوني لجأ الى التاريخ فزيفه وحمله ما لا يحتمل وتقول عليه ، زاعما أن الحق اليهودي يعود الى ألفي سنة وأن ـ الحقوق التاريخية ـ تكون ثابتة رغم مرور آلاف السنين ، مدعيا أن اليهود سلالة واحدة منذ عهد السبي البابلي أو قبله ، ورغم أن اليهود شعب ( !! ) مهاجر ومنفي فانهم ـ انثروبولوجيا ـ من أبناء داود وسليمان ومن نسل اسرائيل القدماء ! .. لقد سخرت الصهيونية من حقائق التاريخ وحدثتنا أن بني اسرائيل جنس واحد له مقومات الاجناس الاخرى ، وهزأت من التاريخ نفسه الذي يؤكد أن بني اسرائيل أنفسهم كانوا وافدين على أرض فلسطين قديما . ان الارض المذكورة كانت مأهولة بسكان من العموريين والكنعانيين والعرب والفلسطينيين ، وانهم خرجوا منها قبل ألفي سنة ، وان فلسطين لم تخلص لهم لا سكنا ولا حكما ! » .

ولنقف الآن عند هذا الحد لكي نقابله مع ما جاء في مقالة الدكتور عبد الله عبد الدائم ، خشية أن يطول ما ننقله من مقالة الكاتب ، فيثقل على القارىء ويخف التركيز لديه . يقول الدكتور : « لنعد قليلا الى الوراء : حركة صهيونية منقوصة ، مختلفة الاصول . أرادت بالدأب على ممارسة الكذب وتسليحه بالفكر والذكاء ، أن تخلق قومية موهومة « أسطورة » قومية ، على غرار ما أراد المفكر النازي « روزنبرغ » . زيفت كل شيء : حقائق التاريخ ، وأقوال التوراة ، وأهداف الديانة اليهودية ، لتخلق في عقول اليهود وهما يشتد ويتزايد ويصدق نفسه ، وهم الشعب اليهودي الموحد ، المنتسب الى أصل واحد ودين واحد ، والجدير بتكوين أمة واحدة وكيان سياسي واحد. لجأت الى التاريخ ، لتحمله ما لا يحتمل ، ولتتقول عليه ، زاعمة أن لها حقوقا تاريخية في فلسطين ، مدعية أن يهود العالم المبثوثين في أرجاء الارض هم من سلالة أبناء داود وسليمان ومن نسل بني اسرائيل القدماء . لم تأبه لحقائق التاريخ ، تحدثنا عن أن بني اسرائيل القدماء طرأوا على فلسطين وهي مأهولة بسكانها الكنعانيين العرب والعموريين والفلسطينيين ، وأنهم خرجوا منها قبل ألفي سنة ، وأن فلسطين لم تخلص لهم لا سكنا ولا حكما قط حتى في أزهر أيامهم .. » .

ثم ان الكاتب ادعى العلم بالتاريخ ، وراح يسجل بعض تاريخ فلسطين القديم ، منقولا عن مقالة الدكتور التي أشار علينا فيها ، بالاخص ، بمطالعة « تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم » لمحمد عزة دروزة . حسنا ، فلنقارن بين النصين ، نص الكاتب أولا ، ونص الدكتور ثانيا .

يقول الكاتب : « ولقد أتى اليهود القدامى الى فلسطين غزاة فاحتلوا بعض أجزائها ردحا من الزمن ثم طردوا كما يطرد أي غاصب وظلت فلسطين كنعانية عربية حتى عام ١٠٠٠ قبل الميلاد ، وان دولة اليهود لم تعمر غير أربعة قرون كانت تزخر بالاضطرابات والحروب الداخلية والخارجية . ولقد تعرضت فلسطين لغزوات أخرى غير غزوات اليهود .. غزاها الفرس عام ٥٣٩ ق.م وألحقوها بدولة الفرس مدة قرنين كاملين ، ثم غزاها الاسكندر المقدوني عام ٣٢٢ ق.م وألحقها بدولة الاغريق ، وبعدئذ غزاها العرب الانباط سنة ٩٠ قبل الميلاد وظلت تابعة لعاصمتهم البتراء حتى احتلها الرومان !

« والصهيونية تجاهلت كل هذه الحقائق وفوق ذلك تجاهلت أن العرب حرروها من الرومان عام ٦٣٦ م فطبعت كلية بالطابع العربي الخالص لغة وقوما وعالما فتعرب السكان الذين هم من أصول عربية قديمة كنعانية أو من سلالة عرب البتراء والمهاجرين من الصحراء العربية !.. أما مسألة الاسطورة الصهيونية ( شعب الله المختار والموعد ) فهي من خلق « هرتزل » و « وايزمن » وغيرهما من أقطاب الفكرة الصهيونية التي أضافت الىاقناع اليهود « بالحقوق التاريخية» التعصب الى العنصرية اليهودية ، رغم بطلانها بنظر العلم والتاريخ.. لقد صوروا لليهودي أن جميع يهود العالم ينحدرون من أصول اسرائيلية قديمة نبتت ذات يوم في أرض فلسطين . ومع بطلان العنصرية في عالمنا المعاصر كنظرية وواقع الا أنها تمارس بمسميات

جديدة .. » والآن ، لنقرأ ما كتبه الدكتور عبد الله عبد الدائم في هذا الشأن ، ولنقابله مع ما أوردناه عن الكاتب جميل المناف .

بعد أن يخبرنا الدكتور بأن « فلسطين لم تخلص لليهود لا سكنا ولا حكما قط » يتابع بأنهم « كانوا لها غازين ، يحتلون بعض أجزائها ردحا من الزمن ثم يطردون منها خاسرين » وأن الصهيونية « تجاهلت أن فلسطين ظلت كنعانية عربية حتى عام ١٠٠٠ ق.م ، وأن دولة اليهود التي أرادت أن تحتل فلسطين لم تعمر الا أربعة قرون ( ١٠٠٠ – ٥٨٦ ق.م ) حافلة بالاضطرابات والحروب الداخلية والخارجية ، وأن غزوات أخرى غير غزوات اليهود مرت بفلسطين ، اذ غزاها الفرس الايرانيون ( عام ٥٣٩ ق.م ) والحقوها بدولتهم خلال قرنين ، وغزاها الاسكندر المقدوني ( عام ٣٣٢ ق.م ) واتبعها لدولة الاغريق ، وغزاها العرب الانباط ( عام ٩٠ ق.م ) وظلت تابعة لعاصمتهم البتراء حتى احتلها الرومان . وتجاهلت فوق هذا وقبل هذا أن العرب المسلمين حرروها من حكم الرومان ( عام ٦٣٦ م ) وطبعوها نهائيا بالطابع العربي الخالص لغة وديانة فتعرب سكانها الاصليون ، وهم من سلالات الكنعانيين العرب أو من غزاة المهاجرين والغزاة المندمجين فيهم،ودانوا بالاسلام ، وظلت فلسطين عربية خالصة لغة وديانة ، حتى عام ١٩١٨ حين احتلها الانجليز . »

ويستطرد الدكتور قائلا بأن الصهيونية قد « أضافت الى تحريف التاريخ وخرافة التاريخ ، خرافة العنصر اليهودي ، فلجأ « هرتسل » و « وايزمن » وغيرهما من مؤسسي الصهيونية الى اقناع اليهود بالعنصرية اليهودية ، رغم ايمانهم الكامل ببطلانها فينظر العلم والتاريخ. لقد زينوا لليهود أن يهودي اليوم ينحدر من أولئك اليهود الاقدمين الذين سكنوا الارض المقدسة يوما من الايام، وتناسوا أن النظرية العرقية العنصرية نظرية باطلة من أساسها .. » الى آخر ما هنالك من سرقات واضحة فاضحة ! .

ومهما يكن الامر في تسجيل حوادث التاريخ المقطوع بها ، فانه ليس عفو الخاطر ولا من قبيل توارد الافكار ، أن يقع كل هذا التقابل، وأن يأتي كثير من التعابير بنصها من لدن كاتبين . هذا اذا لم تغب عن أذهاننا ، المقاطع المسروقة بحذافيرها ، والتنسيق الواحد بين المقالتين . وفوق هذا ، فان الكاتب لم يشر ولو مجرد اشارة الى مقالة الدكتور عبد الله عبد الدائم . وكان منه ذلك – فيما أعتقد – تعمدا، قصد طمس حقيقة المقالة « الاصل » ونشر الاخرى المسروقة . ثم أنه لم يشر حتى لكتاب تاريخي واحد . ولعله لم يقرأ هامش الدكتور الذي أشار علينا فيه بقراءة كتاب محمد عزة دروزة ، خاصة . أو لعله لم ير الكتاب ولم يقرأه . ولنفترض جواز ذلك – على أي حال من الاحوال – في التعرض للتاريخ وايراد خلاصة منه ، ثم لنفترض جدلا وقوع مثل ذلك التماثل ، فهل يجوز على القارىء مثل السرقات السابقة ؟ وأن هذه الخلاصة التاريخية بعيدة عن تلك السرقة ، بدعوى أنها حوادث سجلها التاريخ ولا يختلف عليها اثنان ؟ .. وهل ينطلي على القارىء أن يحدث هذا التطابق بين اثنين تختلف ظروف كتابتهما، زمانا ومكانا ، ومهما كانا متقاربين في وجهتي نظريهما ؟! . ولنفترض جواز ذلك كله ، أيعقل أن يكون منهما هذه الوحدة في كتابة النص الواحد ، في القول التالي ( والكلام هنا للدكتور ) : ان معظم الفئة القليلة المستضعفة التي بقيت من اليهود بعد ضربة الرومان في القرنين الاول والثاني بعد الميلاد أعتنقت المسيحية واندمجت مع السكان الآخرين ثم اندمجت في الاسلام والعروبة ، وأن معظم الذين تشتتوا في أنحاء سوريا ومصر وشمال افريقيا واستطاعوا أن ينجوا من المذابح في عهد الرومان اعتنقوا الاسلام واندمجوا في الاسلام والعروبة ،وأن الذين بقوا على يهوديتهم بين الاقوام الاخرى في آسيا وافريقيا واوروبا اختلطت دماؤهم بدماء هذه الاقوام » .

أما الكاتب السيد جميل فانه يقول : « .. وان معظم القلة المستضعفة من اليهود القدماء التي بقيت في فلسطين بعد الغزو الروماني في القرنين الاول والثاني بعد الميلاد اعتنقت المسيحية واندمجت مع السكان بعد الفتح العربي .. أما أبناء الشتات فقد اندمجوا بالسكان الاصليين ... لقد نجا اليهود من اضطهاد الرومان عندما تشتتوا الى سوريا ومصر وشمال افريقيا بفضل حالة السلم التي وفرها العرب لهم .. الخ .. » حتى يصل الى أن « اليهود في آسيا امتصوا وأذيبوا وتمثلتهم الاجناس الاصلية .. بينما اتخذت كتل كبيرة من أصل آري في أوروبا ، اليهودية دينا .. » وهذا نفس كلام الدكتور : « بل تناسوا – أي الصهاينة – فوق هذا أن كتلا من أصل آري في آسيا واوروبا اتخذت اليهودية دينا .. » .

ومثيل هذا التطابق نجده في قول الكاتب : « لقد كانت مهمة الصهيونية هي مهمة خلق تاريخ على غرار أغراضها ، وقومية على شاكلة أهدافها ، ودين يخدم مآربها الاستغلالية والامبريالية لتجعل من هذا أداة لتحقيق كيان سياسي .. » ويأتي الواقع نفسه ليؤكد من قبل وجود اسرائيل وليكذب الاسطورة الصهيونية التي تمضي بزيفها متسلحة أكثر فاكثر بطاقاته وامكاناته .. لقد أعلن « هرتزل » ذاته عام ١٩٠٣ وهو الصهيوني الاول وصاحب كتاب « الدولة اليهودية » ... أنه يود أن يكون وطن اسرائيل القومي في أوغندة أو في اوستراليا أو في احدى الولايات الاميركية . ولقد عارضه « وايزمن » وصهيونيو روسيا بخاصة وبعض أعضاء المنظمة الصهيونية . أما البعض الآخر فكانوا يؤيدون اقتراحه . وهذا الامر يقوم دليلا قاطعا من الصهاينة أنفسهم على أن خلق كيان سياسي لاسرائيل في فلسطين مبني على الزيف .. » وقول الدكتور « لقد كانت مهمة الصهيونية خلق تاريخ على غرار أغراضها ، وقومية على شاكلة أهدافها ، ودين يخدم مآربها اللادينية ، لتجعل من هذا أداة لتحقيق كيان سياسي لها . » وقوله أيضا : « ويأتي الواقع قبل خلق اسرائيل وبعد خلق اسرائيل، ليكذب المزاعم ، ليفضح الزيف ، ولكن الزيف يمضي في جولته ويتسلح لها بزيف أكبر فأكبر : لقد أعلن « هرتسل » نفسه عام ١٩٠٣ ، وهو منشىء الصهيونية الاول ، وصاحب كتاب « الدولة اليهودية » أنه يؤيد الاقتراح البريطاني الذي تقدم به وزير المستعمرات جوزف تشمبرلين والقاضي بانشاء وطن قومي في مقاطعة «أوغندة» الافريقية. وعارضه في ذلك يومها « وايزمن » وصهيونيو روسيا خاصة، وانقسم أعضاء المنظمة الصهيونية أمامه شيعتين ، شيعة مؤيدة وشيعة معارضة، أفلا يقوم هذا دليلا قاطعا على أن مسألة الصهيونية مسألة خلق أي كيان سياسي لليهود .. ؟ .. » ويستطرد الدكتور في قوله : « غير ان الزيف تابع جولته ، وأراد أن يوهم اليهود والرأي العام العالمي أن القضية قضية تاريخ ودين وشعب وعودة .. » وأن « اسرائيل التي

حاولت الصهيونية خلقها باسم يهود العالم وبمساعدة يهود العالم تلقى عنتا وأي عنت في تهجير يهود العالم اليها ! » ليأتي عليه الكاتب المناف فيضعه هكذا : « ومع ذلك تابعت الاسطورة الصهيونية توكيد نفسها عن طريق ايهام اليهود والرأي العام العالمي أن المسألة هي مسألة شعب ( !! ) له حقوق تاريخية ولغة مشتركة وموطن وأرض واقتصاد موحد ، الا أنها رغم ذلك ، رغم النفوذ الواسع الذي تتمتع به في الغرب ، رغم قدراتها المالية وسيطرتها على الصحف والاعلام ومؤسسات النشر والتأليف ، تلاقي عنتا وأي عنت في تهجير اليهود الى فلسطين .. » .

وبخصوص التجميع اليهودي في فلسطين وأخلاطهم المجلوبة من شتى أنحاء الارض ، فان الكاتب يقول :

« .. أما اليهود الشرقيون الذين يشكلون الاغلبية ، فهم في الغالب من العامة وصغار الباعة والعمال الصناعيين والزراعيين .. يهود الشرق الذين تدفقوا من العراق واليمن وشمال افريقيا وسورية ولبنان يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية • بل ان الدولة تمارس ضدهم تمييزاً عنصريا .. و .. ان يهود الشرق قد تظاهروا أكثر من مرة وقاموا بانتفاضات مثلما حدث عام ١٩٥١ » .

بينما نقرأ للدكتور قوله : « واليهود الشرقيون يؤلفون حوالي ٤٥ بالمائة من مجموع السكان في اسرائيل ، وجميعهم تدفقوا من العراق واليمن وشمالي أفريقية وسورية ولبنان ... وهؤلاء اليهود الشرقيون جميعهم يلقون خسفا في المعاملة وتمارس الدولة ضدهم تدابير عنصرية. حتى أنهم اضطروا في تموز عام ١٩٥١ الى القيام بتظاهرة كبرى في تل أبيب احتجاجا على سياسة التمييز العنصري والمفرقة ! » .

وأعترف أنه ليس بمستطاعي أن أنقل كل ما ارتكبه الكاتب جميل المناف في حق الدكتور عبد الله عبد الدائم ، أولا ، وفي حق الامانة العلمية ثانيا ، وفي حق القراء جميعا ، ثالثا .

واذا شئت أن أوفي الموضوع حقه ، في أن أبرز ما سرقه الكاتب وسطا عليه من مقالة الدكتور ، فانه يقتضيني أن استنسخ المقالتين ( أو بالاحرى المقالة الواحدة بصورتيها ) معا لاضعهما أمام أنظار القراء. وهذا الامر ليس فقط يستغرق وقتا مني وأنا في هذه العجالة ، بل يستغرق كثيرا من صفحات المجلة ، خاصة وأن مقالة الدكتور تقع في نحو تسع عشرة صفحة أغلبها الاعم مطبوع بالحرف الدقيق ( الناعم ).



ولكني أؤكد لمن لم تسعفه الفرصة في الاطلاع على مقالة الدكتور ، أن هناك نصوصا كثيرة - غير التي أوردنا - مبثوثة هنا وهناك من صفحات مقالة الكاتب جميل المناف ، مثل قوله في اسرائيل « أمسكت البندقية بيد والمعول باليد الاخرى .. » وقوله عن « الوحدة العربية : التي يجب أن تقوم كرد طبيعي على تحديات اسرائيل والاستعمار العالمي بقيادة الولايات المتحدة الاميركية •• لا تقوم تهيئة منظمة لها .. بل لا يقوم عمل واع من أجلها وخطوات تدريجية نحوها ، ولا يلعب الفكر الاشتراكي دورا رئيسيا في بنائها .. بل غالبا ما تسفل الى سوف المساومة والمناقصة ، وتتردى الى الشعارات الديماغوجية والتضليل السياسي .. » .

وكذلك قوله : « وبداهة فان الوطن العربي تجاوز مرحلة الدعوة الى الوحدة وهو الآن في طور الاعداد لها .. الخ.. » وأيضا قوله في « التخلف العلمي والتكنولوجي » لدى الاقطار العربية ، وتعرضه لما توفر عليه الصهاينة : « لقد يسرت لاسرائيل خبرة علمية هائلة وأموال طائلة ، ولا يمكن للحقيقة العربية التي تصارع الاسطورة الصهيونية وتحديات الامبريالية الا بتعبئة سريعة ومنظمة وعلمية للطاقات البشرية العربية الخبيرة والفنية والسياسية .. » .

كل هذه الفقرات وغيرها ، مما لم ندونه هنا ونقتطعه من المقالة المنسوبة الى الكاتب جميل المناف ، موجودة في مقالة الدكتور عبدالله عبد الدائم ان لم تكن بالنص ، فببعض النصوص وذات التعابير ، مع الابقاء على المعنى نفسه ضمن التسلسل الذي سلكه الدكتور في مقالته.

وبعد هذا ، لا بد من كلمة نسجلها بصدد المقالة الواحدة التي نشرت على صورتين ، فنقول : ان الدكتور عبد الله عبد الدائم كان قد عالج القضية العربية الفلسطينية معالجة علمية ، موضوعية ، اظهرنا فيها على « الحقيقة » بجمع ما لديها من امكانيات التحرك والعمل،وبكل ما فيها من مرارة وقسوة وشذوذ ، ارادة أن يعرفنا بالطريق ، أو بشيء من معالمه ، على الاقل . وقد كان الدكتور موفقا . كما كانت مقالته بحق جديرة بأن تهتم بها الحكومات العربية الثورية والحركات الثورية معا • ومرد ذلك - في تصوري - الى أنها جاءت من أحاسيس متحرقة باخلاص ، متحفزة بادراك ، فضلا عن أنها صدرت عن رجل تربية وبحث معروف . كما أنها جديرة باهتمام الدكتور وغير الدكتور ، بأن تكون أساس دراسة وبحث أشمل وأعمق ، خاصة في الظروف الحالية .

وقارىء المقالة بامعان ، فضلا عن أنه يخرج بصورة متكاملة لقضيتنا التاريخية ، فانه يخلص في الوقت نفسه الى أن ما كتبه جميل المناف، ليس أكثر من تشويه لتلك الصورة ، وافساد لهذه المقالة ، زيادة على الاستهزاء بالعلم والفكر ، والقراء ، حيث ادعى ما ليس له فيه شيء، ولو كان يملك شيئا لما لجأ الى ما لجأ اليه من سطو وسرقة . بل لقد كان حريا به - وهو يزعم أنه يبحث في معركة الصمود العظيم ، وتحدي بقائنا - ان يحبس نفسه في ركن من منزله أو غير منزله ، ويجعل يحرقها ويحرقها فيما يفور الى أعماق القضية العربية الفلسطينية ويخوض غمارها ويدور في جوانب التحدي البشع الشرس للانسان العربي خاصة والانسانية جمعاء ، ابتغاء أن يخلص بموضوع مهما كان له من الصحة والتأثير ، فانه لن يعدم القيمة الحقيقية له ، هذه القيمة الخالصة النابعة من الصدق والاخلاص ومن الروح الامينة في المعالجة ، وليقتبس بعد ذلك ما شاء أن يقتبس ومن أي كاتب كان ، شريطة أن يشير اليه وبأية كيفية كانت !

أما أن يلجأ الى الادعاء الباطل والتعالم الزائف ، وفي موضوع على غاية الاهمية في حياتنا ، بل هو حياتنا ذاتها ، فأمر لا يمكن السكوت عليه مطلقا .

وأخيرا أرجو أن يطلع القراء على هذه الكلمة وأن يجيبنا الكاتب جميل المناف بشيء .

بغداد هادي الطعمة

# اليسار العربي بين الزيف والاصالة

بقلم : عزيز السيد جاسم

لعل من اغرب ما يسجله القاموس السياسي حقيقة غموض اليسار العربي . وما هذا بالظن ولا بالمبالغة بل انه امر مستقرأ نتيجة المعطيات الايدلوجية الفعلية المعاشة فـي واقعنا العربي المعاصر . ان اليسار العربي غير متبلور حتى الان وهو في محاولته الجادة للتكشف وبفعـل ضغط الظروف القسرية المفروضة من الخارج والمؤيدة من الداخل يجب ان يتلافى أشكالا عديدة وتواجدات متنافرة تدعي اليسارية ، فـي حين انها وحدها المسؤولة عن اضطراب اليسار وتعثره اللامبدئي .

واول هذه الاشكال ( اليسار الاكاديمي ) . ما الذي نعنيه باليسار الاكاديمي وما ظروف نشوئه وعزلته ؟ وهل هو يسار حقيقي أم أنـه تزييف مقصود ؟ الواقع ان اليسار الاكاديمي هو يسار المثقفين الذين يمتلكون قابلية التنظير الايدلوجي وجدارة التحليل لكثير مـن المواقف والمسائل السياسية . وهؤلاء المثقفون يخضعون علـى الاغلب – وليس عموما – لانانية شبه طبقية وهم ومهما تكن اعتناقاتهم اشتراكية يعيشون ضمن اهتماماتهم البرجوازية التي لا يستطيعون التخلي عنها الا بعـد عنت . والمثقف العربي تقريبا وليس حصرا يمثل بؤسا غريبا لكونـه يرسم خطا بيانيا للانشطار الواضح بين المذهبية وبين المعايشة ، فهو مثلا يتكلم عن أعوص المسائل الثورية وعـن حرب العصابات وعـن الستراتيجية الثورية والتكتيك الناجح ، لكنه لا يتعدى في كل ذلـك المجال النظري ، وعمليا يمارس حياة ارستقراطية وتطلعا شبـه رسمي لاستحصال مكانة جديدة مميزة . لفترة معينة نخال انفسنا وكان مثقفينا هم افضل من قدم بحوثا فكرية نشطـة واسهامات ايدلوجية مطورة ، ولكننا مع ذلك نفجع بهبوط مستوى اليسار الـى مـا دون المفروض والاعتيادي . وهذه الظاهرة امدت المثقف ولاحيـان كثيـرة بوضعيات ازدواجية ونزعات تبريرية تجنح يمينا تارة ويسارا اخرى من اجـل ان تفسر وتقدم تعليلات متأخرة تنسحب انعكاساتها على واقعنا السياسي فتمسخه بشكل أهوج . ان عجز المثقف عن ان يكون ثوريا حقيقيا ليس بهذه الدرجة من الخطورة ولكن درجة الخطورة هي فـي تنامي صفـة البيروقراطية وتعاظمها بحيث تتحول سلاحا ارهابيا فتاكا يوجه ضـد اليساريين انفسهم . وظاهرة المثقفين كما يبدو تزخر بها المجتمعات في مرحلة النشوء الثوري ، وقد اوضح ذلـك كظاهرة حتى فـي الصين ( ماوتسي تونغ ) ( أندريه مالرو ) . ولكن الشيء الذي لا يغيب عـن البال ان هؤلاء المثقفين لا يقفون في البدء كقوة معوقة بدرجة او بأخرى في المجتمعات الاشتراكية ، انما يشكلون اعاقة جانبية بعد مرحلة تثبيت السلطة ، اما عن المثقفين العرب فهم وقبل ان تتحقق بعض آمال الشعب العربي في الحرية والاشتراكية يفلسفون اليسار ويزيفونه انى شاءوا . ان المثقف العربي يكون نموذجا لعدم الفعالية لكونه لا ينخرط فعليا في العمل الثوري ، انه يريد ان يقلد صيحة العمل الثوري لكنه لـم يجرؤ على ان يطلق الصيحة فعلا . أي انه يظل حبيس حـدوده البرجوازية دون ان يحطم الطوق التقليدي والاسلوب الشائع والنظرة الموروثة عـن المثقف كمتزن ( عاقل لا يلقي بنفسه الى التهلكة ! ) وطبعا هذا لا يعنـي انعدام وجود المثقفين الحقيقيين الذين دافعوا عن شعاراتهم بنكران ذات واخلاص متناه ، لكن قلتهم وعدم توفر شروط العمل الثوري الحقيقـي جعلهم في حالة من السلبية القصوى ، السلبية المفروضة عليهم .

ان اليسار الاكاديمي هذا ينبعث لا بفعل شروط وجود حقيقي بل انه ينبعث بفعل امكانيات ممنوحة من الاعلى ، لذلك فهو ليس جوابـا طبيعيا لاحتدامات اجتماعية قائمة ، ولكونه هكذا ليس وليـدا حقيقيا فهو لا يمتلك سوى خاصية الوصف والتحليلات السطحية والتناقضات في فهم المرحلة وطريقة التجاوز . وغالبا ما ينخرط قادة هذا الفكـر الاكاديمي فـي اقتباسات غريبة ومتنوعة تجمع اشتاتا مـن الماركسية والبرودونية والسان سيمونية والمالثوسية والعقلية الدينية والتفسيرات المثالية من أجل اخفاء جوهرهم الضحل واصطيـاد المناسبات لاقامة مناهج احتفالية جاهزة ، في حين انهم يصطفون في الخطوط الخلفيـة اصلا . ومن مظاهر عقلية الاكاديميين في واقعنا ظهور شروحات غريبـة توهم القراء بأنها مدعومة بنظرية ثورية صادقة ، فهـي تعـزل المقولة الثورية عن واقعها الحي والذي اوجدها ومن ثم تنسبها بشكل فـج واضطهادي الى حادثة تختلف تمام الاختلاف عن الحادثة الحقيقية التي ولدت المقولة تاريخيا . كأن تفسر ( الخطوة الى الوراء ) تفسيرا دجالا يدعو الى تقديم تنازلات عديدة وعدم تشبث بأي موقـع . او كأن تفسر نظرية ( اخضاع التناقضات الثانوية للتناقض الرئيسي ) بأهمية ( تأجيل الصراع الطبقي ) لخدمة الصراع بين ( كل الامة ) وبين ( اليهود ) .

ان هذا اليسار الاكاديمي يتطرف حينا ويتراجع حينا آخـر وهو يجعل من تجربة شعبنا العربي مقاسا يطبق عليه حساباته الخاصة فكأن حساباته هي اعتقاد مطلق خلقت كل الوقائع لاثباته وتأييده ! وهـذا اليسار يستغل الامكانيات المعطاة له فيسخر الصحف والمجلات والندوات لتقديم برامج مضللة وتحليلات ديماغوغيـة مضببة . وهـذا اليسار ينفضح في المواجهات الثورية الكبرى فيضطر آن ينزوي ململما اذيـال معلوماته المغرضة والمقطوعة الجذر . وحيث أن شعبنـا العربي يتهيـأ لاقصى درجات الشجاعة والضبط والتسلح الثوري لتحقيق وجـوده الكامل والحر والمشروع ، ولكونه يدخل معركة ضارية ومصيرية ضـد غزاة فاشست وعدوانيين مسلحين بكل ما يهيء لهم مجالات عدوان اكثر فاننا يجب أن لا نسمح لاولئك اليساريين الاكاديميين ان يكونوا أساطين الفكر الثوري ومنظريه . ان اقل ما يشترط في اليساري هو ان يمتلك استعدادا كليا للتضحية من اجل شعبه ووطنه ، وهو يستطيع فقط ان يتكلم عن ذلك لكنه يتصعق امام الامتحان . ان القدرة الفدائية هـي الوحيدة التي تعري الاكاديميين وتفضح الدور الوضيع الذي يلعبونه . واليسارية نفسها ليست عرضا لقضايا الفكر الثوري فحسب ، انهـا عمل ثوري وبدون العمل الثوري لا يتوفر الصدق في النظرات الثورية ، والاكاديمي اذ يتنصل من العمل الثوري انمـا يقـدم مجموعة صفقات مبطنة بشعارات الثورة ولكنها في الحقيقة تريد النيل من تطلع شعبنا العربي الى مستقبله الافضل الذي يصنعه بنفسه .

وهناك الشكل الآخر وهو ( اليسار التقليدي ) ، وهـذا اليسار يمتلك ارثا فكريا على هيئة مقولات معينة ومحدودة تستعمل فـي كل الحالات وبشكل دوغمائي حاد . وهو وبهذه الوضعية يحـول الفكـر الاشتراكي الى فكر متكلس يستعمل على هيئة بطاقات وصفية تصـر على عدم فهمها للظروف الذاتية والموضوعية للحدث المعين لذلك فهو من خلال هذه العقلية يمثل بيروقراطية صارمة وعدم مرونة في التعامل مع

الاطراف المتفقة في شعار مرحلي معين . وهذا اليسار يمتاز بانغلاقه امام كل التأثيرات الجديدة في عالم الفكر الحر والاشتراكية على اساس اعتقاده الجازم بلاشيئية او تفاهة ما هو خارج عنه وهو في نفس الوقت يعقد ظروف العمل الجبهوي ويميل الى فرض شروط قاسية يمليها بحيث تكون شروطه هذه في الدرجة الاولى وتفوق في الحساسية والاهمية الغاية التي يتحتم نحوها العمل الائتلافي الثوري. واليسار التقليدي نفسه يعتبر شكلا برجوازيا آمريا يتمسك بشعارات يسارية نظريا في حين انه ينسف ومن الداخل كل النوى التكوينية للبناء اليساري فهو :

و ( اولا ) قليل ان لم يكن منعدم الثقة بالقوى السياسية اليسارية او الديمقراطية او الوطنية التي من الممكن شل الاجنحة اليمينية فيها وعزلها لضمان دفع اليسار المبتدىء فيها الى اليسار الحقيقي . ومن هذا الاساس ( فقدان الثقة ) تنزرع الغام تمزق العمل الوطني ككل والذي يشكل مبدئيا الموضوع الحيوي بالنسبة للجميع .

و ( ثانيا ) واذ تحتدم الخلافات بين الاطراف المعنية بين الاتهام والرد على الاتهام باتهامات اشد واكثر اسفافا يتغير طابع المعركة فيكون اقتتالا شعبيا داخليا بدل ان يكون توحيدا داخليا ضد الامبرياليين واعداء الشعب . واذ يتحول التناقض الرئيسي والخطر الى الخطوط الخلفية محتفظا بوجوده كتناقض رئيسي لفظيا فحسب ، وفي نفس الوقت يتم ابراز وتهويل التناقضات الثانوية وتتحول الى تناقض رئيسي حاد ، يلعب اليسار التقليدي دورا تدميريا هائلا .

و ( ثالثا ) يتكىء هذا اليسار التقليدي الى يقين رياضي بأبوته ومسؤوليته التي ينفرد بها كصاحب الحق الوحيد في مسائل التكتيك والستراتيجية الثورية وقضايا البرمجة والمنهجة النظرية . وحيث ينعزل عمليا لاتباعه اساليب متخلفة او منحرفه ، يكسبه اصراره على الاولوية سخرية واحتقار اغلب اليساريين . وان الوضع البيروقراطي الذي يغرق فيه التقليديون ينقلهم الى الجانب الآخر حيث يتمسكون بحق الهي مرفوض أصلا وحيث يئدون بانفسهم مقولات الثورة والاشتراكية التي يترنمون بها .

و ( رابعا ) ان اليسار التقليدي في اغلب المواقف يقدم وجهات نظر مستنسخة ومنقولة عن قوى يسارية تخرج عن منطقتها جغرافيا دون اي فهم صادق وجدي لطبيعة التشابكات والتناقضات ودرجة تفاقمها في موطنه . ان هذا الاستنساخ غير مبرر ابدا وهو يعد خرقا فاضحا لابسط مفاهيم اليسار الحقيقية .

و ( خامسا ) ان نصية اليسار التقليدي تتضح عبر شكلين الاول النصية الايدلوجية حيث ان الذخيرة الفكرية الوحيدة عنده هي المعطيات المنقولة والمبتورة ( بعزلها عن واقعها الاصلي ) والتي تحرف وتشوه الفكر اليساري لانها تحوله من فكر عالمي ثوري خلاق وكمرشد عملي الى تسطيرات مقولبة بتقديس كنسي ، وتزيفه بتحويله من ثورة حقيقية دائمة الى مجرد طقوس . وهناك النصية الثانية والاكثر خطورة وهي نصية تجريبية يفرضها اليسار هو فقط ، اي انه يحتكم الى تجاربه على اساس انها التجارب الوحيدة التي لم تخطىء والتي تؤخذ منها الدلالات .

و ( سادسا ) ان هذا اليسار لا يغير في وسائله النضالية ابدا وهو يحافظ على انماط ثابتة في العمل السياسي والثوري دون اي اعتبار للتبدلات التي تعتري العالم وتستجد من حين لآخر . وحيث يقابل دعاته العالم المتجدد باستمرار باسلوب تقليدي قديم فهم يتحولون مباشرة او بشكل غير مباشر الى معوق يعترض نمو وتعاظم الحركة الثورية . ان هذا اليسار التقليدي اذن يشكل فشلا مرا واليه تنسب كثير من الانتكاسات التي منيت بها الحركات التحررية العظمى . وهو

يصدر من وقت لآخر نوعيات غريبة يمينية او يسارية ، متطرفة او معتدلة تخلق ارباكا للوعي السياسي الثوري الجيد .

وغالبا ما يكون هذا اليسار التقليدي منظما تنظيما حزبيا . وفي واقعنا العربي نستطيع ان نرصد حركته منذ الاربعينات حتى الستينات فنجده لا يمتلك اية مبادرة ثورية تحويلية ناجحة في حين انه يتحدث وكأن بيده خيوط كل التحركات والاحداث السياسية . والشد ما يشبه احيانا طائفة دينية تتقوقع في حجر مذهبي جامد وتتآكل دون ان تفعل شيئا للحركة العربية ولا حتى لنفسها .

وهناك شكل من اشكال اليسار هو ( اليسار الظرفي ) وهذا اليسار وقتي وطارىء على اعتبار انه يسار انفعالي فجرته ذروة الاحتدامات المصيرية . وهذا يفتقر الى شيئين : ( اولا ) الخلفية الايدلوجية حيث انه لا يمتلك وعيا ثوريا اكيدا ، اذ لا يغيب عن الرؤية ان الوعي الثوري ليس وعيا استهلاكيا ولا ترخيصا سياسيا انه امتداد وعمق واحاطة . وله جذور تضرب في المسافات البعيدة . و ( ثانيا ) القدرة النضالية . وهذه القدرة طاقة متجددة جريئة لا ينضب معينها في التضحية والاخلاص والصراع . ان اليسار الظرفي يفتقد هذين الشيئين فهو سطحي انتقالي سريع . وسواء أكان ظهورا مفاجئا غير مصدوم سرعان ما يختفي تحت وطأة الريح او نزوة مغامرة لا يمكن بأي حال اعتبارها موقفا ثوريا ، يظل اليسار الظرفي هامشيا تماما . وخطر اليسار الظرفي يتمثل في ابعاده اليسار الحقيقي عن الميدان لانه يتكلم بنفس حججه تدعمه في ذلك امكانيات ممنوحة . فمثلا ان قوة سياسية لم تتكلم عن فكر او منهاج يساري ابدا وبفعل تأثير انتكاسة حزيران شرعت في تقديم تحليلات واستنتاجات يسارية ، ولتوفر كل المجال لها نسبت لنفسها انها القوة اليسارية المخلصة ولم تقدم اي دليل على حرصها على توحيد قوى اليسار . هل نقول عن هذه القوة المفترضة بانها يسار حقيقي ؟ طبعا لا ، انها تمثل يسارا ظرفيا الا اذا قدمت أدلة عديدة توضح تجديد هويتها .

الخلاصة اننا نستطيع ان ندرك جيدا هذه اللوينات جميعا ، فاليساري الاكاديمي يتحفنا بالتحليلات عشرين عاما أو أكثر تحت حماية السلطة - أي سلطة - ودون ان يذوق شيئا من ألم المعاناة ولم يعلن استعدادا تطوعيا في خدمة الحركة الثورية العربية . واليساري التقليدي يقبع في حدود تنظيمات خلوية معاقرا أدبياته بشكل نرجسي ساخط دوما مهدد دوما وغير منفتح او متطور . واليساري الظرفي يظهر في المناسبة لانها عرسه وان كانت مأتما .

ولاجل ان يتلمس اليسار طريقه الحقيقي ينبغي ان يدخل في معركة فضح وازاحة ضد كل الاشكال التزييفية والانشقاقية والتحريفية، وهذا لا يكون أبدا الا عن طريق ضمان اصالة لا شك فيها . ان اليساري الحقيقي يمتاز بجملة صفات وقابليات توفر له سمعة ثورية جيدة :

( اولا ) اليساري الحقيقي له ثقة مطلقة بالجماهير وبمكانتها ودورها التاريخي ، والجماهير بالنسبة له الغاية والوسيلة . وبهذا يحقق ارتباطا كاملا بها ويرجع لها من حين لحين في كثير من مسائل النقد والاستفتاء . اليساري لا يتكلم عن الجماهير في حين انه يستهين بطاقاتها بل ان ثقته بها لا حد لها ولا تقف ضمن حدود . ان عزلة الثوريين عن الجماهير هي السبب في فشل التزام الجماهير للقضايا الثورية التي ينادون بها . الجماهير اكبر من أي حزب او تنظيم او مسؤول أو سلطة . ومن هذا الاساس ينطلق اليساري .

( ثانيا ) اليساري يسترشد بآيدلوجية ثورية جدلية يستطيع من خلالها تحصيل رؤية كاشفة ويستطيع وضع الستراتيجية وتبديل التاكتيكات الثورية ورفع الشعارات التي تلخص مصالح وغايات الشعب الآنية أو المرحلية او العامة . واليساري يمتلك خلفية فكرية خصبة

تمنحه استعدادا فلسفيا وسياسيا وادبيا يكفل المعاصرة الحقيقية الهادفة . وهو بذلك عدو لكافة اشكال العسف والاضطهاد والتعصب .

( ثالثا ) اليساري ينمي اخلاقية ثورية توطد مكانة الثوريين وتعزز من علاقتهم بالجماهير وثقة الجماهير بهم . فهو عدو للانهزامية والوصولية والانتهازية والتهريجية .

( رابعا ) اليساري ليس نصيا ولا تجريبيا ولكنه في نفس الوقت لا يستغني عن النصوص والتجارب ويعتبر كل الثقافات ارثا انسانيا ضخما يجب تطوير جوانبه الايجابية والاخذ بها . واغناء الفكر اليساري بكل المحصلات العلمية والانسانية الرائعة وملاءمتها وتوحيدها مع التجارب الانسانية هو من مهمات اليساريين الاساسية .

( خامسا ) ان شعار اليساريين في ضرورة تكوين مجتمع عربي اشتراكي موحد يدفعهم الى اتخاذ موقف تعاوني تضامني ايجابي مسؤول ازاء كل الوطنيين والتقدميين مهما كانت درجات وعيهم ورؤيتهم وفي الوقت نفسه يتخذون موقفا شديدا ضد الفصائل والزمر المرتبطة بالامبريالية العالمية وقوى الاستغلال المحلية .

( سادسا ) اليساري لا يلتزم أي انشقاق في المعسكر الاشتراكي ولا يمكن أن يجعل ارتباطاته بالمعسكر الاشتراكي عاطفية أو رسمية أو بوضع عبودي . انه يعتمد على بصيرته الثورية ووعيها لظروف مجتمعنا بالدرجة الاولى مع الاستفادة من خبرات وتجارب الثوريين في العالم كافة . ان التزام الاتحاد السوفياتي أو الصين في خلافهما العقائدي بشكل اندفاعي حماسي ليس دليلا على الوعي اليساري أو الاخلاقية الثورية ان لم يكن تحريفية مقصودة .

( سابعا ) اليساري الحقيقي هو الذي يمارس نشاطا ثوريا متجددا لخدمة قضيتنا العربية ( كالفدائيين العرب الابطال مثلا ) دون أن يتخلى عن دعمه لكل قضايا التحرر والثورة العالمية .

( ثامنا ) اليساري اخصائي في معرفة طبقات المجتمع العربي والفواصل التي تجزىء وجزأت هذا المجتمع ، ويدرك طبيعة ظروفه الذاتية ووضعه العالمي والتحولات الكبرى الخطيرة في العصر ولذا فهو لا يتوانى أبدا عن التضحية بالاجزاء وبالمصالح المؤقتة من اجل الشعار الاكبر ، شعار تحرر الارض العربية وبناء المجتمع العربي الاشتراكي .

ان الندوة الاشتراكية التي عقدت في الجزائر ينبغي أن تعمم كتجربة عظمى وخلاقة تستهدف ايجاد لقاءات بين الاطراف والقوى الثورية ، ومن خلال هذا الطريق يستطيع اليسار الحقيقي ان يتبلور ويزيح كل الاشكال الزائفة والمظهرية ليضمن اصالة حقيقية بناءة .

العراق — **عزيز السيد جاسم**

## الابحاث

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٤ ـ

العالمي ، واتصل الزعماء الصهيونيون بالدول الاستعمارية ، لا كيهود منفصلين عن هذه الدول ، بل تحركوا وهم أبناء ومواطنو هذه الدول الاستعمارية لتحقيق فكرة الدولة اليهودية في فلسطين ، ولم يخفوا علاقاتهم بالاستعمار العالمي ، بل كانت تصريحاتهم دائما أنهم سيكونون في خدمة الدولة التي تحقق أهدافهم ، وبذلك اتصلوا بألمانيا وتركيا وفرنسا وانجلترا وساعدهم أيضا اليهود الاثرياء الموجودون في دول العالم ، وكان هدف الاستعمار واضحا في تبنيه للفكرة الصهيونية ،وما حدث في العالم العربي قبيل الحرب العالمية الاولى وموقف الاستعمار العالمي وتمكينه الصهيونيين من طرد شعب بأسره ـ شعب فلسطين ـ ليجمعوا ويستوطنوا في فلسطين ليس خافيا على احد . فهل بذلك لعبوا بيدق العالمية ؟ ام انهم افراد يعيشون في مجتمعات ودول عديدة التقى الصهيونيون منهم بالنشاط الاستعماري لتنفيذ مؤامرة على شعب فلسطين ؟ ولم ينته الموقف باعلان الدولة المزعومة بل ما زال التأييد وان تبدلت الدول الاستعمارية ، ففي الماضي كانت انجلترا ، ثم قامت بدورها الولايات المتحدة وما زالت للآن تقدم التأييد والمساعدات لاسرائيل . لماذا ؟ ألأن اليهود لعبوا بيدق العالمية ؟ ام أنهم جزء من الاستعمار العالمي ينفذ مخططاته في المنطقة العربية والافريقية ؟

واذا كانت اسرائيل استطاعت أن تكسب معظم الرأي العام الاوروبي والاميركي فلا يرجع هذا الى عالميتها وانما الى دور الاستعمار العالمي بشكل عام والاميركي بشكل خاص والسماح للنشاط الدعائي الصهيوني في التأثير على هذا الرأي العام ، وليس هذا وليد اليوم ، فلنعد الى الوراء الى عام ١٩٤٧ وتحت منبر هيئة الامم لنقلب الصفحات المليئة بالخزي والعار ، يوم أن وافقت الدول على مشروع قرار تقسيم فلسطين ، فهل كسبت الاصوات لصالح التقسيم بسبب عالمية اليهود أم بسبب النشاط الاستعماري وتسلطه ـ حتى على هيئة الامم ـ وفرض ما أراده ، ووثائق هيئة الامم المتحدة مليئة بأحداث رهيبة حدثت منذ يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٤٧ حتى يوم التقسيم في ٢٩ نوفمبر ، فكانت الضغوط وتغيير الوفود وسحبها ما دامت تعارض ما تريده أميركا .

أما القول بأن « العرب لعبوا بيدق العزلة والانزواء وهم الآن أكثر انزواء منهم منذ عشرين عاما » . قول لا تؤكده الحقائق والاحداث. فالعرب خلال العشرين عاما الماضية فتحوا أعينهم على هول مأساة فلسطين ومن أرضها نبتت فكرة الثورات في العالم العربي ، وكان الصدام بين القوى الاستعمارية من جهة والقوى العربية من جهة أخرى من أجل الاستقلال والحرية . أنتهم ان صراعنا مع الاستعمار العالمي وتمسكنا بقوميتنا هو العزلة والانزواء ؟

أكان علينا أن نستسلم للاستعمار البريطاني والاميركي يستغل ثرواتنا ونقلد نمط حياته لنكون عالميين ؟

وهل خروج العرب الى المجال الدولي وعلاقاتهم بالكتلة الاسيوية والافريقية وصداقتهم للدول الاشتراكية والدول المتحررة يعتبر انزواء ؟

ولنر اليوم في وضوح تام ، من الذي يؤيد اسرائيل التي لعبت بيدق العالمية ؟ ومن الذي يؤيد العرب الذين لعبوا بيدق العزلة والانزواء ؟

ان الدول الاستعمارية وما صاحبها من نشاط صهيوني دعائي هي التي تقف وراء اسرائيل وعدوانها . ويقف مع العرب كافة الدول الاشتراكية والمتحررة في العالم ، بل حتى في الدول الاستعمارية نفسها بعض الدوائر التي تدين اسرائيل وتؤيد العرب ، وهذا مفهومنا للعالمية، أي أننا نرتبط ارتباطا وثيقا بالثورة العالمية وليس بالمعسكر الاستعماري مهما كانت قوته وحجمه وامكانياته ، فنحن نصر على معاداته والوقوف ضد مخططاته في بلادنا وفي كل مكان في العالم .

ويقول جاك بيرك : « اننا لم نكن نتصور أن الدعاية الصهيونية قد انتشرت هذا الانتشار الواسع وشملت حتى الجبهة اليسارية في فرنسا . لقد رأينا الذين عرفناهم أنصارا للتحرير في الجزائر وكوبا وسواهما يميلون الى جانب الصهيونية بلا بحث ولا تدقيق ولا تعمق ، منجرفين بموجة لاعقلانية وانطباعات عاطفية . » وقد كنا نود من السيد جاك بيرك ان يوضح لنا هذه الظاهرة وخاصة موقف اليسار الاوروبي من اسرائيل وان كان قد حكم على هذه الموجة باللاعقلانية والعاطفية ، فهذا نفسه يجيب على الفكرة المتعلقة بالعالمية وهل هي أصيلة أم مزيفة أم عاطفية ولاعقلانية ؟

وتفسيرنا لموقف اليسار الاوروبي يرجع لاسباب متعددة ومتشابكة، وبسبب أخطاء تاريخية تراكمت على مر السنين ، وعلى رأس هذه الاسباب انهم ينظرون لليهود على انهم ابناء حضارتهم وثقافتهم واقرب اليهم من هؤلاء العرب ، وبذلك يقعون في موقف التعصب الحضاري والاحساس بتفوق الاوروبي على الشعوب الملونة ، ويحكمهم أيضا الشعور بالذنب تجاه اضطهاد اليهود على أيديهم ويكون التأييد هو التكفير عن الماضي ، أو خوفهم من الاتهام بمعاداة السامية أو تأثير الدعاية الصهيونية وخاصة في مجال النشر والاعلام . بجانب ذلك الجهل بتاريخ الشعوب العربية وحركتها ودور الاستعمار البريطاني والاميركي في المنطقة العربية وخاصة بالنسبة لقضية فلسطين ، مع تصديق الدعاية الاستعمارية والصهيونية من أن هناك مليونين من اليهود يحيط بهم مائة مليون عربي همجي ، بلا حضارة ، يهددون أمنهم وحياتهم بشكل دائم ، ونحن بذلك نسقط الذين يقفون موقف التأييد التام للحركات الاستعمارية في العالم .

وعلى ذلك يطرح السؤال نفسه والذي بدأت به الندوة : ماذا أمام العرب أن يفعلوا ؟

يجيب على ذلك جاك بيرك في أكثر من موضع بقوله : « ان على العرب أن يبينوا قضيتهم لكي يكتسبوا التعاون الاكثر امكانية من قبل الاوطان الاخرى في العالم الثالث من جهة ، وفي اوروبا واميركا اللاتينية من جهة أخرى . »

ثم يقول : « أنا أعتقد أن عليكم أن تقنعوا العالم بأن ادخال الصهيونية الى فلسطين هو ظاهرة استعمارية وامبريالية ، ويوم تتمكنون من اقناع جزء هام من الرأي العام العالمي ، تفقد اسرائيل كل سند لها » .

ونحن لا نرفض أن نوضح قضيتنا للرأي العام العالمي ، ولكن

ليست هذه القضية ، فهناك من القضايا الواضحة ما يعرفها الرأي العام العالمي وأصم أذنيه عنها ولم يكن هو الحاسم في الموقف ، فمن خلال الامم المتحدة وبصمت الرأي العام العالمي حدثت مجازر ومآس وتشريد لشعوب عديدة ولم يوقفها الرأي العام العالمي ، ونحن بذلك لا نقلل من أهمية الرأي العام العالمي ، ولكننا نعرض القضية بصورة أخرى .

فالصراع العربي ضد الصهيونية جزء لا يتجزأ من معركة العرب مع الاستعمار العالمي وخاصة الاستعمار الاميركي ، والقضية لا تنفصل، والرأي العام العالمي دائما منقسم ، كما هو الحال في هذه القضية ، الرأي العام العالمي الذي تسيطر عليه الدول الاستعمارية وأجهزتها ودعاياتها من الصعب كسبه قبل أن يتحرر من السيطرة الاستعمارية والتي تتحكم في مصيره حتى في وطنه . اما الرأي العام العالمي الاشتراكي والتحرري والذي يصر على أن لا يعطل ضميره وعقله فيعرف جيدا أبعاد القضية وتاريخها وتاريخ الاستعمار في العالم وبذلك يقف ضد تصرفات بلاده والبلاد الاستعمارية الاخرى . والحقيقة ان اقناع العالم بأن الصهيونية ظاهرة استعمارية مسالة غريبة ، كأننا نطلب مثلا من برنادوت أن يقنعنا بأن الصهيونيين هم الذين قتلوه ، بدلا من أن نبحث عن القاتل لان هناك جريمة قتل !!

ومع تقديرنا لجميع المشتركين في الندوة وتقديرنا العميق السيد جاك بيرك ، الا اننا نلاحظ ان الندوة لم توضح القضايا التي أثيرت ومرت على معظمها بسرعة وغموض . وما أشد احتياجنا للوضوح ، وما زالت تحتاج القضايا التي أثيرت الى مناقشات مفصلة عن كل فكرة على حدة .

أما مقال السيد عبد اللطيف شرارة عن « حقيقة اسرائيل ومصيرها » فهو بلا شك بحث جيد ويعطي بعض الاجابات عن المشاكل التي أثيرت في الندوة بتتبعه لظاهرة اسرائيل وارتباطها بالاستعمار ، وانها ظاهرة لا تقوم على أساس وبالتالي فهي ستصل الى نهايتها المحتومة ، لانها تحمل عناصر هلاكها في داخلها ، وانها هي التي تدمر نفسها بنفسها ، ومع تقديرنا لهذا البحث الا اننا نختلف مع نتائجه ، لاننا مع تسليمنا بالتناقضات التي في داخل اسرائيل الا ان ذلك عامل مساعد فقط وسيظل كذلك دائما ولا بد من المواجهة بايجابيات عربية لعودة الحق لاصحابه ، ولان اسرائيل ستظل قضية صراع بين العرب من جانب والاستعمار العالمي والصهيونية من جانب اخر . فلن تحل قضية فلسطين الا على يد أبنائها ومساندة العرب جميعا لهم ، والا كان ذلك معناه ان الاستعمار كظاهرة ستنتهي في فترة ما نتيجة للتناقضات بين الدول الاستعمارية وداخل المجتمع المستعمر نفسه ، وبذلك لا يكون من المهم الكفاح ضده لانه سينتهي وعوامل تصفيته في داخل بلاده وداخل الكتل الاستعمارية نفسها ، نقول كل ذلك من الممكن أن يكون عوامل مساعدة ولكن الاساس هو العمل الايجابي الذي يأخذ شكل الكفاح المسلح والصراع الدائم بين المستعمر والمستعمر .

ويتبقى بعد ذلك المقالات العديدة التي كتبت عن المفكر والاديب الكبير رئيف خوري والتي تناولت جوانب من دوره الادبي والفكري والسياسي ، كتبت جميعها - بلا استثناء - بحب وتقدير وموضوعية. ونحن نحيي مجلة « الآداب » لوفائها لاحد كتابها واهتمامها هذا الاهتمام بوجه لبنان الحقيقي الذي افتقده العالم العربي والذي تحمل الكثير من أجل أفكاره وآرائه ، تحمل الهجوم من اليمين واليسار ولم يزعزع هذا ايمانه في شيء ، بل كان واضحا ، قاطعا في أحكامه وأفكاره ، ودوى صوته في جميع المؤتمرات الادبية من أجل التراث العربي والاهتمام بالشكل الادبي بجانب المضمون ، وكشف التزييف الذي كان يلاحظه في الحقل الثقافي ، مؤمنا بالعلم والتقدم والاشتراكية ، وأكثر من ذلك مؤمنا بالعرب ومؤمنا بالانسان في كل مكان .

القاهرة **جلال السيد**

## القصص

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٥ ـ

« كان باب المقهى محطم الزجاج ، مقشر الصبغ ، أحدثت رصاصات عدة ثقوب فيه ، وعلى الدرجات القليلة للمقهى استلقت جثة شابة ، ولان الجثة كانت تستقر على درجة ، والرأس يستقر بين اليدين الممدودتين على درجة أعلى ، فان الظهر الذي تمزق عنه القميص كان يكشف بوضوح عن النجمة السداسية التي رسمت على اللحم الابيض بطرف سونكي حاد ، وقد تخثر الدم بأضلاعها وغدت داكنة » ويستمر عرض الجثث في القصة ببرودة أعصاب يحسد عليها الكاتب ، ولعله قصد عامدا الى حملنا على القرف من أنفسنا . وحتى صورة المقاومة الوحيدة في القصة لا ترحمنا من هذا القرف « وقادت البنت رجل الجثث لبهو النافذتين المطلتين على الحارة ، كانت الجثة جالسة ويدها خارج النافذة . حول الجثة كان كل شيء قد مسه الاحتراق .. دفاتر وحذاء وثياب مبعثرة ، وأغلفة طلقات ، وصورة سقطت عن مسمارها ونثار أشياء مجهولة ، كانت الغرفة وسخة ، وتحتوي على أريكة مقلوبة بدون فراش ، جلست الصغيرة على قدم الاريكة المقلوبة. قال جامع الجثث : ـ لم تتركين يده للخارج ؟ ـ أخاف منه . هذا أخي . ـ أيوجد آخر في البيت ؟ ـ لا ذهبنا لاقاربنا في باب الخليل واقدم كل صباح لابقى جانبه ولا اقدر ان امسه . كنت انتظر من ينقله ، كان يدرس للامتحان . ـ أين ستنقله ؟ ـ سندفنه يا بنيتي . اذهبي لاهلك الآن . ـ بقي يضرب الرصاص صباحا وبعد الظهر ثم قذفوه بقنبلة » .

والكاتب لا يتركنا لانفعال الاشمئزاز ، ولكنه يقطع علينا السرد باستمرار بصور يعنى عناية دقيقة برسم تفاصيلها ، ولكنها لا تسهم في اخصاب قصته بل يظهر عليها الافتعال والتعمد وتدفعنا الى الاحساس بالملل . وتمضي القصة على محورين منفصلين : الاول منهما عرض للجثث ، والثاني هذه المناظر الخارجية المفتعلة والخارجة على جو القصة وسياقها . ونكتفي من هذه الصور بصورة وحيدة والا لكان علينا أن نعيد عرض الكثير من القصة نفسها « ومر جامعو الجثثبجنود اسرائيليين يثبتون السونكات في بنادقهم ويختفون في عتمة ثنيةالبوابة، ثم خرجوا للضوء ثانية ، وبرزت رؤوسهم من بين رؤوس مدببة، كانت ظلالا لرؤوس حجرية مدببة تتقارب في أعلى سور البوابة كأوثان كنعانية ، وداخل السور هنا كان الدخان المشوب برائحة الاوراق والثياب ، يأتي من اليمين وخلال الدخان تلوح الحافات المستقيمة المتوازية للاسطح تنفتح تحتها الاقواس المتراكبة ، وعموديا عليها ترتفع بتفاوت الابراج والقباب ، واعمدة الراديو واعمدة المظلات والصلبان والنواقيس ، وتحت الشمس المقلوبة الوجه ـ لان ضوءها لم يكن يشمل كل الارجاء ولانه كان متدليا في الاثير كثنيات ثوب ناصع البياض دقيق النسج ممزق الحواف ـ كانت قبة الصخرة تتكور بخلسة خلال فتحات الاسطح كنهد العذراء » .

وبعد ، أفي مثل جو هذه القصة يمارس علينا الكاتب مهارته بتقديم هذه الصور الذهنية المركبة عن عمد ؟ أوكان علينا أن نتمتع في مثل هذا الجو بالرؤوس الحجرية والاوثان الكنعانية ، وأعمدة الراديو، واعمدة المظلات والشمس المقلوبة الوجه ونهد العذراء ؟!

***

القصة الثانية التي تمس الواقع العربي وازمته الراهنة هي قصة « بعيدا عن أريحا » ، وهي تحكي كما يكشف عنوانها قصة فلسطيني هرب من أرضه وسوء مصيره في النهاية . والكاتب لا يعدم في نسج قصته القاموس اللفظي الذي يوحي بالمعاصرة ، كما أنه ينزلق أحيانا الى الخطابية « لكنك لم تتصور أن تكون فارا ، مجرد فار كالآخرين تهرب عندما تموء القطة ... يا عارك عندما تموء أجبن القطط في العالم » .

وفي هذه القصة لا نستطيع أيضا أن نحاسب الكاتب على الزاوية التي حاول منها تصوير البطل ، ويبدو أن حديث الجبن أسهل دائما من الحديث عن المقاومة وأن الهدم أسهل من البناء ، ومع ذلك فقصة الخيانة المكتوبة جيدا قادرة على الكشف عن كثير من تناقضات الواقع.

وكان عطاء هذه القصة محدودا جدا ، لان الكاتب صور بطله كحالة فردية شاذة ولان تصويره للشخصية لا يخلو من التناقض ، فبطل القصة في البداية يكره بلدته كراهية مبررة على الاقل من وجهة نظره هو « كنت تقرف منها ، من شوارعها الطويلة العريضة الممتدة التي لا ينتظرك فيها صديق أو يختبيء وراء أشجارها ميعاد ، كنت تسميها العجوز لانها لم تمنح قلبك الدفء لحظة واحدة ، وجسدك الفعل ولو مرة » واذا كان البطل محروما نفسيا وجسديا بصورة كاملة وحاسمة ، أوليس فراره من بلدته مبررا ؟

ثم ان سبب تمرد البطل وسخطه يعود الى ثقافته ، فهو لا يحب في بلدته سوى المكتبات والكتب ، ونتيجة لثقافته فهو كما يصفه الكاتب « اعتدت الا تكون مخادعا ، آمنت بالصدق والمباشرة والوضوح » وهذا البطل المثقف المتمرد لا يتحول في فراره الى جبان تافه فقط ولكنه يكاد يكون أبله « حملت فراشك على كتفك كالغجري ، انزلقت في الشوارع وآلهة الخوف تركض في جوفك . قال لك جارك والدهشة تتمطى على وجهه : « لا يصح هذا عيب » ، وقلت له سترى ... الخطر محدق وبعد الروح لا يهم شيء » . أولم يجد بطلنا المتمرد المثقف ما يحمله سوى فراشه ؟

ان شخصية البطل كما صورها المؤلف غير واضحة المعالم وخيانته غير مقنعة ، وعقابه مفتعل أيضا ، فهو لم يعد الى الحنين الى بلدته الا بعد أن صدمته عربة ووجد نفسه في المستشفى .

***

أما القصة الاولى التي تهرب من أرض الواقع فهي قصة « آل آمغ » وواضح أن كاتبها مثقف ، ولكنها تكشف أيضا عن انسلاخ من الواقع وعن العزلة وعن تقليد واضح لثقافة الغرب ، بل وتبني لمشاكل الحضارة الغربية ، وفرض هذه المشاكل على واقعنا . فالقصة محاولة لتقليد رواية « العالم الطريف » لهكسلي ، فنحن نلتقي في القصة باطفال يفرخون في المعامل، حيث تتلاشى الفروق ويموت الحب والفضول، وهي تقوم على تصور ذهني تجريدي محض ولا تنقصها الطرافة ، ومكتوبة جيدا في حدود نوعها . وكاتبها يخشى على الجنس البشري من المساواة وفقدان اللذة الجنسية والحب « الناس لا يفكرون ولا يعشقون ولا يتصارعون من أجل الغد ، لذا لا يمرضون ، عندما تساوى الجميع ماديا وأدبيا ( عبارة عتيقة أيضا ) أي عندما انعدمت الفوارق ، لم يبق احمق ولا عبقري لا طباع سوية ولا طباع مرضية ، فمات مع الموت الفن والفلسفة ولا شيء قام مكانهما . » ما يثير الانسان ويتحداه في هذه القصة أنها تحدث في المغرب كما يزعم المؤلف ، واسم بطلها « الفاروقي » واسم زوجته « فطومة » .

كان المغرب العربي قد وصل في تقدمه الآلي والتكنولوجي الى حد أصبح المؤلف يخشى عليه من فقدان الجنس والحب ، وكأن هدير المصانع قد أصبح يصم الآذان ويطغي على انسانية الانسان . لو كتبت هذه القصة عن الولايات المتحدة فربما كان الخوف مبررا .

ان المؤلف يكاد يعوقنا عن اكتشاف واقعنا ، ويفرض علينا خوفا لا يشعر به أحد . فنحن في أمس الحاجة لبعض ما يخشى منه المؤلف!

***

أما القصة الاخيرة وهي « صوفي » فهي نموذج لتيار من القصص يهرب فيه المؤلف من معاناة واقعه الى بيئة أجنبية ، ويذكرنا بحديث لنقولا حداد في مطلع القرن العشرين ، حين حاول أن يكتب قصة ابطالها من عرب مصر ، واشتد عليه الامر ، ووقع في احراج شديد لان المجتمع لا يبيح علاقة الحب فقال بعد ان قدم الينا ابطال روايته « لما كانت كل رواية لا بد أن تشتمل على علاقة حب ، ولما كان مجتمعنا لا يبيح هذه العلاقة قررت أن أنتقل بالابطال الى باريس » . وفي باريس يستطيع نقولا حداد أن يصنع بابطال قصته ما يشاء ، حيث لا رقيب ولا حسيب ، ولا ضابط من الواقع .

وما زال كتابنا ينتقلون بالابطال الى باريس أو أي عاصمةأوروبية أخرى ، هنا ترى العربي الفارس جسميا ونفسيا ، فصوفي بطلة القصة الانسانة الحساسة الشاعرية تتعلق أولا بفارس عربي من العراق، يكشف لها معنى الحياة « وعرفت بعد أشهر طالبا عراقيا هنا ، كان يحمل في قلبه مرحا لا يوصف ووجدت نفسي غارقة في دوامته » . وبعد أن هجرها العراقي تزوجت وبعد مدة التقت بفارس عربي آخر قدم هذه المرة من سوريا وهو على أتم استعداد ليأسو جراحها ويقدر انسانيتها ويلتهمها أيضا لو راق ذلك لها : « كانت صوفي بجانبي . كنت أتلمسها في شراييني . جميعنا متعبون ، وواصلنا السير حتى محطة الترام » .

واذا كان الفارس العربي في أوروبا حساسا لجمال السيدات ، فانه لسوء حظه مدعو ليشفي جراحهن لان أزواجهن من الرجال على درجة كبيرة من البلاهة وعدم الحساسية دائما . « فقلت وزوجك ـ هذا شيء آخر ، فهو عملي مفرط . يقول أنني معقدة، شديدة الحساسية وأطلب المستحيل » . وفي هذا النوع من القصص يكشف الكتاب العرب عما يطلبونه في أوروبا اذا ذهبوا اليها . فهم لا يرون فيها الا السطح الخارجي ، والحل لازماتهم الذاتية ، وتحقيقا للحياد الايجابي لم نعد رحلة الفارس العربي قاصرة على أوروبا الغربية ، ولكنه وسع نطاق غزواته الى أوروبا الشرقية أيضا !!

***

وبعد . فلعل الحساب كان عسيرا بيني وبين كتاب العدد الماضي من الآداب . ويرجع ذلك الى أن المثقفين العرب جميعا ـ وأرجو أن أكون واحدا منهم ـ هم أول من يسأل عن النكسة ، ويحملون القدر الاكبر من مسؤوليتها . واذا لم يكن المثقف هو القادر على الارتباط بواقعه وكشف تناقضات هذا الواقع وفتح الطريق لتيار المستقبل،فمن هو القادر على ذلك ؟

بيروت عبد المحسن بدر

## القصائد

– تتمة المنشور على الصفحة ١٦ –

نموذجا ثوريا للمناضل ولكن أقرب ما يكون الى نموذج السوبرمان خطابي زاعق محصن بتفرده مثير للانفعال ولكن حقائق الحياة المحيطة بنا تعارض حلم الشاعر النبيل وتجرفه فلا يستمر أثره في النفس كثيرا . ان نموذج الحل الثوري البسيط في عالم بسيط يختلف كثيرا عن نموذج الحل الثوري الممكن له النجاح في عالمنا الحالي المعقد. ويظل عروة مجرد ذكرى على أحسن الفروض لان الشاعر لم يستطع أن يكشف لنا من خلاله الا عن صفات البطولة القديمة .

شتاء الغضب للشاعر منهل نعمة العارض :

وهذه قصيدة انفعالية أخرى محملة بغضب الشاعر ولكنه الغضب فحسب لا الغضب الذي يقود الى الرؤية . وقد أدت حدة الغضب بالشاعر الى أن يحملنا نحن مسئولية اجرام المعتدين وأن لا يرى فينا غير نواقصنا فحسب فهل هذا عدل ؟ وهل يجدينا أن نمضغ الاحساس بالذنب والتقصير الى ما لا نهاية ؟

أشلاء في النهر المقدس ، للشاعر فؤاد الخشن :

يجيب الشاعر فؤاد الخشن على السؤال السابق بما تعكسه قصيدته من ادراك ثوري لابعاد المأساة . انه لا يتهم المسيح بل من صلبوه ، لا يتهم المجني عليه بل الجناة ، ويدرك أن السقوط مرة لا يعني النهاية وأن الفارس المطعون بسهم الخيبري في سيناء سينهض من جديد في معركة تالية . وقد قدم الشاعر بذلك قصيدة قوية من قصائد المقاومة يقيم فيها من تاريخنا وتاريخ الانسانية شهودا عظماء على الحق . وقد يقال أن هذه القصيدة ذات طابع انفعالي وجيدة في الوقت نفسه ، وهذا حق ولكننا لا يمكن أن نعتبر الفن المدعم للرغبة في المقاومة فنا انفعاليا لانه فن يصدر عن موقف يتضمن الاجابة على الاسئلة : ماذا حدث ؟ ولماذا ؟ وما العمل ؟ ويتخطى بذلك مجرد كونه تعبيرا عن انفعال الشاعر .

الندم ، للشاعر أحمد المآخذي :

يحلو للشاعر في قصيدة الندم ان يلبس الحياة ثوب انفعاله الخاص فتبدو الحياة المصورة في قصيدته زائفة أشبه ما تكون بموقف مسرحي تراجيدي والجميع غارقون في الحزن والندم والصلوات واليأس واليتم ، لكنه مسرح بلا زمان ولا مكان ولا موضوع ولا أبطال ولا أسباب . انه مسرح الانسان المجرد أو هو بتعبير آخر مسرح انفعالات الشاعر التي لم تستطع أن تجد لها تجسدا في شكل فني مفهوم فطاشت في الهواء .

اليتامى ، للشاعر أحمد دحبور :

ويختفي صوت الشاعر في قصيدة اليتامى وراء صوت الشاهد والكورس وتتخذ القصيدة قالبا موضوعيا ناشئا من الحوار بين مستويين للرؤية والانفعال . ولكن الشكل الموضوعي لا يخلق قصيدة موضوعية وتظل قصيدة أحمد دحبور تعبيرا انفعاليا لا يواجه الهزيمة وانما ينتحب على صخرتها انتحابا مريرا ، وتأتي نهاية القصيدة كفكرة ضعيفة بلا جذور ولا تاريخ فلا تحملها ولا يبقى في النفس سوى أثر النحيب .

عندما تترجل الفرسان ، للشاعر حسن عبد الله القرشي :

والغريب أن يصل الانفعال الى هذا الحد من الضعف كما في قصيدة « عندما تترجل الفرسان » . انه أشبه ما يكون بلطم الخدود وشق الثياب كما يفعلون في المآتم ( فنحن لسنا أكفياء – حتى لكي نرفع لله الدعاء ) وبدلا من أن نتهم المجرم الحقيقي نتهم أنفسنا . لا شك اننا قصرنا ولكن لا شك أن الاستعمار قد دبر الجريمة ونفذها . لا شك اننا هزمنا ولكن لا شك اننا أيضا نستطيع أن نقاوم كما قاومنا من قبل وننتصر . ان القصيدة تعكس تحقيرا للذات هو أبعد ما يكون عن احتياجنا الروحي والمعركة ما تزال مستمرة والحياة مستمرة .

قصائد للحب والحرب ، للشاعر خلدون الصبيحي :

المعركة مستمرة والحياة مستمرة والشمس تشرق والجباه تعرق والمداخن تصب الدخان والنبت الطيب يورق في أرضنا لذلك قد نفشل في الحب وقد نهزم في الحرب ولكن ما دامت ينابيع الحياة لم تجف فان الفشل والهزيمة لا يضعان النهاية . ان الشاعر خلدون الصبيحي يضع المأساة في مكانها الطبيعي فان كانت الكارثة شيئا أصاب حياتنا فان الحياة تظل مع ذلك أكبر بما لا يقاس من هذه الكارثة أو الهزيمة والحياة معنا ما دمنا قادرين على خلقها والنضال مدافعين عنها .

فلنحاسب أنفسنا بصدق ونفتح أعيننا على أسباب هزيمتنا ولنواجه الحقيقة داخلنا وحولنا مهما كانت بشاعتها ولنحاول تغييرها مهما كان الثمن والتضحية لنكون جديرين بحريتنا وبحمل مسئوليتنا التاريخية .

ولكن هل ننسى الاعداء الذين يحتلون أجزاء من أراضينا ؟ ان واجب الشعراء العرب الآن هو رفع راية الكلمة الوحيدة التي يتوقف عليها وجودنا أو ابادتنا : المقاومة . فهم ليسوا شهودا فحسب للكارثة وانما هم مسئولون أيضا عما حدث ويحدث وما قد يحدث في المستقبل.

القاهرة — شوقي خميس

## نموذج المثقف الثـوري

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١١ ـ

« ثورة في الثورة » هو الذي أوقف ثورة بوليفيا على قدميها ، حتى يحاكموني حسب القوانين . عندما أقول انني لم أرتكب أية جنحة توقعني تحت طائلة القوانين الجزائية القائمة ، وعندما أرفض كل التهم التي حيكت ضدي حتى الان ، فاني لا أسعى الى التحلل من مسؤولياتي أو الاستشهاد بأي ميثاق يستنكر حمل السلاح ، مما يناقض النظرية التي أنتسب اليها ، ويناقض حياتي منذ عدة سنوات . انني فقط أعبر عن واقع ، لا يسبب لي أي رضى خاص .

« اني أتمسك أكثر من أي وقت مضى بالكاسترويه كاستراتيجية وحيدة ، واقعية وصائبة ، نابعة من الظروف الحقيقية ، في معظم بلاد أميركا اللاتينية . قد أعدل كتاب « ثورة في الثورة » في بعض نقاطه الهامة التي لا أتفق فيها تماما مع غيفارا ، وذلك على ضوء تجربة الرفاق البوليفيين ومحادثاتي الاخيرة مع « شي » ، وقد أشدد على نقاط أخرى ( التنديد بالاحزاب الشيوعية مثلا ، الذي يجده غيفارا في كتابي تنديدا شديد التردد ) . ولكن يجب ، في الصعاب التي يجتازها الكفاح المسلح في بوليفيا ، أن نحتاط للتقلبات ، وخيانات الرجال ( غير المتوقعة ) والحزب ( المتوقع ، ولكن ليس الى هذا الحد ، وبكل هذه الحيل ) ، ولنظرية الكفاح الثوري التي وضعت موضع التنفيذ دون تردد .

ان تحليل هذا التاريخ هو من حق الذين عاشوه بكل تفاصيله .

وأصل الى النقطة الاليمة : الدعاية الباكية الكريهة التي أحاطت بها وصفي المجلات البورجوازية والواسعة الانتشار ، بتحريفه واخفاء معناه الحقيقي ، الذي يشير الى وضع تاريخي وليس الى وضع شخصي ، عندما كنت في الخباء لمدة شهرين ، لم أعرف بالطبع شيئا .

وبعد ذلك أمضيت وقتا طويلا ، وطويلا جدا ، حتى أكتشف في أي سيرك نصبوني مهرجا ، وكنت أكتشف ذلك كلما سمح لي بمطالعة الصحف البوليفية أولا ، ثم باستلام أنباء عن والديّ ، عن تصريحاتهما ومؤتمراتهما الصحفية ، واستلام مقتطفات من الصحافة الفرنسية .

وأود هنا أن أذكر بأن باب زنزانتي يفتح من الخارج ، وان الحراس لا يطلبون رأيي عندما يسمحون لمجموعة من المصورين بالدخول ـ سرا ـ أو كذلك عندما أذهب الى المرحاض ، وعندما أمشي المئة خطوة في الساحة ، أو عندما أقابل أمي ، علنا ، لاول مرة ، ان هذا كله لاكثر من مشين .

ولم أكن أكتشف ان أية عبارة أطلقها من غير حذر امام صحفي ستطحن وتعجن ويكون لها هذه الاصداء » .

وبعد أن يحمل دوبريه في رسالته بعنف على الاستغلال التجاري الرخيص ، والاستغلال العاطفي لمشاعر أبويه اللذين أحيطت بهما قضيته ، يخاطب أصدقاءه قائلا :

« لذلك فاني أطلب الى أصدقائي أن يصححوا الامور ، فبدلا من أن تكون « قضية دوبريه » مرآة للضمائر الطيبة الخجولة ، أو مورد رزق لتجار العواطف الاسبوعيين ، يجب استخدامها لتوعية الرأي العام قليلا حول مشاكل أميركا العامة ، مشاكل الكفاح المسلح ، والفاشية الاميركية الجديدة .

فليتوقف الحديث عن دوبريه ، الذي ما زال حيا حتى الان ومعرضا للاتهامات ، وهو جالس على كرسي الاتهام ، أكثر من عاهرة من سينيسينا ، وليكن الحديث عن ثوار بوليفيا وغيرهم ، عن أولئك الذين ماتوا في القتال ، أو الذين ما زالوا على قيد الحياة يقاتلون على أرض فظيعة الصعوبة .

فليرو تاريخ عمال المناجم ، عن تعرضهم لامراض الرئة وللذبح . ان وضع أفكار فيدل و « شي » موضع التنفيذ في خلق اكثر من فيتنام لانقاذ الفيتنام او القضاء نهائيا على صناع الفيتنام ، لا يحتاج الى رجال خارقين ، بل يحتاج من كل منا كثيرا من نكران الذات ، والكفر بكل شيء وربما بالحياة ، والصمود والعناد ، ومعدة تتحمل البقاء خاوية لعدة أسابيع .

عن هذا ، وعن هؤلاء يجب الكلام ، وليس عن محكوم بين ألف محكوم ، مؤمن له النوم والاكل على راحته ، ولعدة سنوات . ان قضيتي وسط اليونان وكولونيلاتها ، وأميركا اللاتينية وجنرالاتها ، وفيتنام وستمورلاند ، يجب أن تكون تافهة وضائعة كما تضيع الابرة وسط كومة من التبن . واذا ما بقيت هناك « لجنة من أجل دوبريه » فيحسن أن تخفف مجالات نشاطها لتبديل طابعها وتحويلها الى « لجنة من أجل الثورة الاميركية » ، أو شيء مشابه . ان الواجبات العملية موجودة ، وسأحاول أن أكتبها مرة ثانية .

اني آسف لعدم تمكني من تولي الدفاع عن نفسي بنفسي ، ولديّ كل أسباب الخوف من عدم سماح المحكمة لي بالخوض في النقاش الاساسي ، أو افساح المجال أمامي للكلام ، باستثناء الاعلان النهائي التقليدي . ان هذا الدفاع لا يمكن بالطبع أن يكون شخصيا وحسب أصول المرافعات ، ولكنه دفاع عن حرب العصابات بمجملها ، عن أعمالها الشرعية والضرورية ، شرعية لانها ضرورية . يجب الغوص في التفاصيل ، وليس هذا سهلا ، مقابل تهم القتل ، والسرقة ، ونصب الكمائن ، ليس في « قتال شرعي » بل في حادث اغتيال وخيانة ـ وهذه تهمة ملتوية وسخيفة ، ولكن لا بد من أخذها بحرفيتها لتفنيد سخفها ـ يجب عرض خلفية الحرب الثورية ، اليوم ، في أميركا اللاتينية .

هذا الدفاع الذي لا أستطيع المرافعة به ، لا بد من أن أصوغه مكتوبا ، ثم أنشره بعد ذلك في الخارج . فاذا كان بالامكان ربح المعركة الدعاوية ، فسيكون ذلك على الاقل متأخرا » .

وهكذا كان ، لم يسمح لدوبريه بالكلام طويلا ، وبحرية ، وحكم عليه بالسجن ثلاثين سنة ، ولكن ها هو كتابه يترجم الى اللغة العربية ، ولن تتمكن حكومة بوليفيا من منع ترجمته الى سائر لغات العالم ، كما لن تتمكن من انتشار أي فكر ثوري يتسرب من سجن دوبريه الى جميع أنحاء العالم .

وفي خضم الاحداث الكبيرة التي تجتازها منطقتنا العربية ، تتردد يوميا على سمع المواطن العربي كلمات « الحرب الشعبية » و « الكفاح المسلح » و « العمل الفدائي » ... هذه الشعارات لم تصل الينا الا بعد أن تبنتها شعوب أخرى ، ليس بأحرف كلماتها ، بل بجبال التضحيات والدماء ، والاخطار والارواح التي ذهبت سدى في المراحل الاولى ، الى أن اهتدى كل شعب الى الشكل الذي يلائمه من هذه الشعارات .

كذلك لا بد هنا من الاشارة الى ظاهرة تفشت عندنا مع انتشار هذه الشعارات ، وهي انصراف عدد كبير منا الى مطالعة تواريخ ثورات الحرب الشعبية المسلحة بقلم صانعها ... وقد أدى هذا في معظم الاحيان الى انقسام اعجابنا بالتجارب ، فأصبح هناك من ينادي بأفضلية التجربة الكوبية ، أو التجربة الصينية ، او الفيتنامية... ومطابقة كل واحدة من هذه الثورات على ظروف واقعنا العربي .

ليس كتاب ريجي دوبريه في هذا المجال حكما بين هذه النظرات المختلفة . انه كاستروي متعصب ، يعتقد ان التجربة الكاستروية تلائم معظم بلاد اميركا اللاتينية.

وليست قيمة الكتاب على كل حال محصورة في هذا المجال .

أين تكمن قيمة الكتاب اذن ؟

قبل هذا الكتاب ، كان دوبريه قد التهم قراءة كل ما كتب حول الثورات المسلحة في قارتي اسيا واميركا اللاتينية .

ثم ذهب دوبريه يجوب أنحاء اميركا اللاتينية ، يستمع ، ويناقش ، ويراقب ، فوضع حصيلة هذه الجولات بحثين كبيرين أحدهما بعنوان « استراتيجية الثورة في أميركا اللاتينية » والاخر بعنوان « الكاستروية، المسيرة الكبرى لاميركا اللاتينية » . ثم عاش دوبريه — كما يشرح في مقدمته — سنتين في هافانا ، بقرب كاسترو وبقية أبطال ثورة كوبا ، يناقشهم في كل مسائل الثورة المسلحة في اميركا اللاتينية .

وهكذا تأمن لروجيه دوبريه اطلاع على تفاصيل حركة الثورة المسلحة في اميركا اللاتينية عن طريق المعايشة ، وصلتها بالثورات الاسيوية ، عن طريق المناقشة والمطالعة ، ولعل هذا لم يتأمن لاي مفكر معاصر آخر .

هذه هي نصف قيمة الكتاب . أما النصف الاخر فيكمن في المنهجية الفكرية الشديدة الحيوية التي ناقش فيها دوبريه وعرض ما يعرفه من معلومات . فهو يشدد ، منذ مطلع الكتاب وحتى صفحاته الاخيرة ، على ان المقياس الاساسي لنجاح أية نظرية ، هو نجاحها في ميدان التطبيق ، ويرفع بذلك شعارا هاما متحركا هو شعار « الفعالية الثورية » ... لذلك نراه يركز كثيرا على شرح المخاطر العملية لنسخ التجارب الثورية نسخا آليا ، واستيرادها — كالبضاعة — من بلد الى بلد ... ولذلك نرى دوبريه ، رغم اعجابه الشديد بنموذج الثورة الكوبية، فانه لا يطلقه نموذجا صالحا للتطبيق في جميع أنحاء العالم ، ولكن أقصى ما يقوله عن هذا النموذج انه يلائم — في رأيه — ظروف معظم بلدان أميركا اللاتينية .

ورغم القيمة الفكرية الخطيرة للكتاب ، الذي ينطلق من أسس ماركسية — لينينية الى تحليل حركات الكفاح المسلح ، فان دوبريه في رسالته الشهيرة من سجنه في بوليفيا ، يوصي بأن كتابه ليس نهائيا ، وانه لو أعاد كتابته لادخل عليه كثيرا من التعديلات على ضوء تجربة « الرفاق البوليفيين » . ويضيف ان من حق الذين يعيشون تفاصيل تاريخ معين ، أن يكتبوا تحليلا لهذا التاريخ ...

ان أعظم ما يحتاجه المواطن العربي في مرحلة تكاثر شعارات الكفاح المسلح ومتفرعاته من حوله ، هو أن يمسك بزمام منهجية فكرية معاصرة ودقيقة ، تمكنه من ايجاد دربه وسط هذا الطريق الشائك ، فلا يكون الاندفاع العاطفي هو دليله الوحيد في الطريق .

ان كتاب دوبريه في هذا المجال ، هو أحد أخطر الكتب السياسية التي صدرت في القرن العشرين، يضاف الى الادب الماركسي معلما عصريا هاما وشجاعا من معالمه.

**الياس سحاب**

## نصر أسوأ من هزيمة

– تتمة المنشور على الصفحة ٥ –

شيئا حين وحدوا في التريخ نفسه جميع الشعوب ذات اللغة الالمانية التي كانت تعيش خارج الامبراطورية النمساوية الهنغارية . كانت جارات المانيا منقسمة فيما بينها بالمصلحة والتاريخ والدين واللغة . وقد استطاع بسمارك وغليوم الثاني ثم هتلر ان يستغلوا هذه الانقسامات. اما الاسرائيليون، فلا يحيط بهم، على العكس، الا العرب. واستغلال الخلافات القائمة بين الدول المختلفة لا يستطيع ان يؤدي الا الى اخفاق نهائي . لقد كان العرب في اثناء الحرب الاولى التي قام بها اليهود عام ١٩٤٨ منقسمين فيما بينهم انقساما كبيرا ، ولكنهم كانوا اقل انقساما عام ١٩٥٦ في فترة الحرب الثانية . وفي عام ١٩٦٧ شكلوا جبهة مشتركة . واذا كان ثمة مجال لقيام مجابهة جديدة مع اسرائيل ، فان هذه الحركة ستتعزز على الارجح وتقوى .

ولقد استخرج الالمان الدرس من تجربتهم الخاصة في صيغة مليئة بالمرارة : « يمكن للنصر ان يحفر لك قبرك الخاص . » وهذا ما حدث للاسرائيليين . انهم لم يعرفوا ان يحدوا اطماعهم ، فاسرائيل تعد الآن بالاضافة الى سكان الاراضي المحتلة زهاء مليون ونصف المليون من العرب ، اي ما يزيد على ٤٠ بالمئة من مجموع سكانها . فهل يطرد الاسرائيليون جميع هؤلاء العرب ليضمنوا فتوحهم ضمانا افضل ؟ ان ذلك سيخلق مشكلة جديدة للاجئين اشد خطورة من المشكلة السابقة . ام هل تراهم سيتركون الاراضي التي احتلوها ؟ الجواب بالنفي اذا صدقنا التصريحات التي يدلي بها حكامهم الرئيسيون . ان بن غوريون ، شيطان الشوفينية الاسرائيلية ، يدعو الى خلق دولة « فلسطينية عربية » على ضفاف نهر الاردن ، دولة تكون محمية اسرائيلية . ايمكن لاسرائيل ان تتوقع ان يقبل العرب مثل هذه المحمية ، والا يستعملوا كل قواهم لمعارضتها ؟ ليس في احزاب اسرائيل كلها حزب يفكر مجرد تفكير بانشاء دولة فدرالية عربية اسرائيلية . وبالانتظار ، « أقنع » عدد كبير من العرب بأن يتركوا منازلهم على ضفاف الاردن ، واصبح مصير الذين لم يغادروا ارضهم أسوأ من مصير الاقلية العربية التي اخضعتها اسرائيل طوال تسعة عشر عاما تحت الحكم العرفي . نعم ، ان هذا بالنسبة لاسرائيل نصر اسوأ من هزيمة . ان هذا النصر ، بدلا من ان يعزز أمن اسرائيل وسلامتها ، قد اضعفهما كل الاضعاف . واذا كان ما يخشاه الاسرائيليون اكثر من أي شيء هو ان يقعوا تحت ضربة الثأر العربي وان يقضى عليهم ، فهم قد فعلوا كل شيء لكي تتحول فزاعة غير مجدية الى تهديد حقيقي .

س – هل اجدى النصر الاسرائيلي الولايات المتحدة حقا ؟ هل اتاح تعزيز الهجوم الايديولوجي الاميركي في آسيا وافريقيا .

ج – لقد امكن التفكير ، عند وقف القتال ، بأن هزيمة مصر ستعقب سقوط عبد الناصر ونهاية السياسة المرتبطة باسمه . ولو حدث هذا لكان الشرق الاوسط قد سقط حتما من جديد في فلك التأثير الغربي . كان يمكن لمصر ان تصبح غانا جديدة او اندونيسيا جديدة . ولكن لم يحدث شيء من ذلك ، بسبب تدخل الجماهير الشعبية العربية التي اكتسحت شوارع القاهرة ودمشق وبيروت لتطلب من عبد الناصر ان يبقى في الحكم. وكانت هذه لحظة من اندر اللحظات التاريخية التي تستطيع فيها الاندفاعة الشعبية ان تقيم التوازن السياسي مرة واحدة او ان تهدمه . ففي قلب الهزيمة اثبتت هذه الحركة الصادرة عن الجماهير تأثيرها الكبير . ولم يشهد التاريخ كثيرا حدثا كهذا : ان يساند شعب على هذا النحو قائدا لم يكن منتصرا .

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

س – لا شك في ان ازمة الشرق الاوسط قد اخذت اليسار على حين غرة وزرعت في صفوفه القلق والانقسام ، في انكلترا وفرنسا ، وفي الولايات المتحدة كذلك ، على ما يبدو . بل لقد عبر البعض في الولايات المتحدة عن خشيتهم من ان تنعكس هذه الانقسامات على حركة مقاومة الحرب في الفيتنام .

ج – يجب الاعتراف بأن الاضطراب والتشوش كانا كبيرين . وانا لا اتكلم عن «اصدقاء اسرائيل» من امثال موليه الذين رأوا في الحرب استئنافا لحملة السويس وفرصة للثأر بعد هزيمة ١٩٥٦ . كما انني لا اتحدث عن المتنفذين الصهيونيين في الجناح اليميني المتطرف لحزب العمال . ولكن حتى في اقصى اليسار من هذا الحزب ، استطاع موقف كموقف سيدني سيلفرمان ان يحمل على التفكير بأن في امكان رجل سياسي يهودي من رجال اليسار ان يوقظ الصهيونية النائمة .

ولقد رأينا التشوش نفسه يسود جهات أبعد في يساريتها ، وسط رجال كانوا قد صارعوا بلا هوادة، حتى الآن ، ضد الامبريالية . ان هناك كاتبا فرنسيا معروفا بمواقفه الجريئة ضد حرب الجزائر وحرب الفيتنام قد انحاز هذه المرة الى التضامن مع اسرائيل (١) وصرح ان انقاذ اسرائيل اذا كان يتطلب تدخل الاميركيين فانه سيؤيد هذا التدخل وسيذهب الى حد الصراخ « فليعش الرئيس جونسون ! » لم يكن يبدو أنه مهتم بالعبث واللامعقولية الكامنين في ان يصرخ «فليسقط جونسون!»

---

١ – يقصد الكاتب كلود لانزمان اليهودي الفرنسي ، سكرتير تحرير مجلة « التان مودرن » .

في الفيتنام و « ليعش جونسون » في أسرائيل . وقد دعا جان بول سارتر ، هو ايضا ، مع بعض التحفظات ، الى التضامن مع اسرائيل . ولكنه اعترف فيما بعد كم كان منزعجا ومتضايقا ، وشرح السبب : كان قد تعلم ، في اثناء المقاومة ، ان يعتبر اليهودي اخا له ينبغي ان يدافع عنه في جميع الظروف . وفي حرب الجزائر ، ساند العرب كاخوة . فالقضية اذن ، في هذا النزاع ، هي قضية صراع متعلق بقتل الاخ لم يكن يستطيع ان يحكم عليه ببرودة من غير ان تتنازعه عواطف متناقضة .

ومهما يكن من امر ، فعلينا ان نتبنى نظرة صحيحة للموقف من غير ان ندع للانفعالات والذكريات، مهما كانت حية ، ان تسيطر علينا . وحتى ذكرى اوشويتز ينبغي الا تضغط علينا لتحملنا على مساندة الجانب السيىء من القضية . وانا اتكلم بصفتي ماركسيا يهودي الاصل رأى قسما من اسرته يموت في اوشويتز ، وله اقرباء في اسرائيل . ان في تبرير الحروب التي قامت بها اسرائيل ضد العرب او في التماس الاعذار لها تقديم اسوأ الخدمات لها والمضي في طريق يناقض مصلحتها على المدى الطويل. واؤكد مرة اخرى ان حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ لم يؤكدا امن اسرائيل ، بل اضرا به ضررا بالغا . لقد سلكت اسرائيل ، بناء على نصائح اصدقائها المزعومين ، الطريق السيىء .

وهؤلاء الاصدقاء انفسهم ، على ارادة منهم او على غير ارادة ، قد شجعوا كذلك الموجة الرجعية التي اغرقت البلاد في ابان الازمة . لقد تألمت ألما لا نهاية له وانا ارى المشاهد التي كانت تعرضها شاشة التلفزيون : مشاهد الفاتحين وهم يعرضون صور غطرستهم وتعجرفهم ووحشيتهم ، ومظاهر شوفينيتهم ، والاحتفالات الجنونية التي احيوها اعلانا عن نصر بلا مجد ، وكان ذلك كله يتناقض تناقضا وحشيا مع الصور التي كانت تظهر آلام العرب واحزانهم ، وصفوف اللاجئين الاردنيين وجثث الجنود المصريين الذين ماتوا عطشا في الصحراء . وتألمت كذلك ان ارى الحاخامين ، بقاماتهم العائدة للقرون الوسطى ، يرقصون فرحا امام حائط المبكى ، وكان يخيل الي اني ارى البلاد وقد اكتسحتها نزعة الظلامية التلمودية التي اعرفها معرفة جيدة والتي كانت تجعل الهواء عسيرا على الاستنشاق . ثم كانت هناك جميع المقابلات مع الجنرال دايان ، البطل القومي الذي لم يكن يتحدث الا عن ضم الاراضي المحتلة وكان يظهر وقاحة وحشية غريبة حين كان يسأل عما سيكون مصير العرب في الاراضي المحتلة ( « ما عسى ذلك ان يهمني ؟ ان يذهبوا او ان يبقوا ، هذا عندي سواء . » ) لقد كان بطلا اسطوريا مزيفا ( اقول مزيفا لانه لم يكن هو الذي اعد او قاد حملة هذه الايام الستة ) وها نحن نراه في دور جديد ، دور المرشح للديكتاتورية : لقد اقترح بأنه اذا بدا القادة المدنيون مائعين اكثر مما ينبغي مع العرب ، فان هذا الـ « ديفول » المصفر سيعيدهم الى امكنتهم ، ويستولي على السلطة بنفسه ، ويرفع « مجد » اسرائيل الى مقام اعلى ... وخلف دايان كان يقف بيغن الوزير وزعيم الحزب الصهيوني اليميني المتطرف الذي يطالب منذ وقت طويل بشرق الاردن كجزء من اسرائيل ، تاريخيا . ان لكل حرب رجعية ، بالضرورة ، امتدادات تتخذ الطابع نفسه، وطبيعتها واهدافها تنعكس في نموذج الابطال الذين تخلقهم . ويمكننا القول ، على صعيد آخر ، ان قادة اسرائيل يمنحون المأساة التي عاشها اليهود سياقا تاريخيا يفقدها معناها الحقيقي حتى ولو لم يكفوا عن رفع اسماء اوشويتز وتربلنكا على سبيل التبرير .

ها هم اليهود اليوم يمثلون في الشرق الاوسط دور عملاء المصالح الامبريالية القوية وعملاء الاستعمار الجديد. هكذا يراهم ، على كل حال ، العالم العربي ، وهو على حق في ذلك . انهم بذلك يخلقون حقد جيرانهم وكراهيتهم ، هؤلاء الجيران الذين هم ضحايا الامبريالية . وهذا هو بلا شك أسوأ مصير يواجهونه ...

... اما العرب ، فنريد ان نعتقد بأنهم سيعرفون ان يستخرجوا الدرس من هزيمتهم ، وانهم سيتمكنون في مستقبل قريب من ان يقيموا في الشرق الاوسط اشتراكية تقدمية حقيقية .

ترجمة « الآداب »